الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهران –السانية–

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم: الحضارة الإسلامية

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الإفريقي

خلال القرنين 11–12هـ/17–18م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطالب:

* محمد مولاي

إشراف الدكتور:

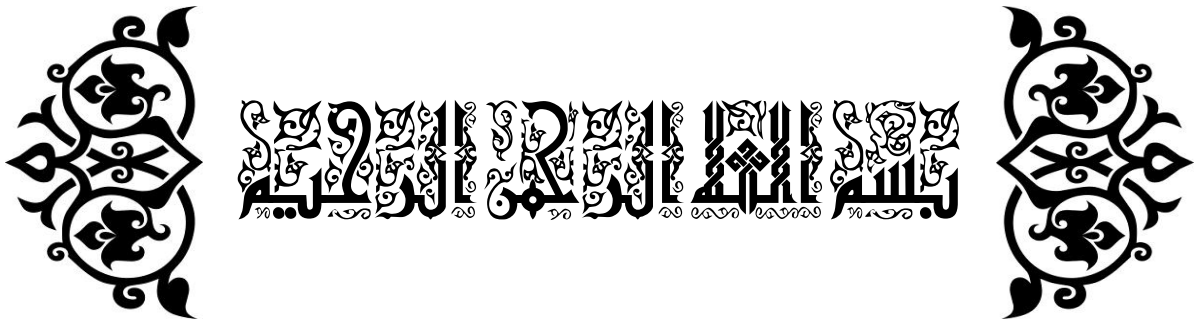
* أحمد الحمدي

أعضاء لجنة المناقشة

تاريخ المناقشة: 2014/06/15

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. عبد المجيد بن نعمية	رئيسا	جامعة وهران
د. أحمد الحمدي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران
أ.د. محمد بن معمر	عضوا مناقشا	جامعة وهران
د. محمد بوركبة	عضوا مناقشا	جامعة وهران

السنة الجامعية 2013–2014


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿ يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل

لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

الحجرات: الآية 13



أهدي ثمرة جهدي إلى جميع أفراد أسرتي صغيرا وكبيرا...

خاصة الوالدين الكريمين إجلالا وتقديرا

إلى أولئك الذين ضحوا من أجل العلم والمعرفة صبرا واحتسابا

إلى جميع أساتذتي ومشايخي عبر جميع الأطوار والمستويات التعليمية خاصة أساتذة الدراسات العليا بقسم التاريخ وحضارة إسلامية فخرا واعتزاز ا

إلى زملاء الدراسة خاصة دفعة ماجستير تاريخ وحضارة إسلامية 2011 محبة ووفاء

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل شكرا واعترافا

محمد



أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكل من مد لنا يد العون والمساعدة في سبيل انجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، و في مقدمتهم الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية الذي ساعدنا بنصائحه وتوجيهاته القيمة ومكتبته خاصة مكتبة مخبر المخطوطات الحضارة الإسلامية في الجزائر وشمال إفريقيا، والدكتور أحمد الحمدي الذي تشرفنا بقبوله الإشراف على هذه المذكرة العلمية، ومساهمته بحصة الأسد في هذا البحث من نصائح وتوجيهات وتعويضه النقص الذي كنا نعانيه من قلة بعض المصادر والمراجع، خاصة المفقودة، فكان بحق القنديل الذي أنار لنا الطريق في هذا البحث، و الأستاذ الدكتور محمد بن معمر، الذي لم يبخل علينا بفتح دوريات الرسائل الجامعية الخاصة بمكتبه، كما لا ننسى الدكتور محمد بوركبة ونصائحه القيمة، و الأستاذ محمد عبد الرحمان بن مالك، حفيد الشيخ محمد باي بالعالم، الذي أمدنا بمجموعة كبيرة من مؤلفاته دون أن ننسى أصحاب خزانة تمنطيط البكريين الذين سهلوا لنا طريق البحث. و إلى جميع المكتبات التي قدمت لنا يد العون منها : مكتبة كلية الحضارة الإسلامية بجامعة وهران، والمكتبة المركزية جامعة وهران، قسم الدوريات بجامعة الأمير عبد القادر، ومكتبة المركز الثقافي الإسلامي بأدرار.

تعتبر القارة الإفريقية من أكبر الأقاليم مساحة في العالم، لما تشتمل عليه من مناطق متعددة تختلف من حيث المجتمعات والأعراف، إلا أنه أُحدث تقاربا فيما بين هذه المناطق، والذي شكلت فيه الصحراء الكبرى همزة وصل منذ العصور السالفة، بدءا بالمجال التجاري ليستمر هذا بعد دخول الإسلام، وانتشار اللغة العربية، حيث أصبح ضرورة ملحة بين الشعوب الإفريقية، شمل عدة مجالات أخرى، اجتماعية وثقافية، وخاصة العلمية التي خلقت حركة نشطة بين شعوب الشمال والجنوب، نتج عنها ذلك الاندماج والترابط أكثر بينهما. لذلك جاء موضوعنا " **العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الإفريقي، خلال القرنين 11 هـ، 12 هـ . 17 م 18 م**". الذي من خلاله سنحاول إبراز ورصد ملامح هذه العلاقات.

ويعتبر موضوع الدراسة ذو أهمية نظرا لاقتصاره على رقعة جغرافية مخصصة من هذه القارة وهي توات، بأقاليمها الثلاثة تيديكلت توات الوسطى و قورارة، ومنطقة إفريقيا جنوب الصحراء أو ما يسمى ببلاد الساحل الإفريقي. وهو مصطلح لم يكن معهودا في العصور الوسطى، بل ظهر مع بداية العصر الحديث في بعض كتب الحوليات، واستعمل كمدلول سياسي ظهر جليا في الوقت المعاصر، وتشمل هذه البلاد جميع بلاد غرب إفريقيا(السودان الغربي والسودان الأوسط حتى بحيرة تشاد)، وهذا الحيز تقاسمته عدة مماليك بدءا بمملكة غانا ومملكة مالي، وسنغاي وبلاد تكرورو، و كانم، وبورنو، ومماليك الهوسا في نيجيريا، إضافة إلى بلاد شنقيط في موريتانيا حاليا، وما كانت تضمه من حواضر كولاتة و تاودني.

و يرجع اختيارنا لهذا الموضوع إلى الأسباب التالية:

- إن جل الدراسات السابقة، وهي قليلة التي تناولت العلاقة بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء لم تتناولها بصفة متخصصة بل تناولتها بشكل عام.
- الكتابات التي كتبت عن العلاقة بين إفريقيا جنوب الصحراء وبلاد المغرب لم تفرد مجال لبعض الحواضر التي كان لها أثر كبير، رغم قربها من إفريقيا جنوب الصحراء مثل توات بل اهتمت بالحواضر الكبرى مثل مراكش وفاس وتلمسان وتونس.

– الاهتمام والتركيز على فترات زمنية على حساب أخرى، فمثلا لم نجد أي دراسة تناولت العلاقات بين توات وبلاد الساحل، خلال القرن 11 هـ- 17 م .بل معظم الدراسات التي تناولت هذه العلاقات، بالرغم من قلتها انحصرت في فترات سابقة، أو لاحقة لهذا القرن، و معظمها انطلق من القرن 12 هـ – 18 م .

– إبراز مكانة توات كحاضرة علمية في قلب الصحراء كانت لها مميزاتها ومكانتها العلمية مثل بقية الحواضر الكبرى كتنبكتو وشنقيط وتلمسان وفاس مكنها من ربط علاقات بين الشعوب الإفريقية كان الوجه الأبرز فيه هو الوجه العلمي.

– جهل كثير من المثقفين لتاريخ هذه الأقاليم رغم مساهمتها الفعالة في الحضارة العربية الإسلامية.

– التركيز في العلاقات بين بلاد الساحل الإفريقي وبلاد المغرب على الجانب التجاري والاجتماعي وإهمال الجانب العلمي أو دمجه في الجانب الثقافي.

و تنبني إشكالية هذا البحث بشكل أساسي، على التساؤل الآتي : ما حقيقة العلاقات العلمية، بين توات وبلاد الساحل الإفريقي ؟. ويتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية مهمة منها :

– ما طبيعة الوضع العلمي في كل من توات وبلاد الساحل الإفريقي. هل كانت واحدة أو مختلفة؟.

– ما هي أهم العلوم التي اشتغل بها أهل توات و بلاد الساحل الإفريقي؟

– كيف كان يتم التعليم في كل من المنطقتين؟، وما هي مراحله ؟ ومقرراته التعليمية؟

– كيف ساهم كل من التجارة والرحلة والتصوف في إثراء هذه العلاقات العلمية بين المنطقتين ؟

– ما هي أهم الحواضر العلمية التي ساهمت في تفعيل العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الإفريقي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية التالية تم تقسيم الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول، كل فصل يتضمن مجموعة من المحاور، حيث تناولنا في الفصل الأول التعريف بتوات وبلاد الساحل الإفريقي، بدءا" بتحديد الموقع بالإضافة إلى البحث في أصل التسمية لكل منهما، وأراء المؤرخين في هذه التسميات، كما تناولنا الدراسة البشرية التي تهتم بالتركيبات البشرية ، وأهم مكونات المجتمعين ضف إلى ذالك الحقب التاريخية التي مرت بها كل من توات وبلاد الساحل الإفريقي، مركزين على الفترة الإسلامية إلى غاية فترة الدراسة محل البحث .

وفي الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى الواقع العلمي في توات وبلاد الساحل الإفريقي، خلال القرنين 11 و12 هـ و17 و18 م. ودرسنا من خلاله مراحل التعليم في توات وبلاد الساحل الإفريقي واهم المقررات والمؤسسات التعليمية، وذكر بعض الشيوخ وإسهاماتهم العلمية.

أما الفصل الثالث فخصصناه لدور التجارة والرحلة والتصوف في التواصل العلمي بين منطقة توات وبلاد الساحل الإفريقي مبينينا مكانة التجارة في التواصل العلمي، وكيف كانت تجارة الكتب تجارة رائجة ذات أثمان باهضة، أما الرحلة فقد قمنا بتقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهي الرحلات الدينية (ركب الحجيج)، والرحلات العلمية وكذلك هجرات السكان، أما التصوف فقد ركزنا على تبيان أنواع الطرق الصوفية، ودورها في التواصل العلمي بين المنطقتين.

و الفصل الرابع لأهم المراكز والحواضر العلمية، في منطقة توات وبلاد الساحل الإفريقي، كتنبكتو، وجني، وغاو، ولاته و أقدز، وشنقيط، و تمنطيط، وملوكة، و أجنتور و أوقروت و أولف.

وفي الأخير ختمنا البحث بخاتمة بينا فيها النتائج المتوصل إليها والتي كانت عبارة عن إجابات لتلك الإشكالات التي تم طرحها في بداية الموضوع، حيث بينا مدى التأثير والتأثر

الذي كان بين توات وبلاد الساحل الإفريقي، في المجال العلمي وإبراز مكانة كل إقليم من خلال تلك الحواضر العلمية خاصة الصحراوية التي ظهرت كنتاج لتلك العلاقة العلمية .

كما اعتمدنا على مجموعة كبيرة من المصادر و المراجع، منها ما هو مخطوط خاصة ما تعلق بتوات، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والرسائل الجامعية التي استفدنا منها في مختلف مناحي البحث.

- مخطوط درة الأقلام لأخبار المغرب بعد الإسلام، لمؤلفه محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري، وهو مخطوط لم يحقق بعد يوجد بخزانة أولاد القاضي البكريين بتمنطيط وهو يتضمن دراسة عامة لتاريخ المغرب الإسلامي ودراسة خاصة لإقليم توات وحاضرته تمنطيط.

- مخطوط جوهر المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، لنفس المؤلف ويوجد هذا المخطوط في خزانة أولاد القاضي البكريين بتمنطيط، وهو يتضمن تراجم لعدد كبير من الأعلام التواتيين خاصة الفقهاء والقضاة.

- مخطوط تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط، لنفس المؤلف وهو كذالك موجود بخزانة أولاد القاضي البكريين وهو من الحجم الصغير يتكون من 16 صفحة، يتعلق موضوعه بتأسيس مدينة تمنطيط والتطور التاريخي لهذه المدينة وتاريخ توات من عهد الدولة الموحدية إلى غاية بداية الاحتلال الفرنسي للإقليم، كما تعرض لفترة الشيخ المغيلي وقضيته مع يهود توات.

- القول البسيط في أخبار تمنطيط، لمحمد بن الحاج عبد الرحيم (ابن بابا حيدة)تحقيق فرج محمود فرج وقد اعتمدنا على هذا الكتاب باعتباره يتضمن معلومات عن حاضرة تمنطيط باعتبارها أكبر الحواضر العلمية في توات وأقدم عاصمة للإقليم .

- نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين العلماء الثقات، للشيخ أحمد الطاهري الإدريسي حيث استفدنا منه في تبيان الخصائص الجغرافية لقصور توات وذكر بعض العلماء .

– العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهذا الكتاب لعبد الرحمان بن خلدون يعد من أهم مصادر التاريخ العام لما اشتمل عليه من وصف دقيق وتحليل الحوادث التاريخية، جاء في عدة أجزاء يهمنا فيها الجزءان السادس والسابع والذي تحدث فيهما عن بلاد توات وذكر بعض أقاليمها مثل تنكورانين وحاضرة تمنطيط وبعض المميزات التي ميزت توات عن غيرها من الأقطار، كما تكلم عن بلاد الساحل الإفريقي ومماليكه ناقلا أخباره ممن سبقوه كالبكري والإدريسي وعلى من التقى بهم من التجار والمسافرين، الذين كانوا يترددون على هذه المناطق وعن بعض العلماء المغاربة الذين تولوا القضاء في بعض مدن الساحل، حيث يعتبر أول من ذكر تراتيب سلاطين مالي من قبل ومن بعد السلطان منسى موسى كما ذكر أحوال الصحراء وانتشار قطاع لطرق فيها خاصة على طول المسلك التجاري المؤدي من سجلماسة إلى بلاد السودان من الجهة الغربية والذي كان يقطعه الأعراب من البادية السوسية لبلاد المغرب وقد تحول هذا الطريق إلى الجهة الشرقية، أي باتجاه توات لاعتباره أكثر أمنا للتجار، وعموما فمؤلف بن خلدون يعد من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في جميع فصول المعرفة العلمية كل من وجهة نظر تخصصه لأن بن خلدون كان ذا رأي في الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والتاريخ والأدب والدين.

– نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، ويعد هذا الكتاب أضخم إسهام له وهو استدراك على ديباج ابن فرحون، حيث يعتبر قاموس لتراجم العلماء والكبار، لاسيما في كل من المغرب والأندلس وبلاد الساحل الإفريقي، ومعظم هؤلاء ممن ترجم لهم من المالكية وهو عمدتنا في معرفة حالة التعليم في بلاد الساحل الإفريقي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري السادس عشر والسابع عشر ميلادي.

– تاريخ السودان، وهو لعبد الرحمان السعدي، يعد من أهم مصادر تاريخ بلاد الساحل الإفريقي، فهو ذاخر بسير العلماء وذكر مشائخهم والكتب التي درسوها وتواريخ وفاياتهم

وأماكن دفنهم وقد اتبع السعدي في كتابه طريقة الحوليات مثل الطبري وغيره فرتب أحداثه ترتيبا زمنيا.

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وهو لابن بطوطة اللواتي الطنجي، وهو من أهم مصادر كتب الرحلات خاصة ما اتصل ببلاد المغرب وبلاد السودان، حيث قام برحلة إلى هذه البلاد في وفادة سلطانية من قبل السلطان المريني، وقد اصطحب في هذه الرحلة التجار وكانت عبر الصحراء، حيث زار خلالها توات وتغازي وولاتة كما تحدث عن أخطار الصحراء وعجائبها، كما زار بلدان في الساحل الإفريقي مثل تنبكتو وجني ومالي وكوكو وأعطى إشارات عن بلاد بورنو، ثم ذهب إلى تكدا ليعود إلى سجلماسة، التقى بعدة شخصيات من بينهم رجال دولة، والمعلومات التي أوردها بن بطوطة في هذه المرحلة معلومات أصيلة صدرت من مصدر يعد أول رحالة يجوب الآفاق المجهولة في الصحراء ويكتب عن مشاهدته مباشرة .

- وصف إفريقيا، للحسن الوازان المعروف بليون الإفريقي، يعتبر ثاني مصدر من كتب الرحلات، اعتمدنا عليه نظرا للأهمية التاريخية والجغرافية للمعلومات التي يكتبها، خاصة في تحديد بعض الأماكن من خلال رحلته رفقة عمه التي زار فيها توات وبعض أقاليمها مثل تسابيت وقورارة، حيث وصف مبانيها وعادتها وتقاليدها وتجارتها ومراسيمها وعلاقاتها فيما بينها وبين العالم الخارجي، كما زار بلاد الساحل الإفريقي وذكر تنبكتو التي كانت في وقته في قمة مجدها العلمي والتجاري كما زار ولاتة وجني ومالي وغوبير وأقدز وكانو وكاتسينا وبورنو التي أشار إليها باستفاضة وذكر بعض الأسماء الواقعة في المنطقة مابين غانا وبورنو والتي لم يذكرها البكري والإدريسي من قبله.

- كتاب المختار الكبير الكنتي التصوف والعلم بأزواد بإفريقيا لأحمد الحمدي، والكتاب عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية نوقشت في كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران سنة 2008وقد قامت وزارة الثقافة بطبعه سنة 2009في

المهرجان الثقافي الإفريقي، استفدنا منه في ترجمة الشيخ المختار الكبير الكنتي والتعريف بالمدرسة الكنتية في الازواد ببلاد الساحل الإفريقي والعلوم التي كانت تدرس فيها.

– كتاب توات والازواد لمحمد حوتية، وهو كذلك عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ نوقشت في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر سنة 2004، وقد استفدنا من هدا الكتاب باعتباره دراسة تاريخية واقتصادية، وثقافية وروحية اجتماعية لمنطقة توات الازواد وقد حاول أن يزاوج بينهما باعتبارهما يتشابهان في الكثير من الخصائص.

– كتاب حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، للمهدي رزق الله عوض، وهو عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ نوقشت في جامعة الأزهر استفدنا منه خاصة في العلاقات العلمية والتجارية بين بلاد السودان وبلدان المغرب وأهمية ومكانة العلماء المغاربة في بلاد الساحل الإفريقي ودورهم في إثراء الحركة العلمية كما ترجم لبعض الشخصيات العلمية التي كانت لها مساهمة فعالة في المجال العلمي .

– كتاب العلاقات الثقافية بين توات وبلاد السودان الغربي خلال القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي، لمبارك جعفري وهو عبارة عن مذكرة ماجستير نوقشت في جامعة الجزائر وقامت وزارة الثقافة الجزائرية بطبعها في المهرجان الثقافي الإفريقي سنة 2009 وقد استفدت منه في معظم فصول البحث خاصة ما تعلق بالقرن الثاني عشر الهجري .

– كتاب الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100 هـ. وهو لأبي بكر إسماعيل ميغا استفدنا منه في التعريف ببعض الشخصيات التواتية ببلاد السودان، ومكانتها العلمية ودورها الحضاري، خاصة في إثراء العلاقات العلمية، وذكر مراحل التعليم ومواد التدريس وأماكنه في بلاد السودان بالإضافة إلى دور الشيخ المغيلي الإصلاحي والتعليمي في هذه المناطق وما ترتب عنه من ازدهار للحركة العلمية واعتناء مؤسسات الحكم بها .

– موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي خاصة الجزء السادس الذي يتضمن الإسلام والدول الإسلامية في بلاد الساحل الإفريقي منذ أن دخل الإسلام هذه المناطق حتى هذه الفترة وقد اعتمدت على هذا الكتاب في تبيان هذه الدول والشعوب التي سكنت هاته المناطق.

– كتاب "كنتة الشرقيون" وهو للمستشرق الفرنسي بول مارتي والذي استفدت منه في التعريف بقبيلة كنتة، من حيث أصولها وفروعها والحواضر التي أسسها الكنتيون كمراكز علمية في قلب الصحراء والتي تمثل إرث مشترك بين منطقة توات وبلاد الساحل الإفريقي .

– كتابي (الواحات الصحراوية) و(أربعة قرون من تاريخ المغرب) وهما للضابط الفرنسي مارتان حيث تكلم فيهما عن تلك الحواضر التي كان لها دور في التجارة الصحراوية مثل توات ومالها من أهمية في العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد الساحل الإفريقي.

– ومن المقالات التي لامست الموضوع في تحديد جوانبه نذكر منها مقال الباحث الحمدي أحمد بعنوان " الوظائف الدينية بإيولاتن في عهد الإمارات القبلية، وهو مقال نشر في مجلة عصور التي تصدر عن مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، العدد12-13-14-15/ 2008- 2009.، استفدنا منه عند تطرقنا لحاضرة ولاتة إحدى حواضر بلاد الساحل.

– مقال عبد الله عباس الدور الحضاري لمنطقة توات في الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت أفريل 2009 تحت عنوان توات وعلاقتها بحواضر المغرب الإسلامي استفدنا منه في التعريف ببعض الهجرات العربية من بلاد توات إلى بلاد الساحل الإفريقي وذكر بعض القبائل خاصة كنتة و فلان، كما ذكر بعض الشخصيات الصوفية التي أثرت في الحياة العلمية ببلاد الساحل الإفريقي كالشيخ عبد المالك الرقاني.

– ومن المذكرات والأطروحات التي لها علاقة بموضوع الدراسة اعتمدنا على مجموعة كبيرة نذكر منها:

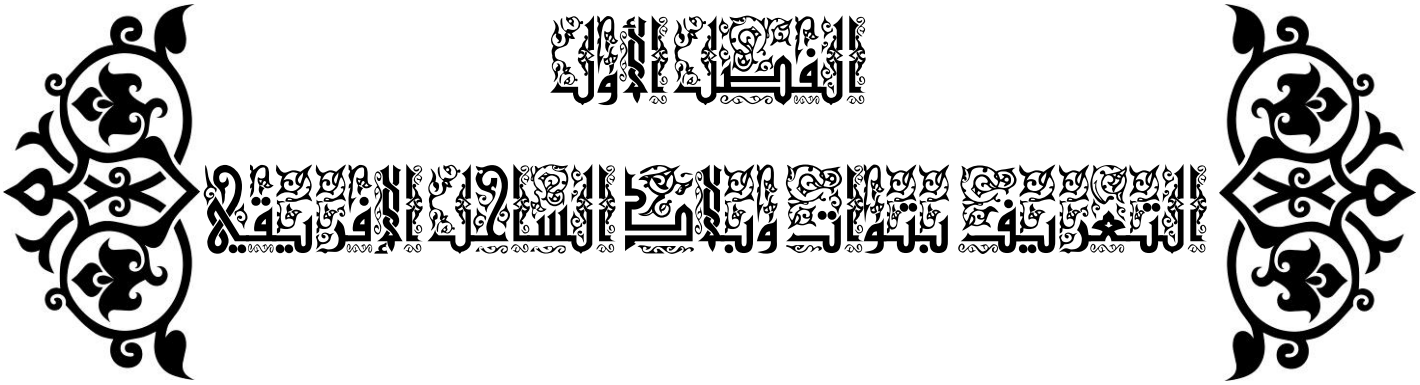
- أطروحة الباحث : خالدي مسعود بعنوان : الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء(السودان الأوسط والغربي). وقد نوقشت في جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 2008- 2009.، استفدنا منها في تبيان مكانة الجاليات العربية والبربرية في بلاد الساحل الإفريقي على العموم، والجالية التواتية على الخصوص. بالإضافة إلى تزويدنا بمعلومات عن بعض الحواضر العلمية في بلاد الساحل.

أما منهج البحث فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على سرد الأحداث والوقائع التاريخية ووصفها وصفا دقيقا ومفصلا، إضافة إلى المنهج الاستدلالي الذي يعتمد على الحقائق والشواهد التاريخية لتوضيح هذه العلاقة.

هذا وقد واجهتنا عدة صعوبات منها ما هو طبيعي يتعرض إليه كل باحث مبتدئ، سواء تعلق الأمر بالتحكم في جوانب البحث ومنهجيته، واستغلال الوقت خاصة، في جمع المادة العلمية المتعلقة ببلاد الساحل الإفريقي التي كان بعضها قليل غير متوفر والبعض كتب باللغات الأجنبية، ضف إلى ذلك تناثر المعلومات الخاصة بصلب الموضوع في بعض الكتب الفقهية والأدبية، مما صعب عملية البحث.

جُل ما تحصلنا عليه من مراجع وحتى بعض المصادر هو من المكاتب الالكترونية، مما يصعب علينا عملية التعامل مع مرجعين أو ثلاثة في وقت واحد، فالتعامل مع المراجع الالكترونية أصعب بكثير من التعامل مع المراجع الموجودة في أيدينا.

تلكأ كثير من أصحاب خزائن المخطوطات في مساعدتنا ببعض المخطوطات، التي لها علاقة بالموضوع فالكثير منهم وعدنا لكن لم يكن عند وعده.



الفصل الأول

التعريف بتوات وبلاد الساحل الإفريقية

أولا: توات

أ- أصل التسمية والموقع

ب- السكان

ج- الخلفية التاريخية

ثانيا: بلاد الساحل الإفريقي

أ- أصل التسمية والموقع

ب- السكان

ج- الخلفية التاريخية

أولا: التعـريف بتوات:

أ- أصل التسمية والموقع:

ذكرت توات في العديد من المصادر التاريخية، ووصفت من قبل الرحالة و الجغرافيين[1]. إلا أنهم اختلفوا في أصل تسميتها ومدلولها، لذلك تعددت أراهم وتضاربت أقوالهم، فمنهم من يرجعه إلى أصول بربرية، باعتبار أن قبائل زناته أول من سكن الإقليم، وهناك من يرجعه إلى أصول عربية، باعتبار إن المنطقة عرفت انتشار الإسلام وأصبحت تتكلم العربية، وهناك من يورد حادثة تاريخية ويسقطها على مدلول اللفظ، وسنحاول رصد هذه الروايات سواء العربية أو الغربية منها.

- عبد الرحمان السعدي :يذهب إلى أن أصل الكلمة "تكروري" يعني وجع الرجل، ويورد لذلك قصة عن سفر سلطان مالي كنكن موسى[2]إلى الحج في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، رفقه جماعة من جنده وحاشيته، فلما وصلوا هذه الديار، أصيب بعضهم بمرض معروف عندهم باسم توات حيث يقول:" ومشى طريق ولات في العوالي وعلى موضع توات فتخلف هناك كثيرا من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي، تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها فسمي الموضع باسم تلك العلة".[3]

- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي :ت1374هـ، 1955م في كتابه درة الأقلام لإخبار المغرب بعد الإسلام حيث يرى إن أصل تسمية توات يعود إلى الدولة الموحدية

---

[1] كابن بطوطة ت1378.779 م كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار والمشهور برحلة ابن بطوطة،كذلك ذكرها ابن خلدون ت1406.808 م في كتابه العبر . والمعروف بتاريخ ابن خلدون، وكذلك العياشي (ت ق 11هـ 17 م) في كتابه ماء الموائد، المعروف بالرحلة العياشية.

[2] كنكن موسى هو: احد مولوك دولة مالي تولى الحكم سنة 712هـ . 1312 م 1337 م ويعتبر من أشهر حكام أسرة كيتا، امتدت في عهده امبراطوية مالي لتسيطر على طريق الذهب والملح، قام برحلته المشهورة إلى البقاع المقدسة 725. 1325 م التي لفتت أنظار الدولة الإسلامية نتيجة الثراء والبذج اللذان صاحبهما فيها، استمرت فترة حكمه لمدة خمسة وعشرين سنة انظر : ، جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة . د ط، ص ص 72-76.

[3] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس،باريس 1981. ص07.

في عهد المهدي بن تومرت [1]، الذي أرسل قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن سنة 518هـ 1124م لقبض الاتوات من أهل الصحراء فاستضعفوا وقالوا : لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة .فأمر عامله، أن يجمع الرطب والعنب ومختلف الثمار، وعاود ذلك في العام الثاني، حيث أمر عامليه بتخريص الأشجار وقبض الاتوات كيلا ووزنا، فعرف أهل هذه الأقاليم بأهل الاتوات[2]، فحذف المضاف وبقي المضاف إليه وقد وجد لهذا اللفظ مستندا في اللغة، حيث أن التوات هو الفاكهة والجمع أتوات.[3]

– محمد الأنصاري الرصاع صاحب الفهرست يذهب إلى أن اسم توات نسبة لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء فيقول :" والملثمون هم من قبائل الصحراء، بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ومنهم طوائف التوارق، ولمتة، ولمتونة والتوات[4].

– الشيخ احمد الطاهري الإدريسي : ت1339هـ .1979م الذي علل سبب تسمية توات بهذا الاسم لأنها تُواتي للعبادة، وذلك بسبب عزلتها وابتعادها عن طريق الاضطرابات، وهذا ما يذكره في كتابه نسيم النفحات بقوله :".... سميت توات بهذه الاسم لأنها تواتي

[1] المهدي بن تومرت، هو محمد تومرت الملقب بالمهدي، من قبيلة هرغة إحدى بطون قبائل المصامدة ولد سنة 485 هـ،1092م في منطقة السوس بالمغرب، حيث شب على حب العلم قام سنة 514هـ 112 م في منطقة السوس في صورة ناه عن المنكر آمر بالمعروف جمع حوله أنصارا كثر آمنوا بأفكاره،التقى به عبد المومن بن علي الكومي فأقنعه بفكرة الخروج على الدولة المرابطية حيث كون جيشاً استطاع به دخول مراكش سنة 516 هـ توفي في رمضان سنة 524هـ 1130م .انظر: عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب دار= =الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994، ص 155 وما بعدها وكذلك السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج2 تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1954 ص ص 88.71.

[2] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة أحمد ديدي، تمنطيط، أدرار، ص 03.

[3] أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ج1،ط4،المطبعة الأميرية، القاهرة 1921، ص 108.

[4] الرصاع محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تونس،طبعة حجرية،1967، ص 127 .

للعبادة، أي تليق بها لان كل من قدم اليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة"[1] فهو انطلق من كونها مواتية للعبادة فمعظم العلماء والأولياء اتخذوها مقر للخلوة والتعبد.

– محمد بن مبارك: فيذكر أن كلمة توات أصلها أعجمية، قد أطلقها قبائل من لمتوتة الصنهاجية عندما التجأت إلى الإقليم في منتصف القرن السابع الهجري بعد أن وجدوه مناسبا لهم.[2]

– احمد العماري[3]: يعتبر أن اسم توات بربري الأصل يعني الواحات ، وبالتالي فهو يجاري بهذا الرأي ما ذهب إليه صاحب كتاب "مناهل الصفا" [4]عندما قال أن توات معناها الواحات.

أما الرواية العربية المعاصرة والتي انتشرت في الآونة الأخيرةمنها لأحمد بوساحة، والتي تعتبر أن كلمة توات تطلق على الأماكن المنخفضة، وهذا في اللهجات البربرية حيث يورد تمثيلا لذلك فيقول "أن المقصود بكلمة توات في جسم الإنسان هو ذلك الجزء الداخلي من الجسم والذي يقع تحت القفص الصدري كما يذكر أن ثنايا أمعاء الحيوان يطلق عليها توات"[5].

أما الروايات الغربية التي اقتحم أصحابها مجال البحث في الدراسات الإفريقية وكان معظمهم رحالة يعملون لخدمة الأغراض الاستعمارية فجاءت كما يلي:

مارتان(Martin):وهو رحالة فرنسي اعتبر أن ا صل كلمة توات إغريقي، وأورد لذلك اشتقاقات لها حيث يقول أن المكان الخصب الصالح للزراعة والذي يسكنه الناس يطلق عليه

---

[1] الطاهري احمد الإدريسي،نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، تحقيق: عبد الله الطاهري، 2010، ص 57.

[2] محمد بن مبارك، تاريخ توات، مخطوط بخزانة المنصور اقبلي أولف أدرار، ورقة 01.

[3] العماري أحمد،توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب 1850 . 1902 م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس،المغرب، ط، ص11.

[4] الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق : عبد الكريم كريم الرباط، مطبوعات وزارة الاوقاف، 1972، ص73

[5] بوساحة أحمد، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة الجزائر،2002م، ص79.

عند الإغريق بالكلمة اليونانية وازيس التي تبدأ بـ (واoa–)والتي أعطت الكلمة البربرية (وا) – oua وهذا اللفظ يدل على الجمع الذي مفرده توات (TOUAT)مثل (تواتن عبو – Tout'nEbbou) والتي تعني بالبربرية واحة الماء [1]، وهذا اللفظ يطلق عند الجغرافيين على الواحات التي تحمل هذا الاسم بالحوض الشرقي لوادي الساورة ووادي مسعود، وهو ما ذهب إليه كل من الرحالة ماندوفيل[2](Mandeuville)، و إليزي روكليس[3] (ElSiéeReclus) .

وفي الأخير يمكن أن نناقش هذه الأقوال المتضاربة والتي تحتاج إلى سند قوي لترجيح بعضها على بعض، لكن يمكن مناقشتها من الناحية التاريخية والمنطقية، لنستنتج أن ما ذهب إليه السعدي يعتبر تأويلا تاريخيا لا يستند إلى دليل وذلك باعتبار أن المنطقة كانت عامرة قبل زيارة السلطان المالي إليها، وبالتالي كيف يعقل أن تكون طوال هذه الفترة بدون اسم؟

أما الرأي الذي ذهب إلى أن توات هي من الإتاوة فهو بعيد عن الصواب، لأنه إذا كان كل إقليم أدى الإتاوة للدولة الحاكمة سمى توات لكثر هذا الاسم وانتشر في سائر الأقطار والأقاليم [4]، كما أن المؤرخ التواتي محمد بن عبد الكريم وقع في تناقض خاصة عندما أكد أن سكان الإقليم قبل الإسلام من العجم فكيف يكون سكان الإقليم من العجم والاسم له اشتقاق من اللغة العربية؟ .

رأي الشيخ أحمد الطاهري الإدريسي فهو رأي على إطلاقه باعتبارها مواتية للعبادة لأن هناك عدة أماكن تواتي للعبادة في بلاد المغرب الإسلامي فلماذا لا تسمى بتوات؟

---

[1]MARTIN, A.G.P .quatres siècles d'histoire marocaine sahara de 1504 à 1904 auA LC am1923. P 45 . Maroc.

[2]MandeuvilleG , L'Algérie méridionale et Touat , Paris , 1898, P 08.

[3]EliSéeReclus, Novelle Géographie universelle ,T.XI (L' Afrique septentrionale) Paris , 1886, p845.

[4] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، بلعباس، الجزائر، 2012، ص 20.

وبالتالي أرجح الآراء هي التي تقول ببربرية الكلمة، والدليل على ذلك أن البربر من زناتة والملثمين هم أول من سكن المنطقة خاصة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، وهو التاريخ الذي عرف أول ذكر لهذا الاسم عند المؤرخين، كما أن أسماء القصور التواتية كلها بربرية فكيف يكون الفرع بربري والأصل عربي؟. وأن معظم أسماء البلدان تبدأ بحرف التاء: مثل تمنطيط، تمالت، تسفاوت، تيط، تسابيت، تيميمون.. وهو ما ينطبق على اسم توات [1].

وقد عزز هذا الرأي الرحالة الألماني "جيرهارد رولف" الذي زار توات في سنة 1281هـ 1864م حيث لاحظ وجود تسميات بربرية لأسماء القصور والتمور مثل تينيلان، تيمي .. ومن أنواع التمور مثلا: تنحوت، تنسوة، تنتومرت.. مما يفيد أن قبائل الطوارق، أو بني عمومتهم من صنهاجة اللثام، أو حتى قبائل زناتة كانوا يوما ما أهل هذه البلاد لوجود مثل هذه التسميات أو ما هي على وزنها المبتدئ بـ "ت " أو " تن" .[2]

وتضم منطقة توات ثلاث أقاليم: قورارة، توات الأوسط وتيديكلت، لذلك فهي تمتد من منطقة تبلكوزة بإقليم قورارة شمالا إلى فقارة الزوا بإقليم تيديكلت جنوبا، وبهذا فان منطقة توات تقع في الجهة الشرقية للقسم الجنوبي من وادي الساورة، في جنوب غرب الصحراء الجزائرية يحدها شمالا العرق الغربي الكبير ووادي الساورة، وعرق الراوي ومن الجنوب الغربي يحدها عرق شاش وسبخة مكرغان وصحراء تنزروفت من الجنوب الشرقي وغربا يحدها واد مسعود، وشرقا هضبة تادمايت، وبهذا التحديد فان منطقة توات تمتد بين خطي طول 01 شرقاً و04 درجة غرباً وبين دائرتي عرض 26 و30 درجة شمالا[3].

[1] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي، خلال القرن 12 هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 30.

[2] Gehard Rollfs , Voyages et exploration au sahara , Tome 01 , P 219.

[3] عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص17.

ب- السكـان:

يتكون المجتمع التواتي من مزيج من الشعوب والأجناس التي توافدت عليه لتشكل فسيفساء بشرية تعود إلى تلك الهجرات التي شهدها عبر تاريخه الطويل، باعتباره همزة وصل بين المناطق الشمالية والجنوبية ونتيجة لوقوعه في مأمن عن المناطق ذات الاضطرابات وكثرة الصراعات، مما جعله نقطة جذب للشعوب الباحثة عن الأمان و الاستقرار حيث هاجرت إليه من منذ أزمنة غابرة فرادى وجماعات.

البربر: يتفق المؤرخون على أن أول من سكن توات من الأقوام هم البربر، وأكد هذا محمد بن عبد الكريم التمنطيطي بقوله " اتفق المؤرخون على أن أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه"[1] حيث هاجرت هذه القبائل البربرية من الشمال إلى الجنوب في اتجاه الصحراء نتيجة تعسف المحتل الروماني والبيزنطي وإرهاق الأهالي بالضرائب إضافة إلى اضطراب الأمن العام[2] ، وقد مثلت منطقة وادي امقيدن التي تقع شمال تينجورارين نقطة مركزية لاستقرار القبائل البربرية[3] الوافدة نحو توات وتيدكلت لتزداد هذه القبائل بعد الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا وتوغل قادة الفتح باتجاه المناطق الجنوبية لبلاد المغرب [4]، مما أرغم بعض القبائل البربرية على الاستقرار في الواحات التواتية كبودة وتسابيت وتينجورارين .

وتعتبر القبائل الصنهاجية لها سبق الاستقرار في المنطقـة وهذا ما يؤكده ابن خلدون عند ما يشير إلى القبائل الأولى التي استوطنت توات فيقول " هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون بالقصر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعد وفي المجالات من قبل الفتح لا يعرف

[1] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي درة الأقلام، مصدر سابق، ص 05

[2] إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1983، ص 194.

[3] بن سوسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات – تمنطيط نموذجا- من القرن 6 هـ إلى القرن 13 هـ مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008، ص 22.

[4] موسى لقبال، المعسكر الإسلامي منذ بناء معسكر القرن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص 129 وانظر: عليق ريحة،قصر ملوكة دراسة أثرية، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2002-2003،ص21.

أولها .وصاروا ما بين بلاد السودان حجزاً واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم وعقوا في تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من قدالة، فلتمويه، فمسوقة، وتريكة – ثم لمطة إخوة صنهاجة كلهم بين البحر إلى غدا مس وكانت الرياسة فيهم للمتونة"[1].

أما المؤرخ ابن بابا حيدة يشير في كتابه القول البسيط في أخبار تمنطيط، إلى أن أول من نزل بتمنطيط وبنى القصر الأول هم اللمتون أولاد الملك يوسف بن تجفشت (تاشفين) حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس على يد الموحدين فجاءوها هاربين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات وجدوا بها الجدب فعرفوا أنها أرض أمان لأن الجند لا يطيق المقام بها ولا مطمع له فيها فبنوا للسماء وحفروا الماء واستوطنوا وكان أول قصر بنوه بها هو "تيلوت"[2] وقد عزز هذا القول الرصاع صاحب الفهرست عند تحديده لأصل كلمة توات كما سبق ذكره أنها لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء حيث يقول" الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب ومنهم طوائف الطوارق ولمتة ولمتوته والتوات[3]".

كما أن للآثار والنقوش الموجودة على الصخور في منطقة تيدكلت (آولف) وهي عبارة عن رسائل متبادلة بين القوافل التجارية مكتوبة بحروف التفيناغ[4]، وهذه الحروف هي حروف اللغة التارقية، يضاف إلى هذا رواية أسطورية يرويها الطوارق فحواها إنهم ينحدرون من امرأة تدعي "تينهينان" قدمت من تافيلالت في المغرب إلى منطقة توات مع امرأة خدمتها تدعى " تاقاما " و أنجبنت بنت تدعى "كلة" إليها ينسب أفراد قبيلة "كيل أغلا " أما"تاقاما" فأنجبت بنتين تفرعت عنها قبائل "أمغاد"، "دقا غالي"، "وأبت أعيان" واستقروا هناك في رخاء

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ج6، ص371.

[2] ابن بابا حيدة القول البسيط، تحقيق: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص16.

[3] الرصاع، مصدر سابق، 127.

[4] بن سويسي محمد، العمارة الدينية، مرجع سابق، ص ص 19.18.

ورغد من العيش مما أثار حفيظة القبائل المجاورة في تيديكلت وهذه القبائل هي قبائل صنهاجة، وهم:" بنو كيل ، أهم بيت، "بنو تيجهي مليت"، دخلوا في صراع معهم ما أدى إلى نزوحهم جنوباً إلى منطقة الهقار وإجبار الرحل منهم على الاستقرار والتكتل في أماكن قريبة لمواجهة الأخطار المشتركة[1]، ويدعم هذا رواية أخرى تروى في توات مفادها إن كلمة رقان إحدى قصور الإقليم تعني الجمل الكبير النائم، وسميت بهذه الاسم لأن الجمل الذي كانت تمتطيه تينهينان ملكة الطوارق مات هناك ومنذ ذلك الحين أصبح المكان يسمى به[2].

كما وفد على الإقليم مجموعة أخرى من القبائل البربرية وهي زناتة، وذلك بعد اندثار دولتهم على يد الموحدين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وما نتج عنه من تعقبهم خاصة قبيلتي بني يفرن ومغراوة[3] اللتان قتل أميرهم مسعود بن وانه المغراوي حيث نزحت أعداد كثيرة منهم ونزلت بناحية تينجورارين ووادي الحناء من توات الوسطى، يقول ابن خلدون "وسكن المناطق الأخرى من الصحراء قبائل زناتة قصور تيقورارين على عشر مراحل من تلمسان وتنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في وادي واحد في الجنوب الغربي منها قصور توات... وبعدها تمنطيط.[4]" ويعزز هذا الكلام السلاوي الناصري عند حديثه عن قبائل زناتة "...اختطت زناته بالقفر قصور متعددة مثل توات وبودة وتمنطيط وتينقورارين وكل واحدة من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة، أكثر سكانها من زناتة . "[5] وهذا ما ذهب إليه

[1] عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 09 و10هـ 15و16، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 200.2001، ص ص 43.42

[2] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات،ج1، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 22.

[3] فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18. 19، مرجع سابق، ص 05.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص ص 11-12

[5] السلاوي الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، مصدر سابق،ج3،ص 17.

الفشتالي أثناء تعريفه لتوات فيقول: " و القطران توات و تينقورارين من أعظم أقطار المعمورة بما جمعاه من الأمم والقصور ويضم أمم كثيرة أغلبها من قبائل زناته"[1].

وحطت قبائل زناته بتوات في إقليم تينجورارين وهي اليوم مشكَّلة بأغلبهم يتكلمون اللهجة الزناتية إلى الآن، وكثير من قصور تنيجورارين خالصة اليوم للعنصر الزناتي، أما في توات الوسطى فقد حطّت قبائل زناتة في قصور بودة، وتمنطيط وجابوا توات و أقاموا لهم على شفير الوادي بساتين وقصور منها قصر بوزان وتورير وأقبور والشارف[2] وهذه المنطقة قد تعربت ولم يبق من اللهجة الزناتية إلا أسماء القصور والأشياء أما كلهجة فقد اندثرت ولم يبقى لها وجود.

العــرب : هي المجموعة الثانية التي دخلت توات واستقرت، بها خاصة مع بداية القرن السابع الهجري بعد أن كانت لهم علاقات مع المنطقة كالمعاملات التجارية التي كانوا يمرون من خلالها إلى بلاد الساحل الإفريقي بالإضافة إلى العامل الديني وهو نشر الإسلام بين القبائل البربرية المستقرة في المنطقة، ويعتبر عرب المعقل[3] أول العرب تروحاً إلى توات بعد ما تنتهي بهم رحلة الرعي في فصل الشتاء بحثاً عن الكلأ لماشيتهم[4]، وقد استغلت هذه القبائل ضعف أمراء بني مرين في المغرب الأقصى فقامت بالنزوح إلى القصور والواحات الواقعة في مجال سيرهم في الصحراء، فجاوروا قبائل زناتة في القفار الغربية . حيث أنبتوا صحاريه و عمروا رماله وتغلبوا في فيافيه، وكوَّنوا هناك أحلافا مع زناتة سائر أيامهم فملكوا القصور التي

[1] الفشالي عبد العزيز، مناهل الصفا، مصدر سابق، ص 73.

[2] بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112- 1421 هـ، - 2000.1700 م،مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012-2013م،ص 11.

[3] عرب المعقل: من العرب اليمنية القحطانية، نسبة إلى معقل بن الحارث،كانوا في القرن الثامن الهجري من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بالمغربين الأوسط والأقصى، مجاورين لبني عامر بن زغبة بقبلة.تلمسان. انظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج 03، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1977، ص 1123 .

[4] ابن خلدون، المصدر السابق،ج 06،ص702.

شيدتها القبائل الزناتية من قبل، مثل قصور السوس[1] غرباً، ثم التوات وبودة وتمنطيط وتيقورارين وتسابيت شرقاً، وصارت لهم مكانة عالية في المنطقة فأصبحوا يفرضون الضرائب والإتاوات على السكان و"صارت لهم جباية يعتدون فيها مُلكاً [2]"وقد تفرق بنو معقل إلى ثلاثة بطون في الصحراء وهي ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان آما ذوي عبد الله " فمواطنهم ما بين تلمسان ووجدة وتنتهي رحلتهم في القفار إلى قصور توات وتمنطيت، وربما عاجوا ذات الشمال إلى تسابيت وتوكرارين[3].

ومن أهم فروع ذوي عبد الله في توات هم المطارفة، الغسل، المهايا، الجعاونة[4].

أما ذوي منصور[5]، فقد سكنت فروع منها في منطقة تينجورارين، أما بنو حسان[6] فبعض فروعهم سكنوا تينجورارين وتمنطيط وكان لهم نفوذ في هذه الأخيرة خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي[7] .

كما شهدت توات الوجود الهلالي[1]، الذي دخلت فروع منه عبر وادي امقيدن، ثم استقرت ناحية تينجورارين منهم أولاد محمد في قصر دلدول وأولاد طلحة وأولاد عياش وأولاد

---

[1] السوس : هي منطقة واقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب، تبدأ غرباً من المحيط الأطلسي وتنتهي جنوباً في رمال الصحراء وشمالاً عند جبال الأطلسي وشرقاً عند نهر السوس . انظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط2،1983، ص 113.

[2] ابن خلدون مصدر سابق ج6، 119.

[3] نفسه، ص 123.

[4] جعفري مبارك، مرجع سابق 43.

[5] ذوي منصور من أهم فروعها أربعة أولاد حسين، أولاد أبي الحسين وهما شقيقان، والعمرانة أولاد عمران ابن الحسن فعجزوا عن الظعن فنزلوا قصور ما بين تافيلات وتنجورارين، انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 127.

[6] بنو حسان : هم ثلاثة أبناء دليم، ودي، حم، انتشر دليم و أبناؤه في منطقة وادي الذهب على ساحل الأطلسي و انتشر ودي و أبناؤه في بلاد شنقيط إلى أطراف السودان، وكان حم وأبناؤه في قلب الصحراء من أكيدى إلى نهر النيجر، وكان لحم ولد اسمه شبل في بلاد شنقيط فصار خلاف مع أبناء عمومتهم أولاد رزق بنو ودي، الذين أقاموا إمارة في بلاد شنقيط فاضطر أولاد شبل للنزوح بعيدا، فانتشروا في المنطقة بين النيجر وتوات،= =وهناك فرع من أولاد شبل بنو حم بن حسان في منطقة توات يسمون البرابيش . انظر : بول مارتي، البرابيش بنو حسان، تعريب وتعليق : محمد بن ودادي، مطبعة زيد، دمشق، د.ت، ص 16.

[7] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 44.

بوعلي وسموا بأولاد محمود[2] ، وقبائل الخنافسة الذين استقروا في وادي الحجار بمنطقة تينركوك، وشيئا فشيئا بنوا قصور تبلكوزة وعين حمو وفاتيس وأولاد عيسى[3].

وابتداء من (665هـ 1266م) عرفت منطقة توات الوسطى دخول قبائل هلالية قصور كل من تسابيت ورقان وتمنطيط[4].

أما قبيلة كنتة[5] فقد عرفت النزوح إلى المنطقة ابتداء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، حيث أسست قصور كل من الجديد وزاوية كنتة وأقبلي بتديكلت، وانتهاء بانتشارها في الصحراء وبلاد الساحل الإفريقي، وقد أقامت عدة زوايا للعلم. وتوافد على توات أفراد من قبائل عربية ابتداء من القرن السادس الهجري، تبعتها هجرات جماعية في فترات متأخرة من القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر ميلادي متمثلة في قبائل تنتسب إلى البيت النبوي ، كان أول دخول لهم بدءا بالعالم سليمان بن علي الذي جاء قادما من المغرب الأقصى سنة (550هـ.1156م)[6] ثم تبعته قبيلة الحموديين[7]، وهم من نسل إدريس الأكبر ثم جاء العلويين في فترات متأخرة بعد أن دب الخلاف في الأسرة العلوية الحاكمة في المغرب فانتشروا في توات و تصاهروا مع القبائل العربية الأخرى، خاصة في منطقة تاوريرت [8]

---

[1] بنو هلال، هم قبيلة عربية ينتهي نسبها إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر كانوا في شبه الجزيرة العربية ثم انتقلوا إلى مصر انظر: عبد الحميد الخالدي الوجود السلمي الهلالي في الجزائر،دار هومة، الجزائر، ط 2003، ص 13.

[2] هناك قصر يعرف بهذا الاسم وهو موجود إلى الآن في منطقة تينجورارين شمال ، ولاية أدرار تابع لبلدية المطارفة يبعد عن مقر الولاية بـ:100 كلم.

[3] مقدم مبروك، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، دار هومة،الجزائر، ج1، 2005، ص 89 .

[4] خير الدين شترة ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصطلح الثائر وفكره الإصلاحي في توت والسودان الغربي،ج1 ، دار ابن طفيل، الجزائر، 2012، ص142.

[5] انظر الفصل الثالث من هذا البحث.

[6] احمد جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث،،مكتبة النهضة،القاهرة، ط1، 2009، ص40 .

[7] محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام، مصدر سابق،ص 02.

[8] Martin A.G.P.C.T.P13.

برقان وكانت لهم فروع في كل من تيدكلت وتوات الوسطى، وتينجورارين، بالإضافة إلى عرب تواجدت في الإقليم مثل الزوى[1]والجعفريون[2] ، والأمويين[3]، والفلان[4].

وقد عمل هؤلاء العرب في الزراعة وشق الآبار حيث كانت بيد قبيلة أولاد علي بن موسى[5]بتمنطيط ديوان الطلب الذي تدون فيه أعداد الفقاقير وموظفيها على طول كامل الخط التواتي. كما مارس البعض منهم التجارة مع بلاد الساحل الإفريقي والأقاليم الشمالية فانتعشت على أيديهم الحياة الاقتصادية، وضربت قبيلة أولاد داود بن عمر السكة لتسهيل العمليات التجارية[6] ، بعدما كانت تتم بالمقايضة، وكان لهم الفضل في إدخال الحمامات وتشييدها خاصة في مدينة تمنطيط ذات الأهمية التجارية الكبرى، بالإضافة إلى أنه كان منهم الحدادون والنجارون والعطارون والدلالون الذين يجوبون البيوت بالسلع المختلفة[7]، وهذا ما أدى إلى زيادة توطين القبائل العربية في الأقاليم وبالتالي التطور الثقافي للإنسان التواتي.لتزدهر الصناعة التقليدية والتجارة واختلاط القبائل ببعضها[8].

---

[1] يرجع نسبهم إلى الصحابي الجليل ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) وهم من أبناء الشيخ عبد القادر بن محمد دفين الأبيض سيد الشيخ ومواطنهم بين عين صالح وتيدكلت ومنهم فروع في تينجورارين، انظر: الطاهري أحمد الإدريسي، نسيم النفحات، مصدر سابق، ص 11.

[2] يرجع نسبهم إلى الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)وقد على توات من نسله أخوان هما عمر الأول في قصر بوحامد (بزوايةكنتة) والثاني عمر في قصر بودة)،ومن هذين الرجلين توزعت الأسرة الجعفرية بتوات انظر:- احمد ابا الصافي جعفري، رجال في الذاكرة، محمد بن المبروك البدوي الجعفري حياته وشعره، منشورات الحضارة،الجزائر، ط 1، 2005، ص 11.

[3] يرجع نسبهم إلى الصحابي الجليل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهم متواجدون بتينيلان وفرع منهم بمهدية أدرار وفرع في بودة انظر:- عبد العزيز سيد عمر . قطف الزهرات من إخبار علماء توات، دار هومة، الجزائر، ط2، 2002، ص 09.

[4] وهذه القبيلة متواجدة بإقليم تيديكلت . وقد اختلف في نسبهم . فقيل من ذرية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وقيل من ذرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه وقيل من ذرية عقبة، وقيل من عرب حمير من أهل اليمن، انظر: محمد باي بلعالم قبيلة فلان بين الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومة الجزائر ط1، 2004 ص 05 وانظر الفصل الثالث من هذا البحث.

[5] أولاد علي بن موسى من القبائل العربية كان اول نزولهم بقصور بصلاح بتمنطيط وهم ينتسبون إلى الأدارسة، فهم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم اهل سنة ومروءة ورياسة، كان أول رؤوسا ئهم الشيخ عمر بن عبد الرحمن وآخرهم الشيخ بحم بن الحاج محمد، انظر ابن بابا حيدة، المصدر السابق ص23. 24.

[6] بخدا مريم، أعلام العائلة التينيلانية، مرجع سابق ، ص 17.

[7] ابن بابا حيدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص18.

[8] مقدم مبروك،مدخل منوغرافي، مرجع سابق ،ص 79 .

اليهــود : عرفت توات اليهود منذ فترات قديمة اختلف في سنة دخولهم إليها حيث يرجع بعض المؤرخين دخولهم إلى سنة 50 ق.م[1]، عندما استقروا في شمال إفريقيا وبالضبط في سرنيايك (ليبيا القديمة تحت إمارة حاكمها ثراجان) فهاجروا من هذه المنطقة واتجهوا نحو وادي غير أين استقروا في البداية ليكملوا رحلتهم إلى واحات توات [2].

بينما يرى البعض الأخر أنهم دخلوا إلى الشمال الإفريقي في العهد الفينيقي والروماني وتم اضطهادهم ليتجهوا نحو الصحراء أين وجدوا الأمن والاستقرار.[3]

اما المستشرق اليهودي يعقوب أوليل (Jacoboleil) يرى أن اليهود جاءوا إلى توات على ثلاث مراحل المرحلة الاولى كانت في القرن الثاني الميلادي من ليبيا، والمرحلة الثانية كانت في القرن السادس الميلادي، وكانت من بلاد شبه الجزيرة العربية ومن خيبر بالضبط اما الثالثة فكانت في القرن السابع الميلادي من الأندلس عن طريق المغرب تم إلى توات.[4]

اما الباحث فوزي سعد الله[5]، فيقول انهم جاءوا من الأندلس على فترتين الأولى نتيجة لإحداث أشبيلية والبالبار سنة 793هـ . 1391 م، والثانية نتيجة سقوط الأندلس سنة 897هـ .1492م.

وبالرغم من اختلاف هذه الروايات إلا أنها تثبت الوجود اليهودي في توات رغم اختلافها في تاريخ دخولهم إليها .

---

[1] يشير برنارد سافرو (Bermrdsaffray) إلى وصول جماعات يهودية إلى بلاد المغرب سنة 50 ق .م، ثم توات .وفي سنة 05 م وصلت جماعات إلى توات و أسست قصور منها قصر تاخفيفت، ثم تلتها جماعة أخرى من برقة بليبيا سنة 130 م، للمزيدانظر :

Bernard saffroy Chrohique du Touat Saharienne Ghardaia Algerie:1994 p1.

[2] عليق ربحة، قصر ملوكة، مرجع سابق، ص 21.

[3] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص ص 47.48.

[4] Jacob Oliel:Lesjuifsau Sahara، le Touatau moyen Age.chrsèditiam ، paris 1994، p15.

[5] فوزي سعد الله ،يهود الجزائر هؤلاء المجهولون،،دار الأمة، الجزائر، ط2،2004، ص49.

ومهما يكن فإن اليهود قد استوطنوا توات واشتغلوا بالتجارة وتحكموا في أصولها خاصة التجارة الصحراوية ، التي كانت تربط بين بلاد الساحل الإفريقي وبلدان الشمال الإفريقي، مما أدى إلى ازدياد عددهم فانتشروا في كامل الإقليم التواتي ، حيث عدَّد المستشرق اليهودي يعقوب أوليل عدد المناطق التي يسكنها اليهود قبل مجيء الإمام المغيلي إليها حوالي ثلاثين قرية ، تبدأ من تبلكوزة[1] شمالا إلى تاوريرت[2] جنوبا ، وأكثر المناطق كثافة باليهود هي في قرى توات الوسطى[3]، في كل من تاخفيف[4] وتازولت[5]وتيطاف[6] و تاسفاوت[7]وتمنطيط التي علت شوكتهم بها فزكت أموالهم وتحكموا في أسواقها، وقد أشار ابن بابا حيدة صاحب القول البسيط " انه كان بتمنطيط وحدها ثلاثمائة وثلاث وستون صائغا يهودي يتاجرون في الذهب والفضة[8] " ،وقد اعتبرت هذه الفئة طبقة ثرية في وسط المجتمع التواتي كونت ثراءها من الخدع والحيل والمعاملات الربوية عن طريق التجارة غير المشروعة ، واستغلال الضعفاء واحتكار السلع والبضائع [9]، كما عهدوا إلى دفع المال إلى بعض القبائل كقبيلة أولاد علي بن موسى من اجل توفير الحماية لهم وتجنب عنهم ظلم البربر الذين طلبوا منهم الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو مغادرة المنطقة ، واعتبرت هذه الهدايا مقابل الجزية[10]، وكانت فرقة من اليهود

[1] تبلكوزة تقع في إقليم تنيجورارين شمال مدينة تيميمون ب 70 كلم.

[2] تاروريرت تقع ببلدية رقان وتبعد عنها بحوالي 5 كلم الى الجنوب الشرقي .

[3] Jacob Oliel .op .cit. p140.

[4] تقع في بلدية زاوية كنتة وتبعد عنها 02 كلم جنوباً وتبعدعن ادرار بحوالي 77 كلم جنوباً.

[5] تقع في بلدية زاوية كنتة وتبعد عنها ب05 كلم جنوبا وعن ادرار بحوالي 80 كلم جنوبا.

[6] تقع في بلدية تامست جنوبا وويبعد عنها بحوالي 12 كلم وعن ادرار بحوالي 60 كلم جنوبا.

[7] تقع في جنوب ادرار وهي تابعة لبلدية فنوغيل تبعد عنها بخوالي 17 كلم.

[8] ابن بابا حيدة، القول البسيط، مصدر سابق ص 14.

[9] شبايبي ياسين،الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي 870 هـ 909 هـ، 1465م 1503م، مذكرة ماجستير،في الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران 2006. 2007 . ص،102.

[10] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي،تقييد حول تاريخ توات و تمنطيط، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين، تمنطيط، ورقة 01.

تدعى المهاجرية اعتنقت الإسلام إلا أنها لم تختلط بالمسلمين وامتنعوا عن مصاهرة القبائل الأخرى ، لذا كان شك حول إسلامهم فربما كان بهدف الحفاظ على مصالحهم أو أنهم اظهروا الإسلام وابقوا على يهوديتهم في السر[1] ، إلى أن جاء الإمام المغيلي الذي يعتبر أول من تنبه إلى خبثهم ومكرهم فأعلن محاربتهم وإجلاءهم وتطهير الإقليم منهم[2] .

وقد ساعدت عدة عوامل على توطين اليهود في توات عددها الباحث مبروك مقدم[3] كالتالي :

–المنطقة تعيش استقرار وهدوء بين الفصائل الاجتماعية، يقوم شيوخ القبائل ورؤساء القصور بدور الحاكم والمنظم للحياة العامة .

–بُعد المنطقة عن موقع الصراع الطائفي ، ومواقع أخذ القرار شجع السكان على التعامل مع القادمين إليها في إطار التجارة المرتبطة بالقوافل العابرة للصحراء.

– موقع توات الاستراتيجي، كونها تقع في مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال والجنوب

الأفارقــة :

استقر الأفارقة في توات إلى جانب البربر والعرب على فترات متفاوته ، وفي ظروف مختلفة فهناك من دخل توات مجلوبا إليها ومنهم من دخلها مهاجرا يبتغي أرضا غير أرضه فالمجلوبين هم أولئك الذين سلبوا من ديارهم مخطوفين ووجدوا أنفسهم في سوق النخاسة للبيع[4]، ومعظم هؤلاء من القبائل المسلمة التي حرَّم الفقهاء في توات بيعهم والمتاجرة بهم

[1] جعفري مبارك، مرجع سابق ص 49.

[2] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح، مرجع سابق، ص 175.

[3] مقدم مبروك، مرجع سابق، ص ص 82. 84.

[4] بخدا مريم، أعلام الزاوية التيلانيه ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11 و 12 هـ- 17 – 18 م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012- 2013 ، ص 18.

حيث ورد في هذا الصدد سؤال[1] من طرف الشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد التمنطيطي البكري إلى شيخه سعيد قدورة الجزائري يستوضحه عن أمر هذه الفئة من الناس، فبعث الشيخ سعيد قدورة بدوره إلى الشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي كان على دراية بهذا الأمر كونه ضاق مرارة الذل والعبودية يوم أن اخرج من تنبكتو مع أهله والخيرة من العلماء حفاة مقهورين ومجرورين حتى وصلوا الي بلاط السلطان السعدي المنصور الذهبي بمراكش ، وعند ما علموا بغزارة علمه وضعوه تحت الإقامة الجبرية[2] ، لذلك كان جوابه بتحريم هذا الفعل باعتبار هؤلاء الناس جلبوا قهرا من بلادهم[3]، وقد أوتي بهم من أسواق بلاد الهوسا مثل كوبر كاتسينا وبرنو وسكوتو خاصة بعد سقوط مملكة سنغاي[4]، وتعتبر هذه الفئة من المجتمع التواتي ذات أثر كبير خاصة في خدمة الأرض وحرثها [5]وشق الفقاقير، رغم ما كانت تعانيه من ظلم وتهميش وكان يطلق عليهم اسم الحراثين[6]، و إن كان في اللفظ اختلاف إلا أنه يرجح أن يكون نسبة الى خدمة الأرض وحرثها، كما أطلق عليهم اسم الموالي[7]، وهذا رأي أفرده صاحب كتاب نسيم النفحات.

[1] نسخة من الرسالة موجودة في خزانه أولاد القاضي البكري بتمنطيط، أدرار.

[2] خير الدين شترة،مرجع سابق، ص60.

[3] أحمد بابا التنيكتي، معراج الصعود في حكم مجلوب السود، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق تحقيق فاطمة الحراق وجون هانويك مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2000، ص ص ص 21 . 22 . 23. وانظر:الناصري السلاوي :مصدر سابق، ج 5، ص131.

[4] حسن الوزان،وصف افريقيا، مصدر سابق، ج2، ص ص 159 . 179.

[5] شبايبي ياسين،الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي، مرجع سابق، ص179.

[6] مقدم مبروك، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، مرجع سابق .ص74.

[7] احمد الطاهري االادريسي، نسيم النفحات، مصدر سابق، ص 27.

البرامكـة:

وهم من الفرس، كانوا على عهد في الدولة العباسية[1]، في بغداد وتفرقوا في الأمصار إثر نكبتهم المشهورة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، حيث دخلوا توات في القرن السابع الهجري وبالضبط سنة 656هـ 1258م .[2]استقروا بأعداد كبيرة وبنوا بمحاذاة الضّفاف والأنهار قصورا كما خلّفوا نظاما للري يعرف بالفقارة[3]، ومن بين القصور التي استقروا بها، نجد قصر "بوعلي" الذي نزل به الشيخ المغيلى بعـد أن ناصره البرامكة في حروبه ضد اليهود ورحليه من تمنطيط[4] بالإضافة إلى قصور سالي[5]، وقصور أولف بتديكلت وتوجد هذه الكنية البرمكية إلى الآن.

جـ- الخلفية التاريخية :

ظلت توات عبر فترات تاريخية إقليما مستقلا عن التجاذبات السياسية والاضطرابات الأمنية، مما اضطر عدة قبائل بربرية وعربية إلى النزوح والهجرة إليها، باعتبارها ملاذا آمنا، إلا أنه ونتيجة لازدهار التجارة الصحراوية وتغيير الطريق الرابط بين مراكش وغانة وتحوُّله إلى جهة توات أصبح للإقليم، مكانة إستراتيجية هامة في قلب الصحراء، جعل أنظار الدولة الموحدية تلتفت نحوها لكسب أرباح اقتصادية، وذلك بفرض الضرائب و الاتاوت على الإقليم، خاصة في خلافة يوسف علي بن عبد المؤمن الذي أرسل سنة 560 هـ .1165م قائدا عليها هو الطاهر بن على وقاضياً للفصل بين الناس وهو علي بن يوسف .

---

[1]الدولة العباسية : قامت على أنقاض الدولة الأموية سنة 132 هـ وسقطت على يد المغول بعد أن ضعفت سنة 656 هـ للمزيد أنظر ابراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالية للكتاب، بيروت ، ط1 ، 1989،ص17 وما بعدها .

[2]محمد بن عبد الكريم التمنطيطى، مصدر سابق، ص07.

[3]عليق ريحة، قصر ملوكة، مرجع سابق، ص 21.

[4]بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ 18م،مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012-2013م ص، 81.

[5]مقدم مبروك،مدخل منوغرافي، مرجع سابق، ص69 .

وذلك من أجل تنظيم وتسيير أمور الرعية حيث كان نزولها بعاصمة الإقليم تمنطيط[1]، وبعد ضعف الدولة الموحدية وتفكيك صرحها إلى ثلاث دويلات في شمال بلدان المغرب هي الدولة الحفصية في المغرب الأدنى والدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة المرينية في المغرب الأقصى تنافس بعضها البعض كل منها يدعي الأحقية في ميراث الحكم الموحدي في هذه الفترة تمكن عرب المعقل من بسط نفوذهم على توات والتحكم في شؤونها وفرض الضرائب على سكانها ومن منعهم ذلك حاربوه[2].

كما خضعت توات لحكم المرينيين وذلك في حكم أبو علي عمر بن عثمان المريني 715 هـ 1315م الذي كان ولي على سجلمامة بعد ما انتفض على أبيه أبي سعيد عثمان حيث اتخذ من سجلماسة مركزا لحكمه والسيطرة على مدن الصحراء ومنها قصور توات، حيث يقول ابن خلدون : " نزل الأمير أبو علي بسجلماسة، فأقام بها مُلكاً، ودوّن الدواوين واستلحق واستركب وفرض العطاء واستخدم ظواعن العرب من المعقل، وافتتح معاقل الصحراء وقصورتاورت وتيكورارين وتمنطيت[3]".

هذا وقد ازدادت أهمية المنطقة لدى المرينيين باعتبارها موردا اقتصاديا هاما لهم، حيث اكتفى المرينيون بجعل السلطة في القصور التواتية بيد رؤساء القبائل[4]، واكتفاءهم بجمع الضرائب التي كانت تفرض على الأسواق التجارية والأراضي الفلاحية والحرف الصناعية، مما جعل الإقليم يشهد نوعا من الاستقلال[5]، فقد أصبح شيوخ القبائل شيوخا للقصور والمدن ومجلس القبيلة أصبح مجلس البلدة

[1] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، مصدر سابق، ورقة 02.

[2] محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام،مصدر سابق، ص 103.

[3] ابن خلدون ، مصدر سابق، ج 7، ص 508.

[4] محمد بن عبد الكريم، التقييد، مصدر السابق، ص02.

[5] شبابي ياسين، مرجع سابق، ص 98.

أما ممثل السلطان فلم يكن له أي تأثير في الإقليم، حيث انحصرت مهمته في جمع الضرائب وإرسالها إلى حكومة المخزن كل سنة[1].

بعد سقوط دولة بني مرين سنة 869هـ . 1464 هـ، كانت توات تحت حكم سلطة شيوخ القبائل التي كانت توالي المرينيين، مما اضطر التواتين إلى توسيع حكم البلاد نتيجة للفوضى والفساد الذي عمَّ البلاد فوسعته إلى سلطة القضاة كان قاضي الجماعة بها يحي بن بدير بن عتيق الذي تولى حكم الجماعة التواتية رفقة جماعة المسلمين التي كان أبرز وجه فيها على الإطلاق من شيوخ القبائل هو عمر بن عبد الرحمن التمنطيطي زعيم قبيلة أولاد علي بن موسى العربية [2].

في تلك الأثناء كان اليهود قد تحكّموا في دواليب الحكم والتجارة التواتية، مما جعل الشيخ المغيلي بعد أن دخل توات يجليهم، سنة 882 هـ 1478 م بعد الحادثة المشهورة بنازلة يهود توات، حيث نصَّب ابنه عبد الجبار قائداً لجيشه وسحب جميع السلطات التي كانت بيد شيوخ القبائل ووضعها في يد شخص واحد كما نقل عاصمة الإقليم من تمنطيط إلى نواحي بوعلي[3]، وبالتالي أصبحت توات مستقلة في قرارها لا تخضع لأي دولة لا من الناحية السياسية أو الاقتصادية وهذا ما جعل زعماء القبائل المعارضة للشيخ المغيلي في مسألة إجلاء اليهود خاصة قبيلة أولاد علي بن موسى وزعيمها عمر بن عبد الرحمن التي تضررت من المسألة بحرمانها من المساعدات التي كانت تحصل عليها من طرف اليهود مقابل حمايتهم كما أن الدولة الوطاسية[4]وريثة عرش المرينيين في المغرب الأقصى كانت دائما نحاول

[1] بابا عبد الله، أعلام الزاوية البكرية، مرجع سابق،ص 17.

[2] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح، مرجع سابق، ص40.

[3] نفسه، ص 44.

[4] الدولة الوطاسية :نسبة إلى بني وطاس، من القبائل الصنهاجية، اللمتونية، قلمت على أنقاض الدولة المرينية التي تشتت، وضعفت، عقب التدخلات والضربات البرتغالية على المغرب، حيث يعتبر الزعيمان، محمد الشيخ الوطاسي، ومحمد الحلو من أهم زعماء بني وطاس، اللذان تقلدا وظائف عليا في الدولة المرينية، وحاولا إنقاذ البلاد إثر التدخلات البرتغالية، أنظر: حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978، ص 194.

التطلع لفرض سيطرتها على الإقليم لكن الشيخ المغيلي كان حائلا وراء ذلك مما اضطرها لنشر دعايات مغرضة منها عدم الأمن والاستقرار في توات أن كل الأجانب يتعرضون للنهب والقتل[1]، مما أضر بالعائدات التجارية لتوات وبالتالي نجحت الدولة الوطاسية من تحقيق أهدفها في بسط نفوذها على الإقليم خاصة في عهد السلطان محمد الشيخ الوطاسي، الذي عين عمر بن عبد الرحمن شيخ قبيلة أولاد علي بن موسى نقيبا[2]، على توات سنة 903 هـ 1498 م وزوده بالسلاح لمحاربة الشيخ المغيلي، وبالتالي انشطر الرأي في توات مابين رأي مؤيد للشيخ المغيلي وآخر مخالف له ومؤيد لعمر بن عبد الرحمن.[3]

وفي عهد الدولة السعدية 961 هـ 1069 هـ .1659 وسلطانها المنصور الذهبي[4]، ذو النزعة التوسعية التي كان يطمح من خلالها للاستيلاء على مناجم الذهب في بلاد الساحل الإفريقي، لوصوله إلى هذه البلاد لابد من سيطرته على الطريق المؤدية إليها خاصة طريق توات التي كانت ذا أهمية اقتصادية كبرى وموقع استراتيجي في قلب الصحراء، فبعد أن استتب له الأمر في بلاده بصده للغزو البرتغالي الذي انتصر عليه في معركة وادي المخازن[5]، قرر احتلاله توات يقول اليفريني " لما استقر المنصور بمراكش طمحت نفسه إلى التغلب على بلاد توات وتنكورارين إذ كان أهلها قد انفكت عنهم أيدي الملك منذ زمن ولم يتولى عليهم

[1] الحمدي أحمد، مرجع سابق ، ص 45.

[2] محمد بن عبد الكريم، التقيد، مصدر سابق، ص 4.

[3] الحمدي أحمد، مرجع سابق، ص 47.

[4] السلطان أحمد المنصور الذهبي، أحد سلاطين الدولة السعدية،بالمغرب الأقصى، ولد بفاس 956 هـ – 1549م، نودي له بالبيعة، بعد مقتل أخيه عبد المالك، في معركة وادي المخازن، ضم في عهده، توات والسودان، توفي بالوباء 1012 هـ – 1603 م، بفاس ونقل قبره إلى مراكش. انظر : محمد حجي،موسوعة أعلام المغرب، ج 3، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص ص 1124 – 1132.

[5] وادي المخازن : معركة حاسمة في تاريخ المغرب بين الجيش السعدي والجيش البرتغالي، كسر فيها السعديون شوكة البرتغاليين، وقضوا على سطوتهم الحربية والسياسية، حدثت قرب القصر الكبير بالعرائش في منطقة تسمى بلاط الهبط، شارك فيها العلماء والصالحون، واستخدمت فيها المدافع، وتسمى معركة الملوك الثلاثة، حيث قتل فيها ملك البرتغال سباستان ومحمد المتوكل المخلوع وعبد الملك المعتصم متأثرا بمرضه، بويع على إثرها أحمد المنصور الذهبي. انظر : السلاوي الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص ص 69- 82.

سلطان قاهر[1]"، حيث أرسل قائديه محمد بن البركة واحمد بن الحداد العمري سنة 989هـ 1581م إلى سكان الإقليم لمطالبتهم بالدخول في طاعته أو إجبارهم على ذلك، إلا أن السكان رفضوا فكانت معارك بينهم دامت أيام انتهت بهزيمة التواتيين، وقد استهدف الجيش المغربي بادي الأمر قاعدتي تينكورارين وتمنطيط، حيث خربوا القصور و القصبات التي تحصن بها أهلها وعاث الجيش المغربي فسادا ونهبا في الأرض التواتية، يقول الفشتالي " وتناولتهم السيوف وانطلقت أيدي العساكر بالنهب والعبث في المنازل .[2]" و أجبر المنصور سكان توات على الدخول في طاعته كارهين وعزز هذا بعدما قدم عمر بن محمد زعيم قبيلة أولاد على بن موسى ولاء الطاعة بمعية شيوخ القصور[3]، وتم جمع الضرائب ودفعت لممثل السلطان المغربي، كما تم تعين عمر بن محمد قائدا للبلاد التواتية يشرف على تسير أمورها الداخلية تحت لواء السعديين[4]، لكن التواتيين سرعان ما رفضوا ذلك الذل والهوان حتى أعلنوا التمرد من جديد فقتلوا قائد المنصور على تينجورارين سعيد بن الحسن، عندها أرسل المنصور قائديه سليمان وعلال بن محمد سنة 997هـ 1589م لتخريب منازل المارقين من أهل توات فعاثوا في الأرض فسادا[5] بعدما شتتوا جمع المناوئين، واستمر الوجود السعدي في توات بين مد وجزر فترات تتخللها اضطرابات وأخرى سلم إلى ان سقطت الدولة السعدية على يدا العلويين.

وبقيام الدولة العلوية في المغرب تجددت الأطماع من جديد نحو توات، إذ اهتم بها السلطان محمد بن الشريف العلوي، الذي دخلها بنفسه رفقة جيش كبير سنة 1055 هـ 1645 م، ومكث بها أربعة أشهر عدّد فيها صرف المثقال من الذهب بتسعة مثاقيل من الفضة، وأرغم سكان توات على دفع الإتاوات السنوية لبيت المال [6]، وامتدت سيطرته إلى

[1] محمد الصغير اليفريني، نزهة الحادي بأخبار الملوك القرن الحادي، تحقيق، هوداس، مطبعة ليدن، باريس، 1888 م، ص 78.

[2] عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، مرجع سابق، ص 76.

[3] نفسه، ص 77.

[4] محمد بن عبد الكريم، التقييد، مصدر سابق، ص 4.

[5] الفشتالي، مصدر سابق، ص ص 115- 116.

[6] أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية في توات، مرجع سابق، ص 36.

قصور أوقروت بتينجورارين، وهو ما أشار إليه الرحالة العياشي " ... من بلاد أوكرت و هي آخر البلاد التي هي تحت طاعة الشريف صاحب سجلماسة ...."[1]، وبعد مقتل السلطان محمد بن الشريف العلوي 1075هـ . 1664 م، جاء السلطان إسماعيل العلوي، الذي بويع بالخلافة سنة 1082 هـ . 1672 م، حيث عين قوادا مقيمين وكلف أمناء بعملية نقل الضرائب، كما عين قضاة من أعلام تمنطيط، مثل القاضي الإمام البكري بن عبد الكريم، ثم ابنه عبد الكريم من بعده[2].

وفي سنة 1157 هـ . 1744 م قدم إلى توات العباس بن السلطان إسماعيل العلوي الذي استقر بها و أعلن التمرد ضد سلطان المغرب عبد الله بن إسماعيل العلوي، حيث بقي في توات أكثر من عشرين سنة، وكانت له حامية ناحية تينجورارين .[3]

وظلت توات قبلة للملوك العلويين الذين أدركوا أهمية الإقليم وضرورة السيطرة التامة على جميع أجزائه، خاصة وأن السكان كانوا يشكون دوما هجمات وسطو الأعراب من القبائل المتاخمة لحدود الإقليم، حيث استنجد أهل القصور التواتية سنة 1186 هـ . 1772 م بالسلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي ضد قبيلة مكيدن التي كانت تغير على القصور التواتية باستمرار، فجند السلطان فرقة عسكرية لتأديبها، حيث دار بين المخزن وهذه القبيلة معركة انهزمت على إثرها وفروا إلى ناحية أولاد سعيد[4].

وعلى العموم كان الوجود العلوي في توات أقل حدة من سابقه السعدي، رغم أنهم يشتركون في نفس الأهداف، وهي المصلحة الاقتصادية من هذا الإقليم، كما جعلوا السلطة

---

[1] أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد)،ج 1، تحقيق : سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات، ط 1، 2006، ص 107.

[2] جرادي محمد، جرادي محمد،نوازل الزجلاوي دراسة و تحقيق،أطروحة دكتوراه أصول الفقه،قسم أصول الفقه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2010-2011م،ص 67.

[3] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص 81. وانظر: عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الصحراء، ج 1، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ، 1976، ص 143.

[4] Martin ,op .cit , p 98.

في يد شيوخ القبائل وتعيين قواد لهم مهمتهم جلب الضرائب إلى سلطة المخزن، كما عرفت توات في هذه الفترة تغيير عاصمة الإقليم من تمنطيط إلى تيمي التي أصبحت مقر القيادة[1].

[1] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، التقييد، مصدر سابق، ص ص 4- 5 .

ثانيا– بلاد الساحل الإفريقي الإطار الجغرافي والتاريخي :

أ- أصل التسمية والموقع :

يدخل مصطلح بلاد الساحل الإفريقي في من المنطقة التي كان يطلق عليها في العصور الوسطى اسم بلاد السودان، وهي الأقاليم شبه الصحراوية والتي انتشر فيها الإسلام والواقعة جنوب الصحراء الكبرى[1] .

وقد أطلق عليها مؤرخو وجغرافيو اليونان والرومان اسم نيجريتا، نسبة إلى نهر النيجر، وكان إطلاقهم على جميع الشعوب التي تسكن قرب هذا النهر، وهو ما أشار إليه المؤرخ الروماني بليني 115 م وسماها بنيل الأجناس السوداء [2]، ثم أطلق العرب في العصور الوسطى اسم السودان على الشعوب هذه المنطقة وكان إطلاقهم أحياناً على كل إفريقيا، ثم اقتصر هذا المفهوم على منطقة بحيرة تشاد في القرن الثالث الهجري، أما في القرن الرابع الهجري فقد اتسع مدلول هذا المصطلح حيث يذكر السعدي [3]" أن بلاد السودان هي المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الهندي، إلى بحر الظلمات "، أما ابن حوقل[4] فقد أشار إليها وحددها بقوله " وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ... غير أن له حداً ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وحد له إلى بريه بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات ... "كما عرفها المقدسي[5] بقوله " وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة وهم أجناس كثيرة " .

---

[1] نبيلة حسن محمد، في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر 2008،ص .68

[2] ابراهيم علي طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط،الهيئة العامة للتأليف والنشر،القاهرة،1969، ص 52 .

[3] المسعودي علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج 2،تحقيق،محمد محى الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية،بيروت لبنان، 1988 م، ص240 .

[4] ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض،دار مكتبة الحياة،بيروت لبنان، 1979 م، ص 24 .

[5] المقديسي محمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،طبعة ليدن، 1959 م، ص 331 .

وفي القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي أطلق البكري[1] كلمة السودان على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى مشارف النوبة على النيل شرقاً، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلاً إلى بلاد السودان ،كما ذكرها القزويني[2] بقوله " بلاد السودان هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط، أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها والحرارة بها شديدة جداً . أهلها منهم مسلمون ومنهم كفار"، ويذكر القلقشندي[3]" أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم [4]مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد لما بين مصر وبرقة وبلاد العرب المغاربة من جنوب المغرب إلى البحر المحيط ".

وعموما أطلق مصطلح بلاد السودان على الشعوب التي سكنت جنوب الصحراء الكبرى، وهي المنطقة الجغرافية الواسعة التي تمتد بين الصحراء الكبرى في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب، وشرقا إلى البحر الأحمر، وغرباً إلى المحيط الأطلسي وأن أصل التسمية مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة [5].

وقد قسمت بلاد السودان إلى ثلاثة مناطق وهي :

– السودان الشرقي [6]يمتد من البحر الأحمر شرقاً حتى إقليم دارفور غرباً أي يتكون من مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة .

---

[1] البكري أبو عبد الله،المسالك والممالك، ج 2،تحقيق، ادريان فان نيؤمن، واندري فيري،الدار العربية للكتاب، تونس،،1992 م، ص 837 .

[2] القزويني زكرياء بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد،طبعة بيروت،1960،ص 29 .

[3]القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج 5، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق سوريا، 1983، ص 274 .

[4] بحر القلزم معناها البحر الأحمر

[5] بازينة سالم عبد الله، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغاري،ليبيا،ط 1، 2010،ص39 .

[6] التونسي محمد بن عمر، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة،1965،ص132.

- السودان الأوسط [1]: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد .
- السودان الغربي [2]: ويشمل حوض السنغال غامبيا وبوركينا فاسو والنيجر الأوسط .

ودراستنا مختصة بمنطقة السودان الغربي والأوسط أي المنطقة الواقعة ما بين بحيرة تشاد شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، ويحدها من الجنوب المناطق الاستوائية ومن الشمال المناطق الجنوبية للصحراء الكبرى وتقع بين خطي عرض 9 و 17 درجة شمالاً وهي المنطقة المصطلح على تسميتها حالياً ببلاد الساحل الإفريقي، و هو مصطلح يقصد به الشريط المصاقب لهذه المنطقة (الصحراء الكبرى) وتعني كلمة الساحل في المصطلحات السودانية تلك الرقعة الفسيحة الممتدة طولا على مسافة 5000 كلم وبين 1000 كلم إلى 2000 كلم عرضا والمحصورة بين أعالي نهري السينيغال والنيجر الأوسط، أو بعبارة أدق بين خطي طول خاي أنيورو ، وقطاع نهر النيجر الواقع بين سانساندينك وماسينا، والمصطلح يشير كما يدل على ذلك الاسم إلى ساحل الصحراء الكبرى [3].

وقد وجد لهذا المصطلح أثر في كتب الحوليات على غرار حوليات توات [4] التي أشار صاحبها عند حديثه عن انتقال قبائل أولاد دليم من الساحل إلى الاستقرار بأولاد إبراهيم بتوات .

كما أشار إلى هذا المصطلح صاحب حوادث موريتانيا[5] عند حديثه عن تاريخ قبائل البرابيش التي أغارت على أهل الساحل والمقصود به الساحل الإفريقي، أما اختصار اسم السودان وتحديد مدلوله على جمهورية السودان الحالية، إنما ترجع بداياته إلى القرن الثامن عشر على أبعد تقدير، وقبل هذا التاريخ كان لهذا البلد إطلاقات أخرى وذلك بالنظر لنواحيه الواسعة مثل بلاد سنار و بلاد الفونج والنوبة، وفي بداية القرن التاسع عشر اتسع هذا المدلول

[1] بوعزيز يحي ، تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001،ص 09 .

[2] نبيلة حسن محمد،إفريقيا الإسلامية،مرجع سابق،ص 71.

[3] بول مارتي،القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة احتلال فرنسا للمنطقة، تعريب محمد محمود و دادي، دار السراج بيروت، ط 2005 ص 11

[4] Bernard Saffroy ,Chronique Du Touat C.D.S Ghardaia ,P 05

[5] المختار ابن حامد، حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها، تحقيق سيدي احمد بن أحمد سالم، دار الكتب الوطنية أبو ظبي، ط 2011 ص 417

على كل بلاد السودان الحالية وخاصة، منذ حملة محمد علي على الأقسام الشمالية من البلاد، فكان يطلق في الكتابات المصرية بصورة خاصة اسم السودان ليدل على مناطق أعالي النيل برمتها، ثم اتسع هذا الاسم بعد ذلك ليشمل كل أقاليم السودان [1] وتثبت عرفياً أثناء العهد الإنجليزي ليأخذ شكله النهائي الثابت على هذا النحو منذ بداية القرن العشرين .

ب- السكان :

تنتشر في بلاد الساحل الإفريقي عدة قبائل وشعوب ترجع في أصولها الأولى الى أصول[2] زنجية أو عربية أو بربرية، وقد وصلت إلى هذه المنطقة عن طريق هجرات متعددة نتيجة للظروف الطبيعية والمناخية، فاستقرت بها، واندمجت بعضها البعض بالمصاهرة والحماية القبلية في بعض الأحيان ومن بين هذه القبائل ما يلي:

1- قبائل الماندي (الماندجو): تنتشر هذه القبائل في منطقة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي حتى النيجر خاصة في دولة مالي والسينغال، وغنيا وغامبيا [3]، وتتفرع الماندي الى عدة فروع منها السوننك و البمبارة.

السوننك وهى كثيرة الانتشار في بلاد الساحل حيث تتمركز في الأطراف الجنوبية وقد اختلطوا مع قبائل الفلان وهم يتميزون بقوة جسمانية كبيرة، اعتنقوا الاسلام وأصبحوا من الدعاة حيث أحدثت، العقيدة الإسلامية اثر عميق في حياتهم وتنظيماتهم الاجتماعية. [4]

البمبارة:هي من قبائل الماندي التي اختلطت بقبائل الفلان حيث تغيرت ملامحهم الجسمانية [5]، وتعيش هذه القبائل بدولة مالي بصفة أكثر وهي تشتغل على الرعي والزراعة . تعتبر قبائل الماندي مؤسسوا دولتي غانة ومالي [1]

---

[1] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 268 .

[2] قدوري عبد الرحمن،الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 هـ و 10هـ - 15-16 م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة ماجستر تاريخ، قسم التاريخ،جامعة تلمسان،2010 – 2011، ص 19 .

[3] أحمد نجم الدين فليجة، افريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، د.ت .ط، ص 199 .

[4] إبراهيم علي طرخان، مرجع سابق، ص ص 18 48 .

[5] قدوري عبد الرحمن، مرجع السابق، ص23 .

2- قبائل السنغاي: تسكن قرب حدود الغابات الاستوائية وقد امتدت مساكنهم على طول نهر النيجر، حيث امتهنت الزراعة وصيد الأسماك [2]، تأسست أول دولة لهم في القرن الأول الهجري السابع الميلادي وكانت عاصمتها مدينة كوكيا، قرب نهر النيجر الأدنى، وهي لا تبعد عن مدينة جاو الحالية سوى مائة وخمسين كلم. [3] وقد انتشر الإسلام في بلاد السنغاي نتيجة لامتزاجها مع القبائل المهاجرة من الشمال الافريقي وتعيش قبائل السنغاي في جمهوريات مالي، النيجر، نيجيريا، وهي تتحدث لغة السنغاي التي كانت تكتب بالحرف العربي[4] .

3- قبائل التكرور والسرير: وهم ينتشرون بالمنطقة الساحلية في دولة السنغال الحالية مع قبائل الولوف الذين يشبهونهم في الصفات والحرف [5] وهم خليط بين قبائل الماندي والفلان وهم من السكان الأصلين لمنطقة فوتا السنغالية [6]، اعتنقوا الاسلام في عهد المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ويعتبر شعب التكرور أول من اعتنق الاسلام في منطقة الساحل الافريقي [7]،إذ يعتمد نشاطهم على النشاط الفلاحي والحرف اليدوية

4- قبائل الولوف: وهم يتواجدون في السنغال إلى جانب التكرور، ويتخذون من النشاط الزراعي حرفة رئيسية لهم حيث يزرعون القطن، والذرة، والفول السوداني كما يمتهنون الحرف الأخرى كصناعة المنسوجات القطنية، والصناعات اليدوية البسيطة القائمة على

---

[1] احمد نجم الدين فليجة، مرجع سابق، ص 199 .

[2] عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 – 1592، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر د. ت . ن، ص 25 .

[3] المرجع نفسه، ص 251 .

[4] قدوري عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 24 .

[5] عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال كتاب الأمة، قطر، ط 1، 1995 – ص 28 .

[6] دائرة المعارف الإسلامية،الجزء الخامس، مادة تكرور، ص 428 .

7 البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكرافريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامية،القاهرة، د.ت.ن. ص172 .

المعادن [1].، دخلت قبائل الولوف الإسلام مبكرا على يد القبائل العربية والفلان والتكرور، وكان لهم دور بارز في نشر الاسلام ضمن أراضيهم، ويتكلمون لغة الولوف التي تكتب بالحرف العربي[2].

5- قبائل الموشي: وهم يشكلون شعب فولتا العليا المحاذية لنهر النيجر من جهة الغرب، ويتكلمون لغة الجور، ولا يزال معظمهم وثني يمجدون الشمس والأرض والأجداد، ويمارسون الزراعة[3] .

أقامت هذه القبائل مملكة وثنية قوية في منحى نهر النيجر جاورت الممالك الإسلامية في كل من دولة مالي و السنغاي، واستمرت في وثنيتها حتى جاهدها سلطان سنغايالاسكيا محمد في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي [4] تشكل قبائل الموشى الغالبية العظمى لسكان جمهورية بوركينا فاسو اليوم[5].

6- قبائل الفولان : من أكبر الشعوب في بلاد الساحل الإفريقي، تنتشر بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد حتى الكامرون وقد اختلف المؤرخون في أصل الفلانين فمنهم من يرجعه إلى الأصل العربي، ومنهم من يرجعه إلى الفرس الذين نزحوا من آسيا وهناك من يرجعه إلى أصول أثيوبية[6] وهناك من يقول أنهم نتيجة اختلاط الزنوج بالعرب والبربر [7]، اعتنق هذا الشعب الاسلام في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي ولغتهم تدعى الفولا وكانت تكتب بالحرف العربي، وهم يحترفون تربية البقر والرعي والزراعة .

---

[1] عبد القادر مصطفى المحبشي،عبد العباس فضيح الغريري، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها،دار الجماهير للنشر والتوزيع، ليبيا،ط2000،1،ص194.

[2] قدوري عبد الرحمن،مرجع سابق،ص23.

[3] نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1975،ص17.

[4] السعدي، مصدر سابق، ص 74 .

[5] قدوري عبد الرحمن،مرجع سابق،ص24.

[6] محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة،دار الكتب العلمية، لبنان ط 1 2007، ص 25.

[7] نبيلة حسن محمد، في تاريخ إفريقيا الإسلامية، مرجع سابق، ص ص 104 – 105.

7- قبائل الطوارق: اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم فمنهم من يقول أنهم سموا بالطوارق نسبة الى طارق بن زياد، ومنهم من يرى أن التسمية، جاءت نسبة لطرقهم الصحراء وتوغلهم فيها، وهناك من يرى أن التسمية أطلقتها عليهم الشعوب المجاورة لهم نظرا لكثرة ارتيادهم الصحراء[1] أما أصولهم فقد اختلف فيها فمن المؤرخين، من يرجعها إلى صنهاجة التي ترجع نسبها إلى حمير من اليمن[2] وصنهاجة قبائل كثيرة منها لمتونة وجدالة ومسوفة، ويعتبر الطوارق من أكثر القبائل التي انتشرت في الصحراء حيث لا يستقر لهم مقام في مكان، محدد، ويعتمدون على الترحال لذلك يعيشون في عدة أماكن تتقاسمها عدة وحدات سياسية مستقلة اليوم مثل شمال مالي، وموريتانيا، شمال النيجر وبوركينا فاسو، وتشاد، وجنوب غرب ليبيا وجنوب شرق الجزائر.[3]

أدى الطوارق دورا مهما في نشر الإسلام في الصحراء وبلاد الساحل الإفريقي حيث عرفوا عند ممالك وقبائل السودان بالقوة والشجاعة [4]، كما أدوا دورا مهما في التجارة الصحراوية التي كانت بين بلاد المغرب وبلاد الساحل الافريقي .

8- قبائل العرب : ينتشر العرب في كل من شمال مالي والنيجر وتشاد ويمثلون النفوذ الأكثر في شنقيط بموريتانيا [5]، وقد جاءوا الى بلاد الساحل الافريقي عن طريق الهجرات والتجارة، وحيث دخلوا منطقة النيجر دخولا كبيرا في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي [6]، وقد أدت هذه القبائل العربية دور مهم في نشر الاسلام والحضارة العربية الإسلامية في بلاد الساحل الافريقي وانصهرت في بقية المجتمع السوداني، ومن أهم هذه

---

[1] الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، مرجع سابق، ص 216.

[2] سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء،مركز دراسات أبحاث شؤون الصحراء، ليبيا،1989، ص 20 .

[3] الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ليبيا، ط،1، 2002،ص ص 219 – 223 .

[4] الهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850 – 1914،دار المريخ للنشر، الرياض،السعودية، ط 1،1988، ص 26.

5 نعيم قداح، مرجع سابق، ص 20

6 إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1973، ص 19 .

القبائل هي عرب المعقل من القبائل الحسانية مثل الرقيبات أولاد دليم، الجكاكنة، البرايشن، مشظوف، أهل أروان، أولاد غلان، أولاد يعقوب بالإضافة الى قبائل كنتة.

د – الخلفية التاريخية *:* قامت في بلاد الساحل الإفريقي عدة ممالك إسلامية كانت لها مساهمة فعالة في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في هذه المنطقة، كما قامت بدور في ربط العلاقات بين دول الشمال الإفريقي ومصر وبلاد الساحل، ومن بين هذه الممالك ما يلي:

1. مملكة غانا[1]*:* تعتبر أقدم الممالك في بلاد الساحل الإفريقي، حيث تأسست حوالي 300م واستمدت اسمها من عاصمتها القديمة إقليم كوار الرملي جنوب موريطانيا الحالية واسمها كومبي صالح، وقد أسست هذه المملكة مجموعة من القبائل البربرية المغاربية وشعوب السوننك الزنجية، خلال القرن الثاني الميلادي لتؤسس لنفسها بعد قرن من الزمن أسرة حاكمة وسعت نفوذها من نهر النيجر شرقا إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، إلى حدود الصحراء الكبرى شمالا [2]، بلغت هذه المملكة أوج قوتها وعظمتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين، كما كانت لها صلات تجارية مع بلدان المغرب، وذلك يرجع الى توسط موقعها الجغرافي ،فقد كانت تشغل رقعة جغرافية تقع عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى ،والتي امتدت بين سجلماسة في بلاد

1 غانة : بفتح الغين المعجمة وألف ثم نون مضمومة وهاء في الأخير وهي كلمة أعجمية لا يعرف لها معنى في العربية، وهي بلد مملكة السودان، وليست هي غانة الحديثة التي تحمل هذا الاسم، إذًا هذه الحديثة كانت تسمى ساحل الذهب ، تم تسمت باسم غانة، تيمناً إذ هي تقع على بعد نحو ألف ميل جنوب غانة القديمة، أما موقع غانة القديمة فهو محل اختلاف وقد ذكر في تقويم البلدان انها مدينتان على ضفتي نيلها إحداها يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار ، ويذكر الدكتور طرخان أطلالها تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا وتقع ضمن ارض جمهورية مالي الحديثة وهي على الطريق الغربي للقوافل التجارية القادمة من مراكش، والمكان الصحيح يبعد عن تنبكتو بمسيرة بضعة أيام الى الجنوب الغربي منها وعلى بعد نحو 200 ميل شمالاً باماكو عاصمة مالي الحالية . انظر :حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981، ص 90

2 يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية،مرجع سابق،ص21.

المغرب مارة بتغازة التي اشتهرت بمناجم الملح،وكانت غانة تستورد القماش والمنتوجات الحريرية والنحاس والملح وتصدر الذهب والجلود[1].

أما دخول الإسلام إلى غانة فقد كان منذ زمن مبكر يدل عليه وجود طائفة إسلامية ذكرها البكري عند وصفه لمدينة كومبي صالح، بأن بها اثنا عشرة مسجدا[2]، وقد عاش فيها كثيرا من علماء الدين والطلاب وكانت اللغة العربية هي لغة التدريس ليس عند المسلمين فحسب بل في أنحاء الدولة[3]،كما كان للمرابطين دور في ازدياد المد الإسلامي في هذه المملكة بعد أن أخضعوها لحكم الإسلام وأقاموا عليها حاكما مسلما.

ومنذ ذلك الوقت أصبح ملوك غانة مسلمين [4]، إلى أن سقطت هذه المملكة على يد قبائل الصوصو في القرن السابع الهجري الثالث عشرة الميلادي وفر مسلموا غانة الى ولاتة حيت أقاموا بها مركزا تجاريا لهم سرعان ما ازدهر حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في بلاد الساحل الافريقي[5] .

2- مملكة مالي : هي من أعظم الممالك التي قامت في بلاد الساحل الإفريقي على يد شعب الماندي الذين كانوا من أوائل الشعوب في المنطقة التي اعتنقت الإسلام، وكان يدين في البداية بالولاء لمملكة غانة التي انهارت أمام ضربات قبائل الصوصو الوثنية، والتي تصدى لها الماندي بقيادة زعمائه خاصة الزعيم سوندياتاكيتا[6]، مما أهلهم للاستقلال عن غانة وتكوين مملكة عرفت بمملكة مالي، والتي استمرت في التوسيع حتى شملت حدود بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى شمالا وفوتا جالون جنوبا[7].

---

[1]زكي عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، ص2.

[2]البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق،ص175.

[3]مهدي رزق الله احمد،التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض . ط 1 1998 ، ص 169 .

4إبراهيم طرخان،مرجع سابق، ص 53 .

[5]مهدي رزق الله أحمد،مرجع سابق،ص178.

[6] نبيلة حسن محمد، مرجع سابق، ص 203.

[7]زبادية عبد القادر، مرجع سابق،ص 16 .

وعرفت دولة مالي بأسماء عديدة عند المؤرخين العرب مثل ملي، ملل[1]، ومالي [2] التي اشتهرت بها وهي تطلق على عدة أقاليم كانت مستقلة ثم اجتمعت تحت ملك صاحب مالي وهذه الأقاليم هي كالآتي:

ـ مالي وسميت الإمبراطورية باسمه وهو جزء منها وقاعدته مدينة (بنبي)

ـ صوصو هو إقليم يقع في الغرب من إقليم مالي

ـ بلاد غانة : وتقع غربي إقليم صوصو وهي تجاور المحيط الأطلسي

ـ بلاد كوكو : تقع شرقي إقليم مالي

ـ بلاد التكرور : وتقع على المحيط الأطلسي، في دولة السنغال الحالية، وقاعدتها مدينة تكرور[3].

شهدت مملكة مالي تنظيمافي عهد الملك سونديياتاكنيا 653هـ . 1255م الذي ورث عرشه سبعة ملوك من بعده أشهرهم منسا موسى[4] 1304م . 1332م الذي ازدهرت المملكة في عهده وكونت علاقات مع عدة جهات أشهرها بلاد توات ومصر خاصة بعد رحلته الحجية المشهورة سنت 724هـ 1324 والتي اخذ فيها الطريق المار بتوات، كما انتشر الإسلام في عهده خاصة في بلاد نيجيريا التي أصبحت تدعوا للإسلام بدين مالي، كما أن منسا موسى قد صبغ على مملكة مالي الصبغة الإسلامية ويتضح هذا بما شيده من مساجد ورعايته للعلماء واحترامهم وتقديرهم [5] .

---

[1] من الذين عرفوها اليعقوبي وقد ورد ذكرها في كتابة تاريخ اليعقوبي، عند حديثه عن السودان " السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب،ثم قال مملكة أخرى يقال لها ملل " كما ذكرها البكري في كتابه السالك والممالك لقوله " أن بلد ملل تقع وراء مملكة دو" وتقع هذه الأخيرة على ضفة النيل والمقصود بالنيل نهر النيجر انظر :تاريخ اليعقوبي ج 1 ص 193 والبكري السالك والممالك ص 209 .

[2] أما من الذين ذكروها بلفظ مالي ابن بطوطة الذي زار المنطقة في رحلة المشهورة انظر ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت التراث ب.ت.ن، ص 682، والحسن الوزان، وصف افريقيا، ج 2،ص 164 .

[3] حسن عبد الظاهر،مرجع سابق، ص 97 .

[4] منسا : معناها السلطان بلغة الماناديج .

[5] محمد فاضل علي باري، المسلمون في افريقيا، مرجع سابق، ص 83 .

استمرت هذه المملكة في الازدهار والقوة طيلة القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، حيث ازدادت في التوسع حتى وصلت مناجم ملح تغازة وامتدت جنوبا حتى أطراف السفانا وشرقا حتى مناجم النحاس عند تكدا[1] .

وابتداء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي 2دخلت مملكة مالي في اضطرابات نتيجة لتنافس أفراد الأسرة الحاكمة على العرش، ومع بداية القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي اقتطعت منها مناطق شاسعة في الشرق، والجنوب مثل تنبكتو وجاو حيث أصبحت عبارة عن مملكة صغيرة من ممالك جديدة ناشئة في المنطقة مثل مملكة السنغاي التي قضت على مملكة مالي وخلفتها في بسط نفوذها على المنطقة.

3 –مملكة سنغاي : تأسست هذه المملكة في القرن السابع الميلادي على يد قبائل السنغاي المقيمة على وادي النيجر عند مدينة (دندى) ثم انتشر على طول مجرى نهر النيجر الى تنبكتو والبحيرات الكبيرة وراءها[3] استطاعت هذه القبائل أن تؤسس أسرة حاكمة لها تسمى أسرة (ديا) التي ظلت تحكم البلاد حتى سنة 726 هـ 1325 م وقد اتخذوا من مدينة كوكيا عاصمة لهم، ثم مدينة جاو فيما بعد .

اعتنق شعب السنغاي الإسلام منذ القرن الخامس هجري إلحادي عشر ميلادي وكان حينذاك في ظل إمبراطورية مالي التي ضعفت واستقلت سنغاي عنها في القرن التاسع الهجري للخامس عشر ميلادي ، واتخذ ملوكها لقب (سني) [4]والذي اشتهر منهم سني على الكبير سنة869 هـ - 1464 م الذي وسع المملكة وأصبح يتطلع إلى الاستيلاء على المدن التجارية الكبرى كمدينة تنبكتو وجني اللذان لهما علاقات تجارية مع تجارة الصحراء وبلاد

[1] مهدي رزق الله أحمد، مرجع سابق، ص 207 .

[2] جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات افريقيا السوداء،مرجع سابق، ص 81 .

[3] إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 317.

[4] تدعى هذه العائلة بلسان سنغاي (أيون) أما لفظة سني فقد أطلعها عدد من المؤرخين الذين كانوا قد كتبوا بالعربية تاريخ البلاد تم شاع استعمالها لدى غيرهم ولا ندري كيف شاعت هذه التسمية إذ أن هناك فرقا بين لفظة أيون وسني . انظر زيادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 21 .

المغرب، حيث كون جيشاً وسار إلى تينبكتو التي استولى عليها في 873 هـ 1468 م، ثم مدينة جني 878 هـ - 1473 م ثم اتجه إلى مملكة الموسى وضمها إلى ملكه [1]ثم تقدم ناحية الشرق وهاجم بعض إمارات الهوسا فخضعت له كاتسينا، وجوبر وكانووزنفره، كما اتسع غرباً حيث اخضع كل بلاد الماندنجو والفولاني وشمالاً حتى موطن التوارق .

و أصبحت مملكة السنغاي إمبراطورية، عظمى بدء بهذا الملك [2]، ثم شهدت هذه المملكة توسعات أكثر عندما حكمتها أسرة الأساكي[3]، التي خلفت أسرة سني خاصة في عهد أسكيا محمد (898 هـ - 1493م) الذي كانت له علاقات مع الدول المغاربية واشتهر بحبه الإسلام [4]، وتقديره للعلماء، و دعوته الماندنجو والفلانين في الغرب للإسلام والهوسا في الشرق والموسى في الجنوب والطوارق في الشمال[5].

وبهذا بلغت مملكة سنغاي على عهد الأسكيا أعلى مراتب مجدها وفرضت سيطرتها على الأراضي والأقاليم التابعة لها ، بفضل الترتيبات التي أسسها والإصلاحات التي باشرها وبواسطة حكومة مركزية على درجة عالية من التنظيم والقدرة على الإدارة[6] .

وبعد اسكيا محمد جاء ملوك تنافسوا على حكم الدولة وكان همهم الكرسي مما أدى إلى ضعف الدولة، وسادت الفوضى في أرجاءها [7]مما عرضها للإطماع الخارجية منها حملة سلطان المغرب المنصور السعدي للاستيلاء على مناجم الذهب الواقعة في أرجاءها ومناجم

---

[1] السعدي، مصدر سابق، ص 11 . 12 .

[2] مهدي رزق الله احمد، مرجع سابق ص ص 228 -229.

[3] أصل الأساكي: من السراكولين الذين كانوا قد هربوا أمام الغزو المرابطي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي من جنوب موريتانيا الحالية (منطقة الحوض) ثم تفرقوا في جهات عديدة من بلاد الساحل الأفريقي على أن جلهم تركز حول نهر النيجر واختلط بقبائله، انظر: زبادية عبد القادر، المرجع سابق، ص 21 .

[4] إسماعيل العربي،مرجع سابق، ص 323 .

[5] السعدي،مصدر سابق، ص ص 64 -65 .وانظر: إسماعيل العربي،مرجع سابق، ص 324 .

[6] خير الدين شترة، ج 1، مرجع سابق، ص 312 .

[7] زبادية عبد القادر، مملكة السنغاي، مرجع سابق، ص 41 .

الملح في منطقة تغازة، حيث أرسل هدا السلطان حملة بقيادة ضابطه جودر التي تميزت بوجود الأسلحة النارية وعدة الجيوش الكثيرة التي دخلت مدينة تينبكتو واستولت عليها .

وكانت نتيجة هذا الغزو أن اقتيد بعض العلماء إلى مراكش خاصة المؤرخ السوداني أحمد بابا التنبكتي، مما أعطى الفرصة للحكم المغربي من بسط سيطرته وتنصيب حكم الباشوات على مملكة السنغاي من تنيكتو وبالتالي إنهاء حكم مملكة سنغاي[1].

4- مملكة برنو:نشأت هذه السلطنة في السودان الأوسط، في بلاد الساحل الإفريقي وهذا الإقليم، يمتد من بحيرة تشاد شرقا إلى النيجر غربا ونيجيريا من الجنوب وشمالا الصحراء الكبرى[2]، وقد تألفت هذه السلطنة من عدة أجناس أهمها الكنوري، وبعض القبائل المتميزة عنه في العادات والتقاليد، أهمها الكري، والكرنبة، والمنكة، والمندرة أو الوندلة، والبولالا، والعرب الذين استقروا في هذا الإقليم ويطلق عليهم اسم الشوا، تميزاً لهم عن التجار العرب الذين كانوا يمكثون فترات قصيرة، ثم القبائل المختلفة من الطوارق، والفلان والهوسا الذين اختلطوا بالكنوري، وأصبحوا يتكلمون بلغتهم أي لغة الكنوري التي تعتبر أوسع اللغات انتشارًا في هذا الإقليم[3].

وقد وصل الإسلام إلى هذه المنطقة في وقت مبكر ابتداء من القرن الأول الهجري، السابع الميلادي وذلك من جهة طرابلس الغرب حيث تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن ملك كانيمي (برنو) الذي يدعى (ميي) جيلمي أول مللك اعتنق الإسلام ومعه أفرد أسرته وحاشيته على يد فقيه يدعى حامد محمد ماني مجلول [4]، وفي القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي كان الإسلام قد أنتشر في جميع سلطنة برنو وانتشرت معه اللغة العربية والتي أصبحت اللغة الرسمية لحكومة برنو[5]، وقد حكمت دولة برنو أسرة تسمى الأسرة السيفية،

[1] محمد فاضل على باري،المسلمون في إفريقيا، مرجع سابق، ص 122 .

[2] جلال يحى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية،مصر، 1999، ص 40.

[3] عبد الرحمن زكي، مرجع سابق، ص 76 .

[4] عثمان برايما بارد، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر، ط 1 ،2000،ص 80.

[5] زيادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأروبي،مرجع سابق، ص 24 .

نسبة الى سيف بن ذي يزن اليمني الذي نقلت مقر الحكم الى الضفاف الغربية لبحيرة تشاد بعد أن كان في كانم[1].

ويعتبر القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي أزهى فترات الحكم في هذه السلطنة خاصة في عهد السلطان إدريس علومة الذي عمل على نشر الإسلام بين الشعوب الوثنيـة وربط العلاقات مع الدول المجاورة خاصة الدولة العثمانية والدولة السعدية في المغرب[2]، وازدهرت الحركة التجارية الواردة والصادرة من وإلى سلطنة برنو كما قام بتنظيم السلطات في الدول والفصل بينها كما أعطى للفقهاء مكانة هامه في الدولة، وذلك باستشارتهم والرجوع إليهم في الشؤون السياسية والقضايا الدينية وبالتالي اصطبغت هذه السلطنة بالصبغة الدينية بالإضافة إلى هذا بنى مساجد ضخمة في ربوع السلطنة ،بل حتى في البقاع المقدسة بنى مقراً لحجاج برنو[3]، على أن أهم عمل قام به انه استطاع أن يوحد بين القبائل المختلفة التي تسكن السلطنة [4].

وبعد وفاة إدريس علومه خلفه سلاطين أقل أهمية منه لم يستطيعوا الحفاظ على قوة السلطنة واحترام هيبتها.

5 – مملكة الهوسا: تشمل بلاد الهوسا حالياً شمال نيجيريا وجزء من جمهورية النيجر حيث كانت تقع في القرون الوسطى في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي وسنغاى غرباً وسلطنة برنو شرقاً، بينما يحدها من الشمال إقليم آهير[5] والصحراء الكبرى ومن الجنوب ما

[1] فيج جي دي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف مصر، ط1، 1982، ص 74 .

[2] محمد فاضل علي باري المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 138 .

[3] احمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية،ج 6، ص ص 293 – 294 .

[4] فيج جي دي، المرجع السابق، ص 74 .

[5] اقليم آهير : يعد من أهم موقع استراتيجي في الصحراء الكبرى لكونه ملتقى شبكة من طرق القوافل التجارية يمتد بين سكونو وإقليم النيجر جنوباً وتوات وغداس وغات من الشمال والشرق سكان هذا الإقليم من الطوارق والأفارقة السود ، انظر محمد بللو ، اتفاق الميسور في أخيار بلاد التكرور تحقيق بهجية الشاذلي الرياض مطبعة المعارف الجديدة ط 1 1996 ، ص 63 . وانظر : إسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطها، مرجع سابق، ص 192 .

يعرف حاليا بجنوب نيجيريا، وقد تواجدت في هذه الفترة ببلاد الهوسا عدة إمارات عرفت تاريخياً بإمارات الهوسا [1].

ويطلق اسم أو مصطلح الهوسا على الذين يتكلمون بلغة الهوسا، فليس هناك جنس يسمى بهذا الاسم إذ لا ينحدر الهوسين من أصل واحد بل جاء أغلبهم نتيجة إمتزاج بين جماعات عرقية كثيرة أهمها السودانيون أهل البلاد الأصلين وبعض قبائل البربر من الطوارق[2]،وكانت هذه الإمارات حديثة عهد بالإسلام حيث كانت شعوبها وثنية وترجع بداية الإسلام في المنطقة إلى النصف الثاني من القرن الثامن للهجري الرابع عشر ميلادي وذلك في عهد الحاكم ماجي[3] (787هـ -791 هـ) عن طريق زيارة بعض الدعاة والتجار المسلمين للمنطقة، ولكون أهلها حديثي العهد بالإسلام ربما كان الدافع الرئيسي لوصول الإمام المغيلي إليها الذي دخلها وكان أغلب سكانها لازالوا على الشرك ولم تتح لهم الفرصة للتعرف على الدين الجديد بل حتى أوليك الذين اعتنقوا الإسلام لا يزالون على جهل كبير لكثير من الإحكام التي يلزم معرفتهم للالتزام بها ، وبذالك وجد المغيلي المجال ملائماً لتجسيد أفكاره الإصلاحية والدعوة إليها .

فالفطرة لدى أهل هذه المنطقة لا تزالوا سليمة لم يعكر صفوها بعد، على عكس ما كان سائداً عند أهل المغرب[4]، وساعده في ذلك تقبل الأمراء لدعوته والمساهمة في نجاحها .

وقد عرف شعب الهوسا بممارسة التجارة والزارعة بالإضافة إلى مهارتهم في صناعة النسيج والصباغة ودبغ الجلود . وكانت معظم معاملاتهم التجارية تتم مع تجار بلاد المغرب الإسلامي من العرب والبربر بالشمال، الذين كانوا يفدون إلى كبريات مدنهم كما عرفوا

[1] تشمل إمارات الهوسا : كل من كانو، دورة ، رانو ، زكزك ، كاتسينا ، زنقرة ، غوبر ، انظر ، آدم عبد الله الآلوري : موجز تاريخ نيجيريا، بيروت، لبنان، دار مكتبة، 1965 م، ص 126 .

[2] اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 174 .

[3] زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى،القاهرة، المكتبة الانجلو مصرية، 1968،ص287 .

[4] بوغرارة منيرة، محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا، مذكرة ماجستير، في التاريخ، قسم التاريخ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص 100 .

بمسالمتهم وانشغالهم فقط بالنشاط الاقتصادي الشيء الذي جعل بلادهم تقع تحت أطماع الممالك والسلطات المجاورة [1]، ولعل ما سهل ذلك أيضاً هو تشتت إمارات بلاد الهوسا دون توحدها تحت حكم واحد .

استفادت إمارات الهوسا كثيراً من مملكة مالي التي كانت تسعى إلى إرسال العلماء والفقهاء إليها من أجل خلق تقارب روحي وديني بينهما ، وفي نفس الوقت فإن بلاد الهوسا عانت من الظروف السياسية العصيبة التي كانت سائدة في بلاد الساحل الإفريقي،حيث كانت أرضاً ومسرحاً للصراع الدائر في تلك الإنحاء بين القوى العظمى كالسنغاي وبرنو من أجل إخضاعها[2] وذلك في إطار توسيع النطاق الجغرافي بضم أقاليم أخرى تحت نفوذ الدولة . ولقد عرف القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي حركة إصلاحية كبيرة قام بها احد أمراء بلاد الهوسا وهو أمير كانو، الذي يدعى عبد الله محمد بن يعقوب الشهير بمحمد رنفا [3]، فقد باشر القيام بعدة اعمال كبناء القصور والحصون والأسوار، وبناء المساجد وصيانتها وغيرها من الإنجازات التي حققها، كما كان رجلاً متديناً ملتزماً بأحكام الشريعة الإسلامية، حاول إقامة إمارة على أسس الدين الإسلامي في بلاد الهوسا، حيث كان على اتصال كبير ودائم بالعلماء[4] من أبرزهم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي بذل ما في وسعه من أجل بعث حركة علمية وإصلاحية في المنطقة.

[1] إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 324.

[2] آدم عبد الله الآلوري، مرجع سابق ،ص 79 .

[3] انظر الفصل الرابع من المذكرة.

[4] آدم عبد الله الآلوري، الإمام المغيلي و آثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، دار الحلبي، القاهرة، مصر، 1974، ص 82 .

الفصل الثاني

الواقع العلمي في توات وبلاد الساحل الإفريقي خلال القرنين 11ـ12هـ/17ـ18م

أولا: التعليم

- **مراحله**
- **المقررات التعليمية**

ثانيا: المؤسسات التعليمية

- **الكتاتيب**
- **المساجد**
- **الزوايا**

ثالثا: أعلام توات وبلاد الساحل الإفريقي وتراثهم العلمي

أولاً : التعليم:

انتشر التعليم في توات وبلاد الساحل الإفريقي نتيجة للنهضة الفكرية والعلمية التي شهدها طيلة القرنين التاسع والعاشر الهجريين، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، حيث أدت كل من المدارس العلمية: كالكتاتيب، والمساجد، والزوايا، دوراً بارزاً في إعطاء الأهمية الكبرى للحركة التعليمية، وذلك بإسهام علماء كان لهم الفضل في تكوين نخب علمية وفق مراحل تدريجية للتعليم، بدءاً بمرحلة التلقين والتهجي إلى مرحلة التعمق ثم الإذن والإجازة.

أ – مراحله:

كانت مراحل التعليم عادة تبدأ بالكُتَّاب والمحضرة في السنين الأولى، ثم ينتقل الطالب إلى الزاوية والمساجد بالنسبة للتعليم الثانوي والعالي[1]، على أنّه في بلاد شنقيط كانت المحضرة تؤدي الوظيفتين.

1) ـ المرحلة الأولى:

وتكون في المحضرة أو الكُتَاب[2]، حيث يوجه الطفل إليها في سن مبكرة، فما إن يبلغ الصبي سن الرابعة حتى يعهد به والده إلى إمام المسجد لتعليمه مقابل دفع حصة من التمر سنوية[3]، هذا بعد أن يقام له حفل عظيم، وتصنع مائدة تشمل على التمر والحليب والخبز المأدوم بالسمن، ويدعى لتلك المائدة رجال الحي وفي مقدمتهم تلاميذ المدرسة القرآنية[4]، ليكون هذا فاتحة خير لدخول هذا الصبي للكُتَاب، والذي يبدأه بتعليم الكتابة كأول خطوة من خطوات التعليم[5] يفتتحها الشيخ أو معلم القرآن في لوحة الصبي[1]: «بسم الله الرحمن الرحيم »، والثلاث الحروف الأولى، [2] وتُتوج اللوحة بقوله تعالى: « قل ادعوا الله أو ادعواْ الرحمن ».[3]

---

[1] النحوي خليل، بلاد شنقيط المنارة و الرباط،المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،تونس،ط 1، 1997، ص ص 49 50.

[2] أو ما يسمى" اقربيش " في توات.

[3] فرج محمود فرج،اقليم توات خلال القرنين (18 و19)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط1، 1977،ص85.

[4] مريوش أحمد، حوتية محمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 236.

[5] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 1، دار هومة، الجزائر، ط 1، 2005، ص 263.

وهذا تفاءل حسن لأنّ تلك الآيات تدعوا إلى عبادة الله تعالى وتصحيح العقيدة، ثم يكتب بعدها الشيخ للتلميذ الحروف الهجائية (أ، ب، ت، ...)، خاصة المعروفة في بلاد المغرب، حيث ينقط حرف القاف بنقطة واحدة من الأعلى، وتنقط حرف الفاء بنقطة واحدة من الأسفل، [4] حيث يكتب الشيخ بقلم الرصاص على لوحة الطفل ويأمره بتتبع كتابته، وهكذا يتعلم الطفل كيفية تشكيل الحروف، ويتعود على مسك القلم لتتمرن أصابعه ويداه على الكتابة والخط.[5]

بعدها تتم الكتابة بواسطة القلم المصنوع من الخشب المبرء مع الدواة التي يوضع بداخلها الحبر الأسود المصنوع محلياً، [6] فإذا أحسن الطالب الخط وصار خبيراً بالكتابة والإملاء، فإنّ المعلم عندئذ يملي عليه الآيات ليكتبها في لوحة ويقوم بتشكيلها، ثم يقوم المعلم بمراقبة ما كتبه التلميذ، كل هذا ليسهل عليه معرفة القراءة والكتابة، وبالتالي الحفظ.

وعندما يختم الطالب الجزء الأول يقوم أهله بتقديم مائدة من الطعام لزملائه الطلبة في الكُتَاب أو المحضرة لا يشاركهم فيها أحد، وهذا فرحاً وابتهاجاً بما بلغه طفلهم.[7]

بعد ذلك يتدرج به الشيخ في حفظ كتاب الله عزّ وجل حتى يتمه على ظهر قلب، فإذا أتمه انتقل به إلى تعليم شيء من المعارف الفقهية واللّغوية، كمتن بن عاشر و الأخضري و الأجرومية، [8] والتي كانت تكتب كل يوم للصبي في بيت أو بيتين في أسفل اللّوحة، ويفصل

---

[1] اللوحة : عبارة عن خشبة مستطيلة يتغير حجمها مع تغير المستوى، وهي تستعمل إلى الآن في منطقة توات وبلاد الساحل الإفريقي.

[2] حوتية محمد:توات و الأزواد خلال القرنين (12 و13هـ،-18-19م) ج1 دار الكتاب العربي الجزائر ط1 2007 ص 245.

[3] قرآن كريم،سورة الإسراء الآية 110.

[4] محمد باي بلعالم،المرجع السابق ج1 ص263.

[5] محمد حوتية،المرجع السابق ج1 ص 247.

[6] يصنع الحبر من الدخان على القدور أومن الصوف النابت بين فخذي الشاة بعد حرقه زائد الصمغ و قليل من السكر:أنظر :مبارك جعفري،العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ،دار السبيل للنشر، الجزائر، ط1، 2009،ص 144.

[7] محمد باي بلعالم،المرجع السابق ج1 ص 264.

[8] سرير ميلود،دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات،ج2،جامعة أدرار، الجزائر، ط1، 2000، ص 146.

بينهما وبين القرآن بخط، فهذه الأبيات كانت عادة من العقائد ثم شروط الصلاة وما يتعلق بها.[1]

أمّا بالنسبة للتوقيت اليومي للدراسة فيكون من الفجر إلى الضحى، أو حتى منتصف النهار أحياناً، ومن الظهر إلى ما بعد صلاة العصر مساءً، وفي اللّيل يتم قراءة بعض قصار الصور جماعة ليتعود الصبي على حفظها عن طريق السماع، وهذا طيلة أيام الأسبوع عدا الخميس والجمعة صباحاً، وأيام العطل التي كانت تمنح في المناسبات والأعياد.[2]

عندما يحفظ الطالب القرآن الكريم كله يراجعه على شيخه، وبعدها يقام له حفل بهيج يعرف بحفل الختمة أو (الحفاظة)، كناية عن إتمام حفظ الطالب للقرآن، حيث تزين يداه ورجلاه بالحِنّاء، ويقوم الشيخ بالكتابة في لوحة الطالب أواخر سورة البقرة وبعض الدعاء، كما يزينها بألوان مختلفة من الصمغ، ويجلس الطالب في ردهة الكُتَاب محاطاً بزملائه وهم يرددون قصيدة البردة، ويتلقى الهدايا والعطايا من المهنئين الذين يأتون من القرية والقرى المجاورة لها.[3] وتكون هذه الختمة عادة في سنٍّ مبكرة لا تتجاوز العشرين سنة بالنسبة للطالب العادي، لذا كانت مرحلة الكُتَاب ضرورية لكل طالب، لأنّه بدونها لا يستطيع التأهل لمزاولة الدراسة في بقية المراحل الأخرى.[4]

2) ـ المرحلة الثانية:

وتكون هذه المرحلة بعد أن يكون الطالب قد أنهى المرحلة الأولى من تعليمه بنجاح، فيكون بذلك مؤهلاً للانتقال إلى الزاوية أو المسجد للأخذ عن شيخها، ويكون التعليم في هذه المرحلة أكثر تخصصاً وانضباطاً، ويستفيد من خلاله الطلبة القادمين من مناطق بعيدة من الإطعام والمبيت، وفق نظام داخلي تكون فيه الدراسة من الفجر إلى صلاة العشاء.[5]

---

[1] عبد الحميد بكري،النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14هـ،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر، ط1، 2005،ص 43.

[2] محمد باي بلعالم،المرجع السابق، ج1،ص ص 265-266.

[3] مبارك جعفري،مرجع سابق، ص 145.

[4] أحمد مريوش،محمد حوتية،المرجع السابق، ص 236.

[5] زبادية عبد القادر،مملكة سنغاي في عهد الاسقين 1493-1591م،الشركة الوطنية للتوزيع،الجزائر، د ط، د ت، ص 143.

كما أنّ الطالب يتعمق في شتى أصناف المعرفة العلمية المقررة عليه، من فقه وحديث ولغة ومنطق ومواريث وتراجم وعلوم القرآن. ففي الفقه رسالة بن أبي زيد القيرواني، وفي النّحو ألفية بن مالك، ومُلحة الإعراب، وفي الحديث صحيح البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك، [1] وفي التفسير تفسير الجلالين.

هذا وكان الطلبة يتلقون العلم على يد الشيخ في صحن الزاوية أو المسجد، فيجلسون على هيئة حلقة يتوسطهم الشيخ، ومع كل واحد منهم لوحة كبيرة ومجموعة كتب من المقررات المفروضة عليهم في الدراسة، وتستمر الحلقة غالباً من الصباح حتى منتصف النهار كل يوم، ثم تتواصل الدراسة من جديد بعد صلاة الظهر بعد أن يكون الطلبة قد أخذوا قسطاً من الراحة (القيلولة)، فيعود الطلبة إلى تلاوة القرآن وحفظ المتون المختلفة في شتى أبواب العلم. لتنتهي المرحلة المسائية عند غروب الشمس، لتكون العودة إلى النّشاط بعد صلاة المغرب.

وقد لاحظ "بارث"[2] هذا السير في نظام الدراسة بالأزواد حينما رأى طلاب الشيخ أحمد البكاي يقرأون بالألواح حلقات في الفضاء الخارجي، وهذا راجع لكون علماء توات كانوا يتنقلون إلى بلاد الأزواد وعموم بلاد الساحل لينقلوا إليهم العلم والمعرفة، وبذلك نقلوا معهم نظام الدراسة المنتشر بمنطقة توات.[3]

ولم تكن فترة الدراسة محددة في هذه المرحلة، بل تتوقف على مدى استيعاب الطالب للمواد المقررة عليه حفظاً وتعليماً، [4] وهذا النّوع من التعليم في الزاوية أو المسجد لم يكن مقتصراً على الطلبة فحسب، بل كان بإمكان المستمعين أن يأخذوا أماكن لهم في الصفوف

[1] مبارك جعفري :المرجع السابق 146.

[2] هو رحالة ألماني، جاب الصحراء الكبرى في كل من توات، والأزواد وبلاد الساحل الإفريقي .

[3] مريوش، حوتية،مرجع السابق، ص 237.

[4] حوتية مرجع سابق،ج1، ص 251.

الخلفية للحلقة، [1] كما كان ينتصب كرسي لجلوس الشيخ عليه، يكون تحت أعمدة الزاوية أو المسجد ويتوسط الحلقة.[2]

وكانت الطريقة الشائعة في التدريس هي أن يبدأ الشيخ بإعطاء رأيه في المسائل الفقهية لطلبته، وبعدها يقرأ الطلبة درسهم من الكتاب المقرر عليهم بحضرة الشيخ، ثم يطلب من كل واحد منهم توضيح ما أشكل عليه، وأثناء ذلك يقيد الطلبة الشروح التي يعطيها الشيخ كجواب على ما يستفسرون عليه، [3] وفتح باب المناقشة للطلبة بعد نهاية كل درس لتعم الفائدة.

أمّا طريقة الوقفات التي تكون أثناء الدرس حيث يلزم الطلبة وهم حول الشيخ بأن يقرؤوا ما حفظوا من المتون، ويفرض على كل طالب الحفظ الكامل من رأسه للأبيات التي يتوقف عليها، فإذا حصل وان كان غير حافظ لها فإنّ الشيخ يلومه ويعد ذلك من التهاون، أمّا إذا كان يحفظها كما هي عادة القوم، فإنّ الشيخ يشرح معاني البيت ويبن له المراد ويوضح له المقصود، ثم بعد ذلك يورد له الشواهد المتعلقة بالبيت والخلاف في المسألة إن وجد فيها، [4] فتخصص كل حلقة لمادة معينة، ويستمر ذلك طيلة أيام الأسبوع، كما أنّ التعليم في هذه المرحلة لا يكون مقصوراً على اللّوحة فقط عكس المرحلة الأولى، بل يعتمد فيها الطالب على كتب المتون أو المواد المقررة عليهم، بالإضافة إلى التدريس الذي يكون تحت إشراف الشيخ الذي يساعده بعض الطلبة الذين قضوا مدّة طويلة في الدراسة، وكان لهم تحصيل علمي جيد.[5]

---

[1] نفسه، ص 278.

[2] نفسه، ص 248.

[3] الهادي مبروك الدالي،التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء،مرجع سابق،ص 166.

[4] نقولا زيادة،الحكم المغربي في السودان،ج1،مؤسسة الخليج للطباعة و النشر، الكويت، ط1،1982، ص27.

[5] أحمد بابا التنبكتي،نيل الابتهاج بتطريز الديباج تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، (ج1 و2)، كلية الدعوة، ليبيا،ط1، 1989، ص 376.

كل هذا نابع من اهتمام وحرص الأولياء على تعلم أبنائهم القرآن وحفظه، فقد وصف بن بطوطة حين زار السودان الغربي أنّ من الأولياء بحرصهم الشديد على تعليم أبنائهم القرآن وتحفيظهم، كانوا يحفزونهم إما بالترغيب أو بالترهيب حتى يحفظونه.[1]

ب- المقررات التعليمية:

كانت المقررات التعليمية السائدة في بلاد توات وبلاد الساحل الإفريقي هي نفسها المعروفة في البلدان الإسلامية مثل: مصر وبلاد المغرب، هذا بالإضافة إلى بعض التآليف التي ألّفها علماء محليون حاولوا إبراز الوجه العلمي للمنطقة من خلال هذه التآليف، وحتى بعض الشروح والحواشي لمؤلفات غير محلية تعتبر الأصل في التأليف، إلا أنّ جلّ هذه المؤلفات كانت في معظمها لا تخرج عن العلوم النقلية وبعض العقلية، لكنّ أكثرها كان من اللّغويات والشرعيات وبعض التآليف في التراجم والتأريخ، إلا أنّها كانت تصطبغ بالصبغة المذهبية المالكية، وذلك بسبب انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب وبالساحل الإفريقي، ومن أهم المقررات التي كانت تدرس في المدارس التعليمية: كالزوايا والكتاتيب ما يلي:

1- العقيدة:

كانت العقيدة تدرس في توات وبلاد الساحل الإفريقي من خلال كتب السنوسي[2]، خاصة كتاب أم البراهين التي هي عبارة عن مؤلف يشتمل على ثلاثة أنواع: العقيدة الكبرى، والوسطى، والصغرى، وهي التي اشتهر بها، وعنها يقول أحمد بابا التنبكتي : « من أجل العقائد لا تعادلها عقيدة ».[3]

---

[1] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، ج4، تحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ط 1997، ص 690.

[2] السنوسي: محمد يوسف بن عمر بن شعيب التلمساني الحسني أبو عبد الله محدث متكلم منطقي مقريء ولد بتلمسان سنة 832هـ 1428م و توفي بها سنة 895هـ 1490م له عدة مؤلفات أهمها أم البراهين في العقائد وحاشية على صحيح مسلم :انظر عبد الحق حميش و محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر (تلمسان و توات)، دار زمورة للنشر، الجزائر، ط1،2011،ص 227.

[3] أحمد بابا،نيل الابتهاج،مصدر سابق، ص 301.

كما كان يدرس كتاب المقري والمسمّى إضاءة الدجنة، [1] بالإضافة إلى ما تركه الشيخ المغيلي في هذا المجال، والمتمثل في كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح[2]، والذي وصفه أحمد بابا التنبكتي بقوله: « كتاب عجيب في كراسين ».[3]

هذا وكانت تدرس العقيدة من خلال مقدمات بعض الكتب الفقهية: كعقيدة بن أبي زيد القيرواني في رسالته، ومقدمة بن عاشر في المرشد المعين.

أمّا التآليف المحلية التي ألّفها علماء المنطقة في هذا المجال مثل: الحاج أحمد بن أند عبد الله الولاتي[4]، الذي ألّف عقيدة منظومة في علم الكلام، ووضع الحاج الحسن بن آغيد الزيدي[5] منظومة في التوحيد سمّاها تحفة الصبيان. كما ألّف محمد الغلاوي كتاباً في العقيدة والتوحيد،[6] وترك محمد بن أبي بكر الولاتي عقيدة منظومة في علم أصول الدين تزيد على ثلاثمائة بيت وهو ابن واحد وعشرين سنة، وشرح عقيدة الفقيه محمد بن أبي بكر بن الهاشم شرحاً مفيداً سمّاه المتن الإلهية على العقيدة الغلاوية، [7] ووسيلة السعادة للمختار بن بونة الجكني.[8]

---

[1] المقري:أبو العباس أحمد بن محمد المقري القرشي التلمساني ولد بتلمسان و نشأ بها و أخذ عن عمه أبي سعيد المقرى و غيرهم من أعلام تلمسان، رحل إلى فاس و مراكش فلقي ابن القاضي و بابا احمد السوداني استقر به المقام في فاس ثم رحل إلى الحج توفي 1041هـ .ترك عدة مؤلفات أهمها:نفح الطيب أزهار الرياض، و رحلة فهرسية .أنظر عبد الله المرابط الترغي،فهارس علماء المغرب مطبعة النجاح، الدار البيضاء،المغرب، ط1،1999، ص644.

[2] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، دار الرشاد، بلعباس، الجزائر، ط1 2012، ص68.

[3] أحمد بابا، نيل الابتهاج،مصدر سابق ص 577.

[4] هو الحاج أحمد بن أند عبد الله بن علي بن الشيخ الولاتي نسبة إلى ولاته كان من العلماء العاملين على التحقيق توفي رحمه الله تاسع ربيع سنة 1140هـ 1727م:أنظر أحمد الحمدي،المختار الكبير الكونتي، دار السبيل، الجزائر، ط1،2009،ص 48.

[5] هو أحد الأعلام المشهورين بأزواد و الأئمة المذكورين انتهت إليه رياسة الفقه كان بصيرا بطرق الحجة أخذ عن الفقيه احمد الوالي و عن الفقيه أحمد أبو الأوتاد التشيني و غيرهما من الأئمة توفي يوم الأحد لأحد عشر خلت من رمضان عام 1123هـ/1711م:أنظر أحمد الحمدي المختار الكبير الكونتي، المرجع السابق، ص52.

[6] هو محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي فقيه نحوي أديب أخذ عن بن الأعمش العلوي و أخذ عنه طلبة عديدون توفي يوم الجمعة 16 ذي الحجة عام 1098هـ/1686م:أنظر:أحمد بن طوير الجنة،تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم:مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،ط1، 1995، ص47.

[7] أحمد الحمدي، المختار الكبير،مرجع سابق، ص53.

[8] خليل النحوي: مرجع سابق، ص 216.

2- علوم القرآن:

اهتم أهل توات وبلاد الساحل الإفريقي بالقرآن الكريم ابتداءً بحفظه ودراسته، ولما كانت هذه الدراسة لا تتم إلا من خلال فهم معانيه وأسباب نزوله، وأماكن نزوله، وكيفية نزوله، وإدراك معاني الألفاظ والعبارات، وحسن القراءة واللّفظ، كل هذا وجب الاهتمام بهذا العلم، حيث كانت كتب الدرر اللّوامع في قراءة الإمام نافع، لأبي الحسن بن بري، وتفسير الشاطبي والتأويل في معاني التنزيل للشاطبي، وتفسير ابن الجوزي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والجزرية في علم التجويد لأبي يحي زكريا الأنصاري.[1] إلا أنّ أشهر التفاسير التي كانت متداولة في المنطقة "هي تفسير الجلالين نسبة إلى العالمين جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المصري، وجلال الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي المصري الشافعي المتوفى سنة 884هـ/1459م.

هذا وكان للتأليف المحلي دور في العملية التعليمية، خاصة ما قام به الشيخ المغيلي من تأليفه لكتاب في التفسير سمّاه الفتح المبين في شرح القرآن الكريم، وكتاب الدر المصون في إعراب القرآن الكريم لعبد الرحمن بن عمر التنلاني[2]، وكتاب منظومة في تفسير غريب القرآن لمحمد بلعالم الزجلاوي، [3] فكان من أئمتها في المنطقة عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي، الذي رحل إلى أحمد الحبيب اللّمطي السجلماسي وقرأ عليه القراءات السبع، وكان يدرّس لطلابه

---

[1] توجد نسخ هذه المؤلفات في خزائن أدرار في كل من كوسام بتوات وخزانة أقبلي و خزانة الشيخ باي بالعالم بتبديكلت وخزانة ابن عبد الكبير بالمطارفة:أنظر:جعفري مبارك مرجع سابق ص 290.

[2] عبد الرحمن بن عمر التنلاني:هو أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن معروف التنلاني ينتهي نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ولد سنة 1193هـ-1707 بتنلان أخذ بها مبادئ العلم ثم تتلمذ على يد ابن أب المزمري و عمر بن المصطفى الرقادي أنظر :عبد العزيز سيد عمر قطف الزهرات في أخبار علماء توات دار هومة الجزائر ط2 2002 ص 99-101 و أنظر الرحلة العلية ج1 ص 221، باعثمان عبد الرحمن،تحقيق فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنلاني، ماجستير التاريخ العام، قسم التاريخ، جامعة بشار 2008- 2009،ص 91-98.

[3] الزجلاوي :هو أبو عبد الله محمد بن محمد أحميد بن أبي بكر بن بلقاسم بن محمد و ينتهي نسبه إلى أبو أيوب الأنصاري درس على عدة شيوخ من أهمهم والده و الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني رحل في طلب العلم كما كان له تلاميذ منهم الحسن بن بومدين التمنطيطي، عبد الله بن بومدين بن بوبكر و غيرهم كثير ترك عدة مؤلفات من الوجيز في شرح مختصر خليل و ألفية في غريب القرآن،بالإضافة إلى نوازله في الفقه و هي التي اشتهر بها توفي 23 شوال عام 1212هـ/1797م:أنظر موسوعة تراجم علماء الجزائر،مرجع سابق، ص 242. الرحلة العلية، مرجع سابق ج1 ص131.

الشاطبية ويفسرها لهم، بالإضافة إلى تفسير محمد المختار بن محمد سعيد، الذي جاء تفسيره في مجلدين سمّاه الإبريز على كتاب الله العزيز.[1]

3- الحديث:

يعتبر الحديث ثاني مرتبة من حيث الأهمية بعد القرآن الكريم، لذا كان أهل توات وبلاد الساحل الإفريقي يولونه من الأهمية ما يولونها للقرآن، حيث يعد ثاني كتاب بعد كتاب الله، فكانت تدرس كتب الحديث مثل: الصحيحان (البخاري ومسلم)[2]، وسنن الترمذي، ثم الأربعين النووية، وكتاب الشفا للقاضي عياض، وألفية العراقي في الحديث. إلا أنّ الأهمية الكبرى كانت لصحيح البخاري، حيث بلغ هذا الكتاب حدّ التقديس في مدينة جني و تنبكتو وكذا توات[3]، حيث كانت تعقد له ختمات في أيام معينة في المدارس والزوايا القرآنية، وتعرف هذه الختمة بختمة البخاري، وهي مستمرة حتى الآن، ومن أشهر الزوايا التي دأبت عليها زاوية مهدية،[4] حيث يقام احتفال يستمر ليلة كاملة حتى الصباح، يقرأ فيه صحيح البخاري كاملاً من أوّله إلى آخره، كما يتخلل هذا الاحتفال عقود زواج جماعية يحضره الزوّار والمشايخ وطلبة العلم من كل النّواحي التواتية.

أمّا الإسهام المحلي فكان زهيداً، حيث ترك المغيلي تأليف سمّاه مفتاح النظر في علم الحديث، [5] بالإضافة إلى الحسن بن آغيد الذي برز بتفوقه في استحضار الأدلة من الحديث، فله منظومة في علم الحديث سمّاها روضة الأزهار، وجعل عليها شرحاً سمّاه قرّة الأبصار، حتى

---

[1] جرادي محمد،نوازل الزجلاوي دراسة و تحقيق،أطروحة دكتوراه أصول الفقه،قسم أصول الفقه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2010-2011م، ص 78 و ما بعدها

[2] أحمد الحمدي،المرجع السابق،ص 60.

[3] السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان،مطبعة هوداس، باريس،1981،ص43.

[4] وهي قصر من قصور بلدية تيمي تبعد عن مقر الولاية أدرار ب 10 كلم بها زاوية تسمى بزاوية البخاري لصاحبها سيد أعمر من أهم شيوخها عبد العزيز سيد اعمر صاحب كتاب قطف الزهرات في أخبار علماء توات، السالف الذكر.

[5] حوتية محمد :مرجع سابق ج1 ص 259

قيل فيه: « من فاته الحسن البصري فعليه بالحسن اليوسي، ومن فاته الحسن اليوسي فعليه بالحسن بن آغيد ».[1]

4- الفقه:

يعتبر أهمّ علم اشتغل به أهل توات وبلاد الساحل الإفريقي نظراً لحاجتهم اليومية إليه، وباعتبار أنّ المذهب المالكي هو المذهب المنتشر في البلاد، فقد عرفت مؤلفاته إقبالاً كبيراً من طرف أهل المنطقة، فنجد من بين المؤلفات الفقهية المالكية التي اعتمدوا عليها: متن بن عاشر، وهو متن في الفقه ألّفه صاحبه عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي عندما كان ذاهباً إلى الحج، [2]فطلب منه أهل ليبيا أن ينظم لهم نظماً يعينهم على تطبيق الأحكام الفقهية، فرتب لهم هذا المتن على شكل أبواب: صلاة، صيام، زكاة، حج .... وافتتح هذا المتن باسمه: « يقول عبد الواحد بن عاشر مبتدءاً باسم الإله القادر ».[3]

وثاني نوع من المؤلفات الفقهية الذي لقي إقبال واهتمام كبير منقطع النّظير في المنطقة، هو رسالة بن أبي زيد القيرواني، [4] وهي عبارة عن مختصر في الفقه المالكي.

بينما النوع الثالث الذي لا يقل أهمية عن الرسالة، والذي ذاعت شهرته، هو مختصر خليل بن إسحاق، [5] الذي يتضمن فروع كثيرة مختصرة في الفقه المالكي، فنال شهرة فاقت

---

[1] أحمد الحمدي :مرجع سابق ص 55.

[2] ابن عاشر: عبد الواحد بن احمد بن علي بن عاشر الأنصاري الفاسي كان متصرفا للعلم والقراءة اخذ عن أبي العباس اللمطي وبن القاضي، والشريف المري التلمساني، وله عدة مؤلفات أهمها: المرشد المعين في الفقه المالكي وإجازات في القراءات توفي 1040م. انظر: عبد الله المرابط الترغي، المرجع السابق، ص 642، ابن القاضي المكناسي في درة الحجال في أسماء الرجال، ج1، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.،د.ط، ص 148

[3] أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 55.

[4] ابن ابي زيد القيرواني: هو عبد الله عبد الرحمن النفزي ابن أبي زيد المشهور بالقيرواني نسبة إلى مدينة القيروان كان من كبار المالكية في القيروان وبلاد المغرب الاسلامي في القرن الرابع الهجري له عدة مؤلفات منها متن الرسالة في الفقه المالكي،وكتاب الاقتداء بأهل المدينة وكتاب الذب عن مذهب مالك، توفي سنة 386 هـ انظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج1، تح: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د. ت، ص ص12،11.

[5] خليل بن إسحاق: هو ضياء الدين ابو المودة خليل ابن إسحاق بن موسى بن شعيب المصري ت 769 هـ وضع مختصر على مذهب الإمام مالك بن انس رحمه الله تعالي مبينا لما به من الفتوى مستعرضا فقه المذهب في عبارات قصيرة كثيفة مكتنزة جماله ووزع كتابه الى 63 باب

مدونة سحنون، ومختصر بن الحاجب[1]، أثنى عليه العلماء حيث يقول فيه أحمد بابا التنبكتي: « لقد وضع الله عزّ وجل له القبول على مختصره، وتوضيحه من زمانه إلى الآن، فعكف النّاس عليهما شرقاً وغرباً حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد »[2].

هذا وقد ظهرت شروح وتعليقات للمختصر مثل ما فعل أحمد بابا التنبكتي عندما شرح وعلّق على مختصر خليل، حيث يقول: « وقد يسّر الله لي وضع شرح عليه جمعت فيه لباب كلام من وقفت عليه من شراحه ».[3]

كما ألّف الشيخ المغيلي كتاباً سمّاه مغنى اللّبيب في شرح مختصر خليل، وشرح الفقيه والقاضي الوافي بن طالبين مختصر خليل في كتاب أطلق عليه فتح الرب اللّطيف في تخريج ما في المختصر من الضعيف.[4]

كما أقبل الشناقطة على دراسة مختصر خليل بينهم، حتى اعتبروه شرطاً من شروط الرجولة، وسمة من سمات النضج، وكانت عادتهم ألا يتسرول الشاب منهم حتى يتم دراسة المختصر.

وقد قسموا المختصر حصصاً دراسية سمّوها (اقفافاً)، مفردها(قف) أي وقفات، فقد كانوا يضعون في نهاية كل حصة دراسية كلمة قف إشارة إلا أنّ هذا القدر هو أقصى حد يستطيع الطالب الذكي أن يستوعبه في كل يوم، وذلك لكثافة مادة المختصر واكتناز جمله وصعوبة حفظ النثر عموماً، وكانوا يرون أنّ من أتقن دراسة المختصر فقد حاز الفقه بحذافيره[5].

و64 فصلا بالإضافة الى خطبة الكتاب ويقع الجميع في نحو 300 صفحة من القطع المتوسط طبعة دار الفكر، 1401هـ. 1981م، انظر: خليل النحوي: مرجع سابق، ص199.

[1] حوتية محمد، مرجع سابق، ص 255.

[2] السعدي، مصدر سابق، ص 38.

[3]. أحمد بابا التنبكتي،مصدر سابق، ص 427.

[4] أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 56.

[5] خليل النحوي: المرجع السابق، ص 200.

أمّا فقه النّوازل فقد عرفت رواجاً كبيراً في المنطقة، فجمعت آراء فقهية مثل: نوازل محمد بلعالم الزجلاوي، ونوازل عبد الرحمن الجنتوري[1]، وغنية المقتصد السائل للبلبالي[2]، والتي تضمنت أحكام قضائية وأخرى فقهية، بالإضافة إلى نوازل الحسن بن آغيد الزيدي، ونوازل الوافي بن طالبين التي سمّاها الوزان في نوازل أروان.[3] كما ألّف محمد بن أب المزمري نظم العبقري على المقدمة الأخضرية في حكم السهو في الصلاة.

5- اللّغة العربية وآدابها:

إنّ اهتمام أهل المنطقة باللّغة نابع من اهتمامهم بالقرآن باعتبارها لغته، وبالتالي كان لزاماً على طالب القرآن وكل العلوم الشرعية أن يكون متمكناً في اللّغة العربية وآدابها حتى يسهل عليه الفهم، خاصة وأنّ لغة المتقدمين كانت صعبة تحتاج إلى حضور ذهني قوي لفهم معانيها وإدراك دلالتها، لذا انكب أهل توات وبلاد الساحل الإفريقي على تعلمها من أمهات الكتب اللّغوية مثل: الألفية ولامية الأفعال لابن مالك، والأجرومية لصاحبها عبد الله بن محمد بن داوود الصنهاجي[4]، وهي مقدمة في مبادئ علم اللّغة العربية، و ملحة الإعراب للحريري.

---

[1] الجنتوري: عبد الرحمن بن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي و سمي الجنتوري نسبة الى قصر جنتور، من اقليم قورارة ولد بين سنتي 1100هـ. 1110هـ / 1689 م. 1699م، درس القرآن الكريم وتفقه في الفقه في سن مبكرة ثم رحل إلى فاس ولم يدم بها مدة طويلة ثم رحل الى تنيلان الى الشيخ ابي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني. ترك عدة مؤلفات أهمها النوازل التي اشتهر بها توفي 1160 هـ، انظر: بوسعيد احمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري، ماجستير تاريخ عام، قسم التاريخ، جامعة ادرار، 2012. 2013، ص 53 وما بعدها. انظر في المصادر التالية: الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة كوسام (أدرار)، ص19

[2] البلبالي: عبد العزيز ابو فارس بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي ولد يوم الاثنين 13 شوال سنة 1190هـ/ 1774م بقصر ملوكة من قرى تيمي(ادرار) درس على يد والده محمد بن عبد الرحمن ثم محمد بن عبد الرحمن التنلاني والشيخ الونقالي، واخذ عليه العلم تلاميذه منهم ابنه سيد البكري، ومحمد بن محمد الجزولي البكري ومحمد بن احمد البداوي البكري، توفي يوم الأحد سبعة عشر جمادى الأولى 1261هـ. 1845م= =ترك عدة مؤلفات أهمها: غنية المقصد السائل، انظر: عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 48.55، بكري عبد الحميد، النبذة،ص 70، موسوعة تراجم علماء الجزائر، ص 475،481.

[3] أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص ص 56- 57.

[4] السعدي، مصدر سابق، ص 53.

وتجدر الإشارة إلى أنه وجد من علماء توات من أبدعوا و تفننوا في العربية ولعل أبرزهم محمد بن أب المزمري، [1] الذي كان يعتبر وحيد زمانه في اللّغة والنّحو والعروض[2]، حيث ألّف عدة مؤلفات أهمها: شرح روضة النسرين في مسائل التمرين لابن الحاجب، وقصيدة في الحروف الهجائية والبحور الشعرية.

كما برع من الشعراء بن الونان 1187هـ/1775م[3]، الذي ترك قصيدة تعد من أروع ما قيل في الشعر بعنوان: الشمقمقية متكونة من 275 بيتاً في أغراض مختلفة بلغت من الأهمية الكبرى، وخير دليل على ذلك عدد شروحها التي فاقت الستة، إحداها للنّاصري السلاوي مؤلف كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى[4].

كما ظهرت مؤلفات أخرى تفنّن أصحابها في إظهار البراعة اللّغوية والتمكن منها مثل: فتح الودود في شرح المقصور والممدود للشيخ المختار بن أحمد الكنتي في النّحو والصرف، بالإضافة إلى ألفيته في اللّغة العربية، ومختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون لعبد الرحمن التنيلاني.[5]

كما ألّف أبو عبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكتي تأليفاً لغوياً أطلق عليه المنح الحميد في شرح الفريد، وهو شرح لألفية السيوطي، كما برع عمر بن بابا بن عمر الولاتي الذي كان إمام العربية فصيح اللّسان، وقد درّس العربية بالأزواد.[6]

---

[1] ابن اب المزمري: أبو عبد الله محمد بن اب بن احميد المزمري نسبة الى زمورة من ارض البربر،التواتي منشأ وموطنا ولد بقرية أولاد الحاج بأولف بعد 1090هـ . 1679م من كبار فقهاء وأدباء توات له عدة مؤلفات أهمها: شرح روضة التمرين في مسائل التمرين، نظم العبقري، الذخيرة الكنزية في حل الفاظ الهمزية. انظر : جعفري أحمد ابا الصافي، ابن اب المزمري حياته وأثاره، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2004، ص 45 وما بعدها، عبد العزيز سيد عمر، قطف الزهرات،ط2، ص 54. موسوعة تراجم علماء الجزائر، مرجع سابق، ص 574.

[2] جعفري أحمد ابا الصافي، ابن اب المزمري، مرجع سابق، ص44 .

[3] بن الونان: احمد بن محمد بن محمد الحميري التواتي أبو العباس،يعود نسبه الى قبيلة معقل العربية من أهم مؤلفاته الشمقمقية في الأدب توفي بفاس 1187 هـ/1773م . انظر: مبارك جعفري، مرجع سابق، ص194.

[4] مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 224.

[5] جعفري أحمد ابا الصافي، ابن اب المزمري، مرجع سابق، ص 45.

[6] أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 64.

هذا وقد برعت أسر بأكملها في اللّغة مثل: عائلة آل آقيت التي ينتسب إليها الفقيه والعالم أحمد بابا التنبكتي[1]، حيث عنى بعلوم اللّغة الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر، الذي كان فقيهاً نحوياً وعروضياً محصلاً بارعاً، كما نبغ أخوه محمد بن عمر الذي كان يقوم بتدريس بعض علوم اللّغة لأهل التكرور، وكذا العالم النّحوي أبو حفص عمر بن آقيت.[2]

بينما يعتبر الشناقطة من أول من أبدع في اللّغة بالمنطقة، فتتبعوا أسرارها واختصوا بفقهها، فكان الشعر عندهم طلاقة والنّحو من سليقتهم، حيث وضع آند عبد الله بن أحمد المحجوبي شرحاً على الأجرومية[3]، وفي مدينة شنقيط ذاتها وضع الطالب محمد بن المختار بن الأعمش [4] (ت 1107هـ) شرحاً على الفريدة للسيوطي.

6- التاريخ و التراجم و السير:

كان لهذا الفن من العلم اثر كبير في الحياة العلمية في توات وبلاد الساحل الافريقي لما فيه من الوقوف على العبر والعظات وذكر الرجال ومآثرهم والعظماء وفضائلهم ،يقول بن خلدون " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم بذلك فائدة الاقتداء فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة..."[5]، لذلك كانت هذه الكتب تدرس في الزوايا والمدارس القرآنية خاصة كتب السير والشمائل التي كانت على شكل متون خاصة متن الهمزية والبردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان سيره ومغازيه

---

[1] قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 و10 هـ/15 و16م، دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 20112010، ص 122.

[2] السلاوي الناصري أبو العباس، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج5، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955، ص129.

[3] خليل النحوي: مرجع سابق، ص 241.

[4] الطالب محمد بن المختار بن الأعمش، ولد عام 1036هـ مفتي مدينة شنقيط، له إجازات في فنون شتى، يعد أول شارح من الموريتانيين لإضاءة الدجنة للمقري وله نوازل تعرف بنوازل ولد الأعمش، انظر: ابن طوير الجنة، المصدر السابق، ص 48.

[5] ابن خلدون عبد الرحمن (المقدمة) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ص 10.

فكانت هاتين القصيدتين للإمام البوصيري[1]، من أهم ما يذكر عند أهل المنطقة في الأفراح والأقراح وذلك تبركا واقتداء بسيرة وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ،حيث خصصوا لهما ليلتان من ليالي الأسبوع وهما الخميس والجمعة[2] لقراءتهما جماعيا بعد صلاة المغرب ليتمكن كل واحد من حفظها سواء طلبة العلم أو حتى عوام الناس صغارا وكبارا، وهي عادة منتشرة الى اليوم في المنطقة، هذا عن السيرة النبوية.

أما كتب الشمائل المحمدية مثل البرزنجي والبغدادي فهي تردد خلال المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف، كما لقيت كتب التاريخ و التراجم الأخرى بالغ الاهتمام من طرف متعلمي المنطقة سواء كانت مؤلفات محلية او تلك المتعارف عليها والمشهورة في البلاد الإسلامية مثل كتب الطبري، وابن الأثير، و العِبر و المقدمة لابن خلدون وكتاب الديباج المذهب لابن فرحون وكتاب كفاية المحتاج لأحمد بابا التنبكتي، وكذلك كتاب إشراح الصدر بأسماء أهل بدر لعبد اللطيف الدمشقي[3]، وكتاب الغزوات لأحمد البدوي المجلسي الشنقيطي[4] بالإضافة الى الفهارس التي خلفها العلماء مثل فهرس عبد الرحمن بن عمر التنيلاني التي وصفها لشيوخه وعلماء المنطقة[5].

7- المنطق و الفلسفة:

كان اهتمام أهل المنطقة بالمنطق و الفلسفة قليل مقارنة بالعلوم الأخرى خاصة العلوم الشرعية لذا كانت من المقررات غير المهمة بل تعتبر معارف وعلوم إضافية تكمل ثقافة الطالب وتساعده، إلا أن الساحة العلمية لم تخلو من هذا الفن خاصة بعد مجيء الإمام المغيلي الى المنطقة ومناظرته الشهيرة مع الإمام السيوطي حول الاشتغال بعلم المنطق فأصبح يدخل في

[1] البوصيري: هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي ولد سنة 608هـ/1297م توفي سنة 696هـ وقيل 697هـ /1296م . 1297م انظر: أبو العباس محمد التجاني، الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية، الدار النموذجية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 03. نقلا: عن حوتية محمد، توات والازواد، مرجع سابق، ص263.

[2] حوتية محمد، المرجع سابق، ص263.

[3] جعفري مبارك: المرجع السابق، ص ص 225- 226.

[4] خليل النحوي: مرجع سابق، ص 215.

[5] باعثمان عبد الرحمن: فهرست عبد الرحمن بن عمر التنلاني، ص 94.

اهتمامات علماء المنطقة فكانت مؤلفات الشيخ المغيلي[1]، هي المرجع الأول في هذا المجال ومن أهمها رجز المغيلي المسمى في المنطق الذي تصدى لشرحه العالمان احمد بابا التنبكتي ومحمد بن عمر بن محمد اقيت[2] بالإضافة الى كتابه منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب، وكان من أهم المواد الدراسية في الفلسفة المقررة على طلاب المنطقة في هذه الفترة، [3]وهناك كتب أخرى مثل المختصر في المنطق لمحمد بن يوسف السنوسي والسلم المرفق في علم المنطق لعبد الرحمن الأخضري وكتاب المنطق لحمد بن عبد الرحمن السكوتي القبلاوي[4].

ثانيا: المؤسسات التعليمية:

كان التعليم في توات وبلاد الساحل الافريقي يتم في مؤسسات تعليمية وفق ما تقتضيه كل مرحلة من مراحل التعليم بدءاً بالكُتاب ثم المسجد والزاوية، إضافة إلى مدرسة جمعت بين وظائف الكُتاب والزاوية وهي المحضرة، وسنقتصر الدراسة على الكتاتيب باعتبارها مشتركة في كل من توات وبلاد الساحل، على أننا نفرد المساجد المتعلقة بهذه الأخيرة خاصة بمدينة تنبكتو أما الزوايا فقد أفردناها لمنطقة توات.

أ- الكتاتيب:

الكتاتيب لغةجمع كُتَّاب بضم الكاف وتفخيم التاء الممدودة ومنه المكتب وهو موضع للتعليم والكتاب وهم الصبيان الذي يكتبون يقول عبد العزيز سيد اعمر المهداوي صاحب كتاب قطف الزهرات في اخبار علماء توات " فلما بلغت سن التعليم أدخلني والدي مكتب القرآن عند عمنا ومقرئ بلدنا .."[5]، أما عبد الرحمن السعدي فقد سماها محضرا وقد أورد هذا اللفظ في معرض حديثه عن الفقيه أبو القاسم التواتي أحد علماء تنبكتو و إمام مسجدها

[1] أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 66.
[2] السعدي، مصدر سابق، ص 40.
[3] حوتيه محمد: المرجع السابق، ص 261.
[4] محمد باي بلعالم: مرجع سابق، ص 240.
[5] عبد العزيز سيد عمر: قطف الزهرات في أخبار علماء توات، مرجع سابق،ص 09.

الكبير فقال عنه ".... قد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة ليس بينها وبين داره إلا الطريق العتيق النافذ بعدما ابتنى محضرا في قبالة المسجد لاصقا بها، وفيها يقرئ الأطفال، وبعدما توفي خلفه فيه تلميذه السيد منصور الفزاني وبعده السيد الفاضل الصالح الخير، الزاهد المقرئ عالم التجويد الفقيه إبراهيم الزلفي "[1]، وواضح من خلال نص السعدي أن كلمة محضر تعني الكُتَّاب أو مدرسة لتعليم وتحفيظ القرآن،وكانت هذه المحاضر قد عرفت انتشارا واسعا في حواضر شنقيط والأزواد[2]، إلا أنها مزجت بين وظيفة الكتاب ووظائف الزاوية، وحتى المساجد حيث تشتمل على أصناف ومراحل التعليم من الابتدائي إلى ثانوي إلى عالي، وهذا النوع من المحاضر يكون في المناطق التي يعتمد أهلها على الرعي و الترحال وبالتالي هي مؤسسة تعليمية بدوية شعبية متنقلة، أما في منطقة الهوسا فكان يطلق عليها اسم مدارس قرآنية، حيث نجد الباحث آدم عبد الله الآلوري يؤكد هذا عندما يتكلم عن التعليم في نيجيريا قائلا:" أما القراءة والكتابة فكانتا تعلمان مع القرآن في المدارس القرآنية التي يرتادها أطفال المسلمين ليدرسوا كلام ربهم وليستظهروه، إلى جانب ما يضيفون إليه من معرفة فروض الدين الإسلامي من عقائد وعبادات.[3]" وبالتالي الكتّاب هو مكان تعليم الصبية الحروف وكيفية كتابتها وقراءتها وقد انحصرت وظيفة الكتاب في تهيئة الطالب للدخول الى المرحلة الثانية في المدارس والزوايا والمساجد[4]، بحيث يلم بالخط وفنونه وباللغة العربية وضروبها زيادة على عملية تحفيظ القرآن عن ظهر قلب[5]، لذا كانت هذه المرحلة ضرورية لكل طالب لأنه بدونها لا يتأهل لمزاولة الدراسة في بقية المراحل[6]، وقد انتشرت هاته الكتاتيب في كامل أرجاء المنطقة بحيث لا تكادتجد قرية أو

[1] السعدي، مصدر سابق، 56.

[2] خليل النحوي، مرجع سابق، ص ص 56-57.

[3] آدم الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، مرجع سابق، ص 94.

[4] فرج محمود فرج، إقليم توات، مرجع سابق، ص 85.

[5] محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ص 240.

[6] بوكرابيلة الزهراء،الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية ما بين القرنين 7هـ. 10هـ /13م 16م، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 20112010، ص 88.

بلدة إلا وفيها كتاب أو اثنين كل هذا يدل على الأهمية التي كانت لهذه المؤسسة التعليمية الأولى التي تعتبر القاعدة الأساسية في بناء الحركة التعليمية.[1]

ب- المساجد:

يعتبر المسجد مؤسسة جامعة تجمع الى جانب الوظيفة الدينية وظائف أخرى أبرزها تعليم كتاب الله وتحفيظه والتفقه في أمور الدين يقول الشيخ باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية عن المسجد " هو مكان للعبادة ومنتدى للنظر في شؤون المسلمين ومركز لاتخاذ القرارات الكفيلة لسعادة البشر والقضاء بين الناس ودراسة القرآن الكريم"[2]، فكانت المساجد بهذه الوظيفة اللبنة الأولى في المجتمع الإسلامي من لدنا الرسول صلى الله عليه وسلم الى الصحابة الكرام وإتباعهم على مر الأزمان وهي المدرسة الأولى للإشعاع العلمي والمركز الأعظم للتوحيد الديني وأقدم جامعة تأسست للتعبئة الثقافية والسياسية والعسكرية[3] وبالتالي أصبحت رمزا من رموز هذا المجتمع الإسلامي في كل من توات وبلاد الساحل الافريقي حيث اعتنى السكان ببناء المساجد وأولوها اهتماما كبيرا فلم يخلو قصر أو حي من بيت من بيوت الله لإقامة شعائر الدين، [4] وحلقات الدروس اليومية للعلوم التي كانت سائدة في المنطقة، فظهرت مساجد كانت منارات للعلم خاصة في بلاد الساحل الافريقي والتي اشتهر فيها التعليم في المساجد عكس توات التي تزاوج التعليم بين المسجد والزاوية بل إن بعض المساجد كانت تابعة لزوايا معينة[5]. وبالتالي سنقتصر في هذه الدراسة على المساجد التي كانت في بلاد الساحل الافريقي مخصصة للتعليم وتحت إشراف سلطة معينة ومن أهم المساجد التي قامت بدور تعليمي في منطقة الساحل خاصة مساجد تنبكتو وجني مثل المسجد الكبير ومسجد سنكري الذي ضاهت

[1] عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 143

[2] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، مرجع سابق، ص 303.

[3] المرجع نفسه،ص .305

[4] بوكرابيلة الزهراء،الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان مرجع سابق، ص 96.

[5] سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، مج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 245.

شهرته جامعتي القرويين و الزيتونة في فاس وتونس وحتى الأزهر في مصر وكان هذا بمثابة جامعة كبرى لإفريقيا فيما وراء الصحراء[1].

1- مسجد الجامع الكبير:

يعتبر من أقدم المساجد في تنبكتو شيد في فترة مملكة سنغاي في عهد السلطان منسا موسى وقد بني لأول مرة في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وأشرف على بنائه المهندس الأندلسي أبو إسحاق الساحلي[2] ووسعه السلطان اسكيا داوود الذي اشتهر بتقريبه للعلماء وحبه للعلم[3].

وفي القرن السادس عشر وسعه القاضي محمود بين سنتي (1570م . 1583م) وبنى المسجد بمادة الطين الممزوجة بالقش ودعمه بالخشب حيث أصبح يتألف من ثلاث قاعات داخلية وخمس وعشرون صفا من الأعمدة، يتسع لألف مصلي[4]، تعاقب على الإمامة والتدريس في هذا المسجد الكثير من العلماء منهم الإمام عثمان بن الحسن التيشيتي، ثم كداد بن أبي بكر الفلاني، ثم عبد الله البلبالي وهو أول عربي يتولى إمامة المسجد ثم أبو القاسم التواتي[5]، الذي عرف بالصلاح والزهد وكان يدرس الصبيان الى جانب الإمامة[6].

2- مسجد سنكري:

وهو من أشهر المساجد في بلاد الساحل الافريقي بلغت شهرته الآفاق للمكانة التي كان يحظى بها، فهو بمثابة جامعة إسلامية في تنبكتو حيث يعود بناؤه حسب رواية السعدي

---

[1] السعدي: المصدر السابق، ص 62.

[2] بوكرابيلة: مرجع سابق، ص 114.

[3] السعدي: المصدر السابق، ص 56.

[4] بوكرابيلة: المرجع السابق، ص 115.

[5] ابو القاسم التواتي: كان من التواتيين الذين رحلوا الى بلاد السودان خاصة تنبكتو، كان امام المسجد الجامع بتنبكتو، شهد له بالصلاح توفي 922هـ يتنبكتو ودفن بالمقبرة الجديدة. انظر: البرتلي محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في معرفة اعيان التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1981، ص ص69- 70.

[6] أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص ص 67- 68.

الى امرأة من قبيلة الأغلال ثرية وهبت مالها في سبيل بناء بيت الله[1]، عرف المسجد ازدهارا كبيرا في مملكة سنغاي خاصة في عهد الاسكيا محمد بلغت شهرته حتى أصبح ينافس الجامعات المعروفة آنذاك في كل من فاس ومصر وتونس[2]، وكانت أساليب التدريس فيه تشبه أساليب التدريس في جامع القرويين في فاس، وتولى الإمامة والتدريس في هذا المسجد ثلة من العلماء منهم الفقيه أبو البركات محمود بن عمر آقيت والفقيه المختار النحوي، وبلقاسم التواتي ثم القاضي العاقب الذي ولاه السلطان الاسكيا داود كما تولى الإمامة فيه صاحب كتاب تاريخ السودان عبد الرحمن السعدي[3].

3- مسجد يحي التادلسي:

وينسب هذا المسجد للعالم يحي التادلسي أحد العلماء الذين جاءوا إلى بلاد السودان وعين إماما في هذا المسجد واستمر فيه الى أن توفي سنة 868هـ / 1463م ،وقد أسس هذا المسجد على ضريح احد العلماء القادمين من المغرب الأقصى لنشر تعاليم الدين الإسلامي[4]. وهو أول مسجد يؤسس في تنبكتو أما تاريخ تأسيسه فيرجع الى فترة حكم الطوارق على تنبكتو في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي تولى الإمامة فيه بعد يحي التادلسي، كل من الإمام محمد بغيغ ومحمد بن محمود الونكري 1018 هـ/1609م ثم الإمام احمد بن سعيد 1040هـ/1630م[5] ثم جاء من بعده محمد بن احمد الذي توفي 1060 هـ / 1650م ثم خلفه الإمام إبراهيم بن عبد الله حتى توفي سنة 1140 هـ/ 1727م ثم الإمام إبراهيم بن احمد المنوفي سنة 1157هـ/ 1744م.[6]

---

[1] السعدي: المصدر سابق، ص 62

[2] الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري، مرجع سابق، ص 150.

[3] السعدي: المصدر سابق، ص ص 63 – 67.

[4] أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 68.

[5] بوكرابيلة: المرجع السابق، ص 116.

[6] أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 69.

4- مسجد التواتيين:

أسس هذا المسجد محمد التواتي القادم من توات سنة 920هـ/1514م بمساعدة مجموعة من التواتيين سكنت تنبكتو وأغلبهم كانوا من التجار وسبب بناء هذا المسجد هو ظهور خلاف بين علماء تنبكتو والسكان من أصول تواتية لذلك شيدوا المسجد واعتكفوا فيه للعبادة [1] والتدريس ثم انضم إليهم بعد ذلك جزء من سكان تنبكتو [2] وتولى الإمامة والتدريس في المسجد عدد من الأئمة منهم الفقيه محمود بن محمد الزغرائي التنبكتي الذي استمر فيه إماما الى أن مرض وتوفي يوم الخميس 12 رجب سنة 1011هـ/ 1602م.[3]

5- مسجد الفزاني:

بنى هذا المسجد العالم التاجر محمد الفزاني من بلدة فزان بمدينة اقدز [4] وهو يتوسط المدينة وقد درس فيه نخبة من العلماء منهم الشيخ عثمان بن أبي بكر الحضيري الفزاني في عام 1009هـ/ 1600م الذي شغل منصب إمامته كما كانت بمدينة اكدس مساجد أخرى منها مسجد الكرامة الذي أسسه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وذلك عندما استوطن المدينة ودرس بها مدة من الزمن.[5]

ج- الـــزوايـــا:

تعتبر الزوايا في منطقة توات وبلاد الساحل الافريقي من أهم المراكز الحضارية التي نشَّطت الحركة التعليمية وأعطت نمطا خاصا للتعليم وفق مناهج ومقررات معينة تختلف عن ما كان في سابقتها خاصة من ناحية العمق وتوسيع المعارف ونظام التعليم وكانت هذه الزوايا تجمع بين الوظائف التعليمية الى جانب الوظائف الدينية والاجتماعية.

---

[1] بوكرابيلة: المرجع السابق، ص ص117.116

[2] الهادي مبروك الدالي، مرجع سابق، ص ص 156 – 157.

[3] أحمد الحمدي: مرجع سابق، ص 69

[4] بوكرابيلة: المرجع السابق، ص 117.

[5] أحمد الحمدي: مرجع سابق، ص 70 .

أصل تسمية الزوايا: هي كلمة مشتقة من فعل انزوى وينزوي ويعني انعزل وفي الحديث" زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها" وفعل زوى الشيء أي جمعه وقبضه[1]، وسميت بذلك لأنها تجمع العلم والضيوف والفقراء وعند الصوفيين هي مكان التقاء الشريعة بالحقيقة[2]. وقد أطلقت هذه التسمية في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المصلى الصغير[3] ومازالت هذه الكلمة تحمل نفس المعنى في المشرق، أما في بلاد المغرب الإسلامي فهي عبارة عن مبنى يميزه الطابع الديني يمكن أن يشبه الدير إما عن تسمية الزوايا فيرى محمد على دبوز أنها جاءت إما لانزوائها على المدينة باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية أم لان وجودها كان دوما منزويا في أطراف المدينة[4]، . وقد تطور مفهوم الزاوية بتطور المراحل التاريخية حيث كان يطلق على الرباط الذي كان معد للجهاد إلا انه ابتداء من القرن الخامس الهجري أصبح مصطلح الزوايا في المغرب الإسلامي يطلق على مكان للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين وبالتالي هي مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وقد سميت بدار الكرامة أو دار الضيوف[5].

أما عن نشأة الزوايا في منطقة توات وبلاد الساحل الافريقي فهي مرتبطة بتاريخ عمارة المنطقة ونشأة قصورها أو حسب العائلات التي ساهمت في تكوينها ويتجلى ذلك في أسماء القصور التي تحمل أسماء الزوايا مثل زاوية الحاج بلقاسم وزاوية الدباغ بتنجورارين(قورارة) وزاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وزاوية كنته بتوات الوسطى وزاوية حينون وزاوية مولاي هيبة بإقليم تيديكلت[6]، وقد أدت هذه الزوايا دورا بارزا في نشر الوعي الفكري والحضاري بالمنطقة وبث الروح العلمية في نفوس السكان كما قامت بدور اجتماعي كبير تمثل في اعتبار الزوايا مأوى

[1] مرپوش، حوتيه: مرجع سابق، ص 151.

[2] محمد باي بلعالم: مرجع سابق، ج1، ص 315، وانظر: ميلود سرير: المرجع السابق، ص 29.

[3] بجيدي حسان ومحمد عبد القادر، الزوايا ودورها في حفظ المخطوط، مذكرة ليسانس، علم المكتبات، قسم علم المكتبات جامعة وهران، 20012000، ص 04.

[4] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة العربية الجزائرية، ط1، 1971، ص 42

[5] محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، ط1، 19641384، ص 25

[6] محمد باي بلعالم،مرجع سابق، ج1، ص 319، وانظر: محمد حوتيه، مرجع سابق، ص ص 234،235.

للعديد من المسافرين والمعوزين وعابري السبيل[1] في الصحراء القاحلة خاصة ركب الحجيج والقوافل التجارية[2]، ومن أهم الزوايا في الإقليم ما يلي:

1- زاوية سليمان بن علي:

وهي أول زاوية عرفتها المنطقة حيث أسسها الشيخ سليمان بن علي[3] الذي قدم الى توات من فاس سنة 580هـ واستقر بأولاد اوشن[4] واسس زاويته سنة 595هـ وبدأ يعلم القرآن واللغة العربية والعقيدة والتوحيد، فالتف السكان حوله ووثقوا به وعمل على نشر فكره الصوفي من خلال الأوراد التي لقنها لإتباع زاويته الذين انتشروا بكامل الصحراء وبلاد السودان الغربي، كما كانت هذه الزاوية تضم مكتبة كبيرة من الكتب في مختلف العلوم كالحديث والفقه واللغة العربية والحساب والجغرافيا والفلك والطب والمنطق[5].

2- زاوية الشيخ المغيلي:

يعتبر الشيخ المغيلي هو المؤسس لها بعد ما رحل من تمنطيط اثرا الخلاف الذي حصل له مع العصنوني قاضي الجماعة التواتية حول نازلة يهود توات فآثر الرحيل، إلى واحة بوعلي أين أسس هذه الزاوية عام 885هـ - 1480م وبدأ النشاط العلمي بها وسرعان ما جمعت هذه الزاوية بين المهمة التعليمية والمهمة الجهادية ،حيث كانت قاعدة لانطلاق جيش المغيلي لضرب قواعد اليهود بتازولت وتاخفيفت وتمنطيط ،كما كانت ذات ورد صوفي قادري انتشر في منطقة السودان الغربي مما دعم نفوذها في هذه المناطق، توجد بهاته الزاوية خزانة للعديد من

---

[1] احمد الحمدي، المرجع سابق، ص60.

[2] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 162.

[3] سليمان بن علي: هو سليمان بن علي الشريف بن عمر احمد ينتهي نسبه الى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بفاس سنة 549هـ/1154م درس على يد الشيخ علي بن حرزهم وهو الذي أمره بالذهاب الى توات والاستقرار بها سنة 580هـ/1184م فنزل تنيلان ثم انتقل بعدها الى أولاد عيسى إحدى قصور أدرار ليستقر به المقام آخر المطاف في أولاد اوشن التي أسس بها زاويته التي أصبحت مقصد للطلبة عابري السبيل، توفي سنة 670هـ/1271م، انظر: عبد الحميد البكري: النبذة في تاريخ توات وإعلامها،مرجع سابق، ص ص74،75. انظر. جعفري مبارك، مرجع سابق، ص ص123،124.

[4] اولاد اوشن: وهي حي من إحياء مدينة أدرار وأحد قصورها العتيقة يوجد به ضريح الشيخ سليمان بن علي السابق الذكر.

[5] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح،المرجع السابق، ص ص60.61.

المخطوطات والمؤلفات أهمها مؤلفات الشيخ المغيلي، بالإضافة الى أوقافها والمتمثل في أراضي وبساتين ونصيب وافر من مياه الفقاقير[1].

3- الزاوية الكنتيه:

وتسمى الزاوية الرقادية نسبة الى احمد الرقاد بن محمد الرقاد الكنتي المولود بوادي نون[2] سنة 968هـ .1560م المنحدرة اسرته الرقادية الكنتية من نسل الفاتح الإسلامي والصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، وفد احمد الرقاد بن محمد الرقاد الكنتي إلى توات مع القوافل التجارية حيث نزل بزاوية الشيخ عبد القادر بن عومر و رافق شيخها فترة من الزمن فأمره بالانتقال الى مقر الزاوية حاليا حيث اشترى[3] أرضها من جماعة من أهل عزي وبنى عليها زاويته سنة 999 هـ 1590م والتي أصبحت منارة للعلم يقصدها الطلبة من توات والازواد من أقدز وتنبكتو وغاو[4] الذين درسوا على شيخها أحمد بن محمد الرقادي الكنتي، الذي توفي في 1016هـ. 1607م مخلفا العديد من الأبناء كانوا هم أيضا شيوخ في هذه الزاوية نذكر منهم الشيخ علي بن أحمد بن محمد الرقادي المتوفي سنة 1120 . 1708م ثم خلفه ابنه محمد بن علي الذي ولد بها عام 1050 هـ. 1640م المتوفي سنة 1222هـ. 1807م، ثم ابنه محمد الصوفي ولد عام 1180هـ. 1766م وتوفي بالمدينة المنورة 1278هـ. 1861م[5].

هذا وشهدت الزاوية حركية علمية كبيرة لم تشهدها بقيةُ الزوايا من قبل، حيث ورد في نوازل الجنتوري ما يدل على الحيوية والنشاط الفكري الذي طبع هذه الزاوية و كان يجري البحث بين طلبتها في بعض المسائل الفقهية واللغوية المثارة[6]، ويحصل التنافس فيما بينهم بل إنهم كانوا يؤلفون فيها التآليف والتصانيف، كما كانت بهذه الزاوية خزانة تضم كتب نفيسة في

---

[1] الحمدي، احمد: المرجع السابق، ص ص62-63..

[2] وادي نون، هي منطقة تقع في صحراء المغرب الأقصى، قريبة من المحيط الأطلسي، تسكن بها قبائل صنهاجة .

[3] جعفري احمد، أحفاد سيدي عقبة بن نافع آل كنته وآثارهم بإقليم توات، الملتقى الدولي حول عقبة بن نافع الفهري، الجمعية الخلدونية للدراسات والأبحاث التاريخية، بسكرة، أيام 11 و13.12 ديسمبر 2006م، ص ص 2 3.

[4] بوكرابلية الزهراء: مرجع سابق، ص 54

[5] حوتيه محمد: مرجع سابق، ج1، ص 244

[6] بوسعيد احمد، الحياة الاجتماعية والثقافية في توات، مرجع سابق، ص 120.

جميع الفنون العلمية[1]، أما عن الطلبة الذين تخرجوا من الزاوية وأصبحوا شيوخ علم عرفوا بإنتاجهم العملي، نذكر منهم الشيخ محمد بن اب المزمري صاحب الرياسة اللغوية والأدبية في القطر التواتي وكذلك عبد الرحمن بن عمر التنلاني صاحب الفهرست الذي وصف فيها المدة التي قضاها فيها وعن المصنفات للشيخ عمر بن محمد بن مصطفى الكنتي وطريقة تدريسه بالزاوية بالإضافة الى الشيخ أبو عبد الله بن عبد الجبار الفجيجي والشيخ الصديق بن عبد الله الوجدي[2]، كما كانت زوايا تابعة لها في الازواد وعموم بلاد الساحل مثل الزوايا الكنتيه التي وجدت في البادية أو الحاضرة سواء في تمنبكتو او في اروان[3].

4- الزاوية البكرية:

يرجع تاريخ العائلة البكرية الى ميمون[4] بن عمر بن محمد بن عمر اليازي الذي ولد بفاس واخذ عن علمائها كابن غازي، حل بتوات سنة 909 هـ-1503م وعاصر قاضيها عبد الله العصنوني وصاهره ويعد الشيخ ميمون أول من أدخل كتاب مختصر خليل للديار التواتية، [5] بعد حادثة وقعت له مع أهل توات فرحل إلى فاس فاشتراه بأربعين مثقالا ذهبا وقدم به لتوات فاستحسنه العلماء و اقبلوا عليه مما زاد من شهرة الكتاب ومن ورائه الشيخ ميمون الذي أصبح منارة للعلم وانتفع به أهل المنطقة إلى أن توفي . وحمل لواء العلم بعده أبناءه وأحفاده منهم العالم عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد الذي تصدر للتدريس في تمنطيط فتخرج على يديه العديد من الطلبة من أهمهم ابنه محمد بن عبد الكريم[6]، المتوفي سنة 1092هـ/ 1681م وابنه

[1] الطاهري أحمد الإدريسي: نسيم النفحات في أخبار علماء توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تعليق، الطاهري عبد الله، دون دار نشر، 2010، ص 95.

[2] طموز عبد الكريم، تحقيق فهرس شيخ شيوخ عمر بن الحاج عبد القادر التنيلاني التواتي (1152هـ/1739م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011م، ص ص43. 44.

[3] حوتيه محمد، مرجع سابق،ج1، ص 244.

[4] عبد الحميد بكري: المرجع سابق، ص 106.

[5] طموز عبد الكريم، المرجع السابق، ص 41.

[6] عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص 122

البكري[1] بن عبد الكريم المتوفي 1133هـ / 1721م. هذا الذي أسس الزاوية البكرية سنة 1117هـ/ 1705م في تمنطيط والتي استمرت في بث العلم وتخريج العلماء الذين آثروا الساحة العلمية بتوات طيلة القرنين (11 و12 هـ / 17 و18م) منهم أبناء الزاوية البكرية كالقاضي عبد الحق بن عبد الكريم قاضي توات والحسن بن سعيد البكري والشيخ محمد البكري بن محمد بن عبد الرحمن أما من غير العائلة البكرية نذكر منهم احمد بن يوسف الونقالي[2]، ثم التنيلاني الذي أسس زاوية تنيلان والتي سوف تتصدر الساحة العلمية خلال القرن 11و بداية القرن 12 هـ.

5- زاوية تنيلان [3]

أسس هذه الزاوية الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي، ولد بأولاد أنقال[4] سنة 102هـ 1593م أخذ العلم عن عالم توات عبد الكريم بن أحمد بتمنطيط، رحل عن أولاد أنقال بعدما لقي مضايقات من أخواله فذهب إلى موضع تينيلان و أسس هذه الزاوية يوم 11 رمضان 1058 هـ/1648 م و بنى جامعها و حفر فقاقيرها و عمر قصرها.[5]

شهدت الزاوية أزهى أيامها و عطائها في فترة عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنيلاني الذي زار فاس و نهل من علمائها و بعد رجوعه إلى تنيلان تصدر التدريس فيها سنة 1129 هـ.1717م فعرفت هذه الفترة قدوم عديد الطلبة للتعلم فيها من مختلف أرجاء الصحراء نظرا للمكانة التي كان يحظى بها الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الذي قال عنه صاحب الدرة الفاخرة " أحد الأعلام و الأئمة المجتهدين في المذهب له ترجيحات كان عالما

---

[1] بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي، مرجع سابق، ص 49.

[2] طموز عبد الكريم، مرجع سابق، ص 43.

[3] وهي احد قصور مدينة أدرار تبعد عنها حوالي 04 كلم وهي مدينة قديمة إلا انه الآن أنشئت مدينة جديدة في مدينة أدرار نفسها تسمى تنيلان وهي محاذية لهذه المدينة القديمة تنيلان وتكاد تختلط بها.

[4] وهي حي تابع لاحياء مدينة أدرار مختلط بوسط المدينة أدرار يشتهر بضريح العالم الونقالي

[5] باعثمان عبد الرحمن، الدور العلمي للزوايا التنيلانية، الملتقى الوطني الرابع حول إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث(1500م،2000م)، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية، جامعة أدرار، أيام 05.04 جمادى الأولى 1431هـ الموافق لـ: 19 . 20 افريل 2010م، ص 05.

بالنحو و الفقه و الحديث و اللغة و العروض[1]، تخرج من هذه الزاوية العديد من العلماء أمثال عبد الرحمن الجتنوري و أبي الأنوار التنيلاني، وعمر بن محمد المصطفى الكنتي و ابن اب المزمري، و عبد الرحمن بن عمر التنيلاني و القاضي عبد الحق بن عبد الكريم ومحمد العالم الزجلاوي ومحمد بن المبروك البداوي[2].

كل هؤلاء العلماء كان على إسهام علمي في المنطقة إن تدل على شيء و إنما على منهل العلم الذي تروا منه ألا وهو الزاوية التنيلانية .

6- زاوية بدريان [3]

تأسست هذه الزاوية في القرن التاسع الهجري على يد أبو محمد الجزولي[4]، وهو من أبناء محمد بن سليمان الجزولي عاش في القرن التاسع الهجري في منطقة أولاد سعيد بإقليم تينجورارين (قورارة)[5] أخذ العلم على يد والده ثم على يد الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين و أخذ التصوف على يد الشيخ موسى بن المسعود .

انتقل إلى تينركوك حيث أنشأ الزاوية الجزولية و زوايا تابعة لها في قصور مختلفة كزاوية فاتيس و زاوية بن عيسى و بعد وفاته تولى تسيير شؤون الزاوية ابنه محمد بن عبد الله الصوفي[6] الذي قسم الزاوية إلى ثلاثة أقسام القسم الأول أوقفه لطلبة العلم و عابري السبيل، و القسم الثاني أوقفه للفقراء حيث يتكون من أربعين سكنا و خمسة و ثلاثين بيت أما القسم الأخير

---

[1] المهداوي عبد القادر بن عمر،الدرة الفاخرة في ذكر مشايخ التواتية، مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، ادرار، ورقة 03.

[2] عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 82.

[3] هي قصر من قصور بلدية تيميمون، تبعد عن تيميمون بحوالي 14 كم شمال تيميمون، ويبتعد عن مقر ولاية أدرار 224 كم، وتعد من قصور إقليم قورارة.

[4] الجزولي: هو أبو عبد الله ولد بجزولة واشتغل بها ستة عشر عاماً في الفقه والعربية والحساب على يد أبي العباس اللقاني وأخيه عيد النرير، رحل إلى تونس ودخل والتقى الشيخ أبا القاسم البرزلي، ثم رحل إلى مكة والمدينة، كان بارعاً في الفقه والأصول والعربية، ولد سنة 806 وتوفي سنة 863هـ. انظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق ص 538.

[5] تينجورارين أو قورارة أو تينكورارين: هي كلمة أمازيغية تعني المعسكرات، وأطلقت هذه الكلمة على الإقليم الذي يعتبر جزء من توات الكبرى التي تقسم إلى توات وسطى – قورارة – تيديكلت. انظر: طموز عبد الكريم، مرجع سابق، ص 20.

[6] بليل رشيد: قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقبي والأخبار المحلية. منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،عدد 3، 2008، ص 195. حوتية محمد، مرجع سابق، ص 235.

فقد تركه لأبنائه و أحفاده.[1] اهتمت هذه الزاوية بالناحية العلمية حيث تخرج منها عدد كبير من العلماء نذكر منهم عبد الرحمن بن محمد الغزاوي و ابنه محمد عبد السلام و الشيخ أحمد بلحاج دفين أولاد أحمد تيمي و قاضي تينجورراين محمد بن أحمد الفقيه[2] تحتوي الزاوية على خزانة من المخطوطات وصل عدد مخطوطاتها الى مئة مخطوط سنة 1195هـ-1780م.[3]

7- زاوية أقبلي بتيديكلت [4]

ومؤسسها هو الشيخ عبد الرحمن الملقب بأبي نعامة القبلاوي ولد سنة 1060 هـ-1650م بأقبلي، [5] حيث كانت هذه الزاوية محطة يلتقي فيها حجاج التكرور و حجاج توات، [6] مما أعطاها فرصة للالتقاء بين العلماء و تبادل الخبرات العلمية و الآراء في المسائل حيث يذكر التنيلاني صاحب الفهرست أنه انتقل إلى الزاوية من أجل مقابلة الشيخ الغلاوي من بلاد الساحل[7] و ربما هذا الالتقاء من أجل مسائل علمية، بالإضافة إلى أنها كانت محطة تبادل الكتب و المؤلفات العلمية، ومن أهم الشيوخ الذين كانوا يترددون عليها الشيخ أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي الذي كان شيخ ركب الحجيج لبلاد التكرور حتى يصل إلى توات و من توات يصبح لأبي نعامة[8] .

---

[1] بوكرابيلة الزهراء، مرجع سابق، ص 93.

[2] حوتية محمد، مرجع سابق، ص 237.

[3] بوسعيد أحمد، مرجع سابق، ص 123. انظر: حوتية محمد، مرجع سابق، ص 238.

[4] تيديكلت: معناها باللّغة الأمازيغية (الزناتية) راحة اليد، وهي تطلق على الإقليم الشرقي في توات الكبرى، وتضم الآن دائرة أولف، ودائرة عين صالح التابعة لولاية تمنراست،لذلك تقسم تيديكلت إلى شرقية وهي عين صالح، وغربية وهي منطقة أولف. انظر: طموز عبد الكريم، مرجع سابق، ص 20.

[5] أقبلي: وهي بلدية تابعة لدائرة أولف تبعد عنها بحوالي 60 كم شرقاً، تشتهر بخزائن المخطوطات أهمها: خزانة بيت العود، خزانة ساهل، خزانة المنصور، خزانة أركشاش. كما تسكنها قبائل معروفة ساهمت بإنتاجها العلمي وتراثها الحضاري. انظر: الشيخ باي بلعالم: قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمآثر، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص ص 57-56.

[6] الطاهري أحمد الإدريسي، مصدر سابق، ص 154. حوتية محمد، مرجع سابق، ص 281.

[7] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 170.

[8] البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص 48.

تضم هذه الزاوية خزانة من أعظم الخزائن في منطقة تيديكلت و توات عموما لما تحتويه من الكتب النفيسة تشمل على قرابة ثلاثمائة مخطوط في فنون شتى، من أهم أعلامها بالإضافة الى الشيخ المؤسس ابنه السيد أحمد الحبيب المتوفى في 1205 هـ.[1]

ثالثا: أعلام منطقة توات بلاد الساحل الافريقي و تراثهم العلمي:

كان لمنطقة توات و بلاد الساحل الإفريقي علماء ساهموا في تفعيل الحركة العلمية حيث حملوا لواء العلم طيلة القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الهجريين، السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين، أثروا و تأثروا من أجل تفعيل هذه الحركية فنبغ منهم جم غفير في شتى أصناف العلوم السائدة آنذاك فكتبوا مؤلفات أسهمت في إحياء المكنون العلمي و ايضاح الصورة العلمية للمنطقة، و سنقتصر على ذكر البعض منهم في هذه السطور.

1- أحمد بابا التنبكتي

هو أبو العباس أحمد بابا بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن عمر بن علي بن علي بن يحى و ينتهي إلى عمر الصنهاجي الماسيني نسبة إلى قبيلة صنهاجة الصحراوية، [2] ولد في تنبكتو عام 963هـ/1556م في أسرة آل أقيت المعروفة بانتسابها إلى العلماء، تلقى تعليمه الأول على يد والده و غيرهم من مشايخ تنبكتو أبرزهم محمد بغيغ الذي ذكره في نيل الابتهاج حيث قال" هو شيخي و أستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به و بكتبه"[3]. تعرض لمحن كثيرة أهمها محنة أسره عندما احتل السعديون مدينة تنبكتو أسرت جميع أسرته و كثير من العلماء نقلوا إلى مراكش أين بقي في السجن عامين كاملين من أول رمضان 1002هـ ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية في مراكش بشرط من السلطان السعدي المنصور الذهبي إلى أن توفي المنصور وجاء ابنه زيدان فأذن لهم بالرجوع[4] حيث رجع إلى بلاد تنبكتو وبقي فيها عشرين سنة يعلم

[1] محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ص 398.

[2] القشاط، أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 27.

[3] السعدي: مصدر سابق، ص 31.

[4] السلاوي الناصري، الاستقصاء، مصدر سابق، ج5،ص 135.

الناس إلى أن توفي يوم الخميس السادس من شعبان سنة 1036 هـ 1627م ترك أحمد بابا عدة مؤلفات مما يدل على طول باع الرجل العلمي ومن أهم مؤلفاته:

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج وهو الذي اشتهر به وهو عبارة عن كتاب في التراجم و ضعه كتكملة لكتاب ابن فرحون المتوفى(799هـ) وعنوانه الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب وهو ترجمة لعلماء المذهب المالكي.
- "معراج الصعود إلى حكم مجلوب السود" وقد ألفه في عام 1024هـ 1615م كإجابة على أسئلة وردت عليه من طرف سكان توات طلبوا فيها منه فتوى حول هذا الموضوع[1].
- جلب النعمة و دفع النقمة وموضوعه حول علاقة العلماء برجال السلطة .
- "تحفة الفضلاء" أوجز فيه أحمد بابا فضل العلماء ومجد فيه العلم ورجاله.
- " المقصد والمأرب في أعظم أسماء الرب" وهو في أسماء الله الحسنى و الاسم الأعظم[2].
- "المقصد" في شرح مختصر خليل.
- "النكت الوافية" بشرح الألفية.
- "ترتيب جامع المعيار المعرب للونشريسي" .
- "اختصار شرح المقدمة الصغرى".
- "تعليق على مواضع من خليل ومواضع من مختصر ابن الحاجب".
- "اللآلي السندسية"، مختصر على المواهب القدسية لمحمد الملالي[3].
- "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج "
- "نيل الأمل في تفضيل النية على العمل"
- جزء في تكفير الكبائر الأعمال الصالحة.[1]

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود في حكم مجلوب السود، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق : فاطمة الحراق، وجون هانويك، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، 2000.

[2] عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص ص 126- 127.

[3] أحمد بابا التنبكتي، -نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 17.

2- عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي:

ولد بتمنطيط عام 994هـ و بدأ دراسته الأولى بها على يد والده حيث حفظ القرآن الكريم و بعض المتون الفقهية ثم رحل في طلب العلم فالتقى بعدة شيوخ أبرزهم أحمد بن عبد الله بن أبي محل السجلماسي، و الشيخ سعيد قدورة بن براهيم الجزائري، والعالم المشهور أحمد بابا التنبكتي و الأجهوري المصري والمقري التلمساني [2]، حيث قال عنه صاحب الدرة الفاخرة "كان إماما عالما عادلا متفننا في علوم شتى كبير القدر وافر الحرمة تولى القضاء و انتهت إليه الرياسة"[3] تتلمذ على يده عدة شيوخ أهمهم ابنه القاضي محمد بن عبد الكريم و أحمد بن يوسف التنلاني و محمد بن على الوقروتي. ترك عدة مؤلفات أهمها[4]: - غاية الأمل في إعراب الجمل على لامية ابن المجراد.

- تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز.

- شقائق النعمان فيمن جاوز المئة بزمان

- سفينة النجاة بأهل المناجاة بالإضافة. إلى رحلته في طلب العلم و التي دون فيها مراحل دراسته وشيوخه ومن لقاه من الفضلاء و الأماكن التي زارها. توفي رحمة الله ليلة الاثنين عام 1042هـ 1622م.

3- عبد الرحمن السعدي

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي التنبكتي[5] ولد في تنبكتو ليلة الفطر عام 1004هـ1596م حفظ القرآن الكريم في صغره و تتلمذ على يد عدد من الأشياخ بها و على رأسهم العالم الشهير أحمد بابا التنبكتي ،وبعد أن أتم تعليمه جلس للتدريس و الوعظ والإرشاد على طريقة العلماء في عصره.

---

[1] القشاط سعيد، أعلام من الصحراء، مرجع سابق، ص 28.

[2] عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 114.

[3] عبد القادر بن عمر المهداوي، مصدر سابق، ص 05.

[4] توجد نسخ من هذه المؤلفات في خزانة أحمد ديدي بتمنطيط.

[5] البرتلي، مصدر سابق، ص 176.

اشتغل السعدي بالإمامة حيث عين إماما لمسجد سنكري، وبعدها عين في الجامع الكبير في مدينة "جني" استمر فيها لمدة عشرين سنة[1] ،ثم استدعاه حاكم تنبكتو و جني آنذاك الباشا محمد بن عثمان ليكلفه بمهمة ناظر الخارجية لديه و هي وظيفة سامية يقوم صاحبها بالتنقل بين سائر المدن و القرى التابعة للحاكم و بالتالي التعرف على أحوال الناس وعادتهم وتقاليدهم، بعد القيام بهذه الوظيفة تفرغ للتأليف حيث ألف كتابه المشهور "تاريخ السودان" وهو الكتاب الذي يعتبر أهم مصدر من مصادر هذه المنطقة الذي لم ينتهي من تأليفه حتى وافته المنية عام 1063هـ[2].

4- محمد بن أب المزمري

هو أبو عبد الله محمد بن أب بن أحميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري نسبة إلى زمورة من أرض البربر، المخزومي التواتي منشئا وموطنا ولد بقرية أولاد الحاج بآولف بعد 1090هـ 1679م[3] من كبار الفقهاء و الأدباء في توات كان نحويا لغويا عروضيا رائق الخط شاعرا قال عن نفسه:

إذا ساد بالأقدام عمرو و بالذكا تفرد إياس وبالجود حاتم

فإن شعاري صنعة الشعر فالذي ينازعن فيه فذاك الظالم

أخذ الفقه على يد الصالح بن المقداد من شيوخ بلدته ثم رحل إلى عدة أماكن في القطر التواتي حيث حط الرحال بداية في زاوية كنتة فأخذ عن شيوخها منهم عمر بن مصطفى الرقادي، كما زار أضرحة كل من الشيخ المغيلي بزاويته و الشيخ الإيداوعلي بأعباني[4] ، كما رحل الى المغرب و درس على يد الشيخ ابراهيم السجلماسي بالإضافة إلى رحلته إلى بلاد السودان حيث يقول فيه تلميذه عبد الرحمن بن عمر التنلاني في فهرسته "أخذ عنه جماعته و

[1] زبادية، مرجع سابق، ص 114.

[2] نفسه، ص 115.

[3] عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع،موسوعة تراجم علماء الجزائر(تلمسان وتوات) مرجع سابق، ص 574.

[4] أعباني: هو قصر تابع لبلدية فنوغيل جنوب ولاية أدرار، تبعد عن مقر الولاية بـ 24كم، توجد بها عائلة الايداوعلي الشنقيطية.

انتفعوا به في مواطن عدة لأنه كان جوّالا في البلاد" توفي يوم العاشر من جمادي الثانية سنة 1160هـ1747م بتيميمون من بلاد تينجورارين[1].

من أهم تلامذته ابنه ضيف الله صاحب الرحلة إلى قبر الوالد، و عبد الرحمن بن عمر التنلاني صاحب الفهرسة.

أما مؤلفاته فكثيرة نذكر منها[2]:

- نظم الاجرومية .
- نزهة الحلوم في نظم ابن آجروم.
- نظم معاني بعض حروف الجر.
- روضة النسرين في مسائل التمرين(أرجوزة في التصريف).
- "الذخيرة الكنزية في حل ألفاظ الهمزية" شرح على همزية البوصري
- "نظم العبقريّ" من باب السهو في الصلاة
- قصيدة في التوسل على حروف أدعوني أستجب لكم.

5- عمر بن عبد القادر التنيلاني الملقب بأبي حفص:

هو أبو حفص عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنيلاني الملقب بالأكبر ولد بتينيلان عام 1098هـ 1686م ،حيث تلقى العلم في زاوية أبيه بتينيلان كان كبير القدر وافر الهمة حيث هاجر في طلب العلم، ذاق مرارة الغربة وصبر العلم فحط رحاله في فاس منارة العلم في عصره حيث تتلمذ على علمائها منهم أبا عبد الله محمد السالم بن محمد البرباعي، قرأ عليه القرآن بالمدرسة المصباحية بفاس[3]، ثم العربي بن أبي عبد الله محمد الفاسي، وأبو عبد الله السجلماسي و إدريس المشاط الفاسي، ومحمد الطيب بن عبد الرحمن القاضي الفاسي و أحمد

[1] باعثمان عبد الرحمان، فهرسة التنيلاني، مرجع سابق، ص 140.

[2] جعفري أحمد أبا الصافي، ابن اب المزمري، مرجع سابق، ص ص 60- 90.

[3] المدرسة المصباحية، بناها السلطان أبو الحسن المريني، سميت بالمصباحية نسبة إلى أبي الضياء مصباح أول من درّس بها، انظر : الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الانفاس ومحاذاة الاكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس.

مبارك السجلماسي ومحمد بن محمد ميارة الفاسي ومحمد بن أحمد المسناوي[1]، بعد سلسلة هؤلاء الشيوخ تُوج أبو حفص بعدة إجازات و أصبح مؤهلا ليتصدر التدريس فرجع إلى توات و بالضبط إلى زاوية تنيلان فقصده الطلاب من كل الجهات حيث تتلمذ على يده طلبة ذاعت شهرتهم في البلاد التواتية و خارجها مثل عبد الرحمن الجنتوري صاحب النوازل الذي قال فيه " أنه قد كان يتكلف حفظ عبارة الحطاب فربما كان في الدرس نحو من أربعة عشر ورقة من حاشيته بالقالب الكبير فيحفظ جميع ذلك ويمليه بالمجلس والطلبة بأيديهم نسخ منه"[2]، وعبد الرحمن بن عمر التنيلاني صاحب الفهرسة، و أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الأمريني[3].

أما مؤلفاته فكانت له تقيدات على المختصر (مختصر خليل) بالإضافة إلى فهرست التي يذكر فيها شيوخه و هي موجودة في خزانة تنيلان. توفي يوم الاربعاء 03 ربيع عام 1152هـ 1739 م و عمره أربعة و خمسون سنة و دفن بمجلسه الذي كان يدرس فيه بزاوية تنيلان[4].

6- المختار الكبير الكنتي

هو المختار بن أحمد أبي بكر بن محمد بن حبيب بن الوافي بن عمر بن أحمد البكاي أبي دمعة بن محمد الكنتي بن علي بن يحي بن عثمان بن عبد الله بن عمر الملقب بيهمس بن ورد الملقب بدومان بن يعقوب الملقب بشاكر بن العاقب بن عقبة بن نافع الفهري[5].

اشتهر بلقب الكنتي نسبة إلى قبيلة كنتة التي انتشر في توات و بلاد الساحل. ولد المختار بكثيب آوغال بأزواد صحراء مالي الشمالية سنة 1142هـ 1729م تربى يتيما في كفالة أخيه لأبيه محمد، في بيئة صحراوية حيث درس في المحضرة والقرآن الكريم وحفظ على أخيه وجده لأمّه، ثم انتقل إلى الأحياء المجاورة حيث تعلم الفقه والتفسير والحديث والاصول

[1] بخدا مريم، أعلام الزاوية النيلانية، مرجع سابق، ص ص 43- 44.

[2] محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 22.

[3] طموزعبد الكريم، مرجع سابق، ص 51.

[4] بخدا مريم، أعلام الزاوية النيلانية، مرجع سابق، ص 46.

[5] عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع،موسوعة تراجم علماء الجزائر، مرجع سابق، ص ص 85-87.

والنحو والبلاغة وقد نبغ في هذه العلوم على يد شيوخ من بينهم الشيخ علي بن نجيب والشيخ أند عبد الله الولاتي[1] امتاز الشيخ المختار بقوة الذاكرة والذكاء الحاد وسرعة الفهم مما ساعده على استيعاب المعلومات فاشتهر أمره وخُص بالاحترام وقد حافظ على بساطة العيش التي فرضتها عليه الظروف الطبيعية القاسية بالصحراء فكانت مسكنه الخيمة[2].

تفرغ الشيخ المختار الكبير للتدريس في الازواد فتخرج على يديه طلبة أصبحوا رواد العلم والمعرفة في الأزواد منهم ابنه محمد الخليفة صاحب كتاب " الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد"، بالإضافة الى سيدي الايبيري والعالم الجراري وعبد الله بن محمود وأحمد بن حمادي بن بوبو وجن بن أمنال[3].

وقد استطاع الشيخ المختار ان يخصص من وقته للتأليف بحيث ترك ثروة من الكتب في مختلف فنون المعرفة من أهمها:

- تفسير البسملة.
- تفسير الفاتحة.
- نزهة الراوي وبغية الحاوي.
- هداية الطلاب.
- فتح الوهاب.
- الشموس الاحمدية.
- الجرعة الصافية.
- فتح الودود في شرح المقصور والممدود.
- البرد الموشي في قطع المطامع والرشى[4].

[1] أحمد الحمدي، المختار الكبير، مرجع سابق، ص 93.
[2] القشاط سعيد، مرجع سابق، ص 58.
[3] حوتيه محمد، مرجع سابق، ج1، ص 290.
[4] القشاط سعيد، مرجع سابق، ص 60.

أما في التصوف فوضع رسالة كشف فيها الروح والنفس ورسالة" المنصف المبصر والكوكب الوقاد" في فضائل المشائخ و حقائق الأوراد، امتد نفوذه الروحي الى نهاية نجيريا والسنغال نظرا لتتبعه الورد القادري.

توفي الشيخ المختار يوم الأربعاء الخامس من شهر جمادى الأولى عام 1226هـ/ 1811م عن عمر يناهز 83 سنة ودفن بوالنوار شمال مالي1.

[1] الحمدي احمد، مرجع سابق، ص 94.

الفصل الثالث

دور التجارة والرحلة والتصوف في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقية

أولا: دور التجارة

ثانيا: الرحلة

تعريفها

أنواعها

ثالثا: التصوف

معنى التصوف

نشأته

أهم الطرق الصوفية في توات وبلاد الساحل الإفريقي

أولاً : دور التجارة

عرفت الصحراء الكبرى حركية اقتصادية، و تجارية واسعة، منذ العصور القديمة[1]، فرغم شساعتها لم تكن عائقاً أمام تواصل الشعوب الإفريقية من الجنوب، و الشمال، و ازداد هذا التواصل و الترابط أكثر بعد انتشار الإسلام، و اللغة العربية في بلاد الساحل الإفريقي، واستقرار بعض العائلات العربية، ليكون هذا العامل له مكانته في تشجيع كل عوامل الترابط، والتواصل، بين شعوب القارة الإفريقية.

ويعتبر موقع توات في قلب الصحراء موقعا استراتجيا، جعل منها نقطة أساسية وحلقة محورية في تجارة الصحراء، حيث أصبحت معبرها الرئيسي، خاصة بعد تراجع مكانة سجلماسة[2]. نظراً للاضطرابات السياسية، وانتشار قطاع الطرق على طول الطريق المؤدي الى بلاد السودان من الجهة الغربية، حيث يذكر ابن خلدون في هذا الصدد:" أن هذا المسلك قد أهمل، لما صارت الأعراب من البادية السوسية، يغيرون على سابلتها، فتركوا تلك، ونهجوا الطريق إلى بلاد السودان أعلى تمنطيط"[3].

---

[1] بدأت التجارة عبر الصحراء الكبرى بين غرب إفريقيا و شمالها منذ ألف عام قبل الميلاد، عندما كان عبور الصحراء يتم بواسطة الثيران و بواسطة عربات أو مركبات تجرها الخيول، فقد تطورت التجارة على أيدي القرطاجيين منذ قرابة خمس قرون قبل الميلاد، و أعطاها الرومان مزيدا من القوة الدافعة بعد ذلك بثلاثة قرون في أعقاب توسعهم في شمال إفريقيا وما تلى ذلك من دخول الجمل، ومع انهيار الحكم الروماني في القرن الرابع الميلادي تقلصت التجارة وربما تكون قد توقفت تماما،ولم تدب فيها الحياة من جديد إلا بعد أن استعمار البيزنطيون شمال إفريقيا في الفترة بين عام 533م 535م، ومع ظهور قوة العرب الفاتحين ابتداء من القرن السابع الميلادي حيث حدث نهوض جوهري في نمو التجارة عبر الصحراء الكبرى مع عملية الفتح و الاستكشاف،و قد كان الدعاة و التجار موجودين في السودان منذ حوالي النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي و ازداد نفوذهم بعد استيلاء المرابطين للإمبراطورية الغانية في عام 1077م انظر : أ.ج هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بليغ منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 1998، ص 158.

[2] سجلماسة: ثاني مدينة تشيد بالمغرب الإسلامي، بعد القيروان بنيت سنة 140هـ 757م، كانت عاصمة بني مدرار الخارجية وفي القرن 11هـ 17م أصبحت عاصمة للدولة العلوية، أهلّها موقعها الاستراتجي كهمزة وصل أساسية بين مختلف أقطار المغرب و بلاد السودان من جهة، و المشرق الإسلامي من جهة ثانية، للتحكم لمدة طويلة في تجارة القوافل مما ساهم في ازدهارها و تطورها أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج3 بيروت، دار صادر، 1977، ص 192.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 118.

وهذا ما أكسب توات أهمية تجارية، خاصة، حيث وجدت بها الأسواق، والقصور، التي تعتبر نقطة ومحطة لتوقف القوافل التجارية، تحدث عنها المؤرخون، والرحالة الجغرافيون، فابن خلدون عندما يتحدث عن دور التجارة الصحراوية، ومكانتها في إعمار القرى، والمدن وعلاقتهما ببلاد السودان يقول "وطن توات هو بلد مستجير في العمران وهو ركاب التجار إلى مالي..."[1]. ويشير إلى أن اغلب المنتوجات التي تسوق إلى بلاد السودان من قصور صحراء المغرب مثل توات و تينكورارين، "...وإن قبائل بين تلمسان و وجدة تسمى ذي عبيد الله وتنتهي رحلتها في القفار إلى قصور توات وتمنطيط وربما عاجوا ذات الشمال الى تسابيت و تينكورارين وهذه كلها رقاب السفر الى بلاد السودان...."[2].

وأما حسن الوزان فيبين هذه الأهمية، عند حديثه عن قورارة، أحد مناطق توات، فيقول : " إقليم مأهول في الصحراء، يضم أربعة قصور، و قرى عديدة، على الطريق المؤدية بين فاس، و تلمسان، إلى مملكة أكدس، في بلاد السودان، وهنا مجمع القوافل، لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان، ثم يذهبون جميعاً"[3].

ولقد كانت واحات توات خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي من أكثر المناطق نشاطاً في تسيير القوافل التجارية، بين بلاد الساحل، وبلدان الشمال الإفريقي، وهذا ما جعل الاروبيون يولونها أهمية، حيث زارها سنة 851 هـ 1447م، الرحالة التاجر الجنوي، أنطونيو مالفانتي، وكان هدفه الوصول إلى بلاد الساحل الإفريقي، للتعرف على أماكن تواجد الذهب الذي يجني منه المغاربة أرباحا كثيرة[4]. كما أن المنصور الذهبي عندما قاد حملته الشهيرة، من اجل السيطرة على تنبكتو، أراد ان يضع يده على الطريق التجاري، الأكثر أهمية في اقتصاد

[1] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج:7، ص 77.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص ص 95- 123.

[3] حسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، مصدر سابق،ص ص 133- 134.

[4] عبد الله عباس، الدور الحضاري لاقليم توات، اعمال الملتقى الوطني الاول المشترك بين جامعتي أدرار و تيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات و حواضر المغرب الإسلامي، أدرار 14-15 أفريل 2009، ص ص 261- 262.

بلاد المغرب، وهو طريق توات، حيث أخضعها لسيطرته بالقوة، والغلبة، ويؤكد عبد العزيز الفشتالي- مؤرخ الدولة السعدية- هذا الأمر عند حديثه عن توات، و تينقورارين، "و القُطران توات، وتينقورارين، من أعظم أقطار المعمورة، بما جمعاه من الأمم، و القصور، أولهما اقرب إلى السودان، و الثاني يعد من أعظم و أضخم أقاليم المغرب، فقد كان امام المنصور طريقتين للوصول الى السودان، أولهما توات، وتينقورارين، في الجنوب الشرقي، والآخر عبر الصحراء الجنوبي، إلا انه فضل الطريق الأول، شعوراً بأهميتها، فالقطران عالم من عوالم الأرض، و إقليم من أقاليم الدنيا، لما جمعاه من الأمم، وتراكم القصور، و أهل العمران، و تتخلله من العيون ذات الآبار، و النخيل المرخى على أكنافه جناحاً من الليل الدامس. زيادة على ذلك أهمية طرقها في التجارة، بين بلاد المغرب، و الأقطار الإفريقية"[1].

فالجوار الجغرافي لتوات، وبلاد الساحل، وسط هذه الصحراء، أحدث تقارباً، و ارتباطاً وثيقاً، بين المنطقتين في مجالات كثيرة، بدءً بالمجال التجاري الذي عرف رواجاً، و ازدهارا، منذ القرن الثامن إلى غاية القرن الثاني عشر الهجري[2]. وهذا ما أدى إلى احتراف التواتيين للتجارة الصحراوية، و التي برعوا فيها، و أصبحوا يشكلون جاليات في بلاد الساحل، تعمل في التجارة، حيث يشير ابن بطوطة الذي زار توات، وبلاد الساحل الإفريقي، بمكانة هؤلاء، فقد راجت تجارتهم، وأصبح لهم وكلاء في كامل المدن، و أن هناك أحياء خاصة في مدينة تنبكتو، يسكنها تجار توات، و وكلائهم[3].

وكان التواتيون يشكلون منذ ما قبل هذه الفترة جالية كبيرة، تشتغل بالتجارة في منطقة نهر النيجر الأعلى، و تتولى استقبال القوافل التجارية القادمة من الشمال، و توزيع بضائعها على مختلف المدن السودانية[4].

---

[1] الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا، مرجع سابق، ص73.

[2] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص15.

[3] إبن بطوطة ابو عبد الله الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، دار المعارف،القاهرة،ط1، 1966 ص 44.

[4] عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 128.

وكانت القافلة التجارية تنطلق من قصور توات باتجاه بلاد الساحل، محملة بمجموعة من السلع كالتمور، والقماش، والمنسوجات، الى جانب الكتب، التي راجت تجارتها، و أصبحت من السلع الأساسية، والغالية الأثمان في حمولة القافلة التجارية. خاصة بعدما كانت تدره من أرباح، تفوق بكثير أرباح السلع الأخرى، وهذا ما يشهد عليه الكم الهائل من المخطوطات الموجودة في خزائن تنبكتو[1]، و تيشت، و ولاته، و شنقيط، وودان، و توات، و التي تشكل ابرز جوانب الإرث الحضاري لهذه الحواضر الصحراوية[2] وهي في الغالب من تأليف علماء تلك المناطق.

وتجدر الإشارة إلى أن القافلة التجارية تضم في العادة رجال ذووا اختصاصات متعددة، تقدم الخدمات الضرورية للمسافرين، فالدليل له معرفة بالمسالك الصحراوية، ودراية بالنجوم، والطبيب العارف بالأعشاب المفيدة لبعض الأمراض، بالإضافة إلى الفقيه في الأمور الشرعية، يستفتى عما لبس من تساؤلات ونوازل تتصل بأمور المرافقين، والحراس المكلفون بأمن القافلة.

وعلى هذا الأساس كان التاجر التواتي له دراية بالفقه ومعرفة بالعلوم، فهو يسير بتجارته لبلاد الساحل، طالباً للرزق و ناشراً لعلمه، و دعوته، ومن جملة هؤلاء، الشيخ محمد الامريني التواتي[3] ت 1008هـ-1600م، الذي درس في فاس، وتضَلّع في مختلف العلوم، مما أهله لتولي

[1] كانت أهم خزائن و مكتبات تنبكتو تلك التي تملكها عائلة آل أقيت، التي ينتسب إليها احمد بابا التنبكتي و التي اقتنت معظم كتبها من التجارة حيث قدر احمد بابا مؤلفات مكتبته لوحده التي كانت اقل من مكتبات أسرته كتباً و أهمية بألف و ستمائة مجلد كما كانت مكتبات امتلكها علماء أخرين من آل أقيت مثل بوغيوغو ومحمد بن محمود أقيت الذي كانت مكتبته بمثابة خزانة عامة يستعير منها الطلبة و القراء ما يشاؤون من الكتب . انظر: محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1،مؤسسة الخليج للطباعة و النشر، الكويت، ص 557.

[2] أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى مدن وقصور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 38.

[3] أبو عبد الله المحمد بن ابن محمد بن احمد بن ميمون بن عمرو الامريني أصلا، التواتي مسكناً،كان شيخاً من مشايخ الحديث و الفقه و النحو و القراءات، درس في توات و فاس وتتلمذ على يد أربعة و عشرين شيخاً من العلماء المعتبرين بمدينة فاس لوحدها،منهم الشيخ المنجور التلمساني و يعقوب البدري في الحساب و الهندسة،و أبو عبد الله محمد بن مجبر شيخه في النحو و محمد العدي شيخه في القراءات و التجويد، كان يرغب في طلب العلم و يحث عليه أبناءه، حيث كتب لهم مرة رسالة و هو بلاد السودان يحثهم على طلب العلم و الاجتهاد فيه و طلب منهم حفظ هاتين البيتين: إذا شـط النهار فكن جليـداً على درس العلوم بلا فتور

و لا تكسل بدرس في الكتاب فان الدرس يأتي بالسرور

منصب القضاء، فدعاه السلطان السعدي احمد المنصور الذهبي، بعد إخضاعه لتوات، ليكون قاضياً عليها، لكنه رفض بعد أن قال لرسول المنصور: "لأن يحاسبني الله على ألف قنطار أيسر علي من أن يسألني على قضية فاصلة بين اثنين." وفضّل بذلك ممارسة التجارة، التي كانت تدر عليه أرباحا كثيرة من بلاد الساحل[1]، كما كان الشيخ حمو بلحاج التواتي 1062هـ - 1654 م تاجراً في تنبكتو، وهو من الوجوه العلمية بها مارس تجارته، إلى جانب التعليم و التدريس بهذه المدينة التي توفي بها[2].

وهناك من العلماء من مارس التجارة انطلاقا من الحاجة لتأمين مكاسب و نفقات الزوايا ومدارس العلم التي قاموا بإنشائها، ويتعلق الأمر بالشيخ على بن حنيني الأنصاري ت 1115هـ 1703م صاحب الزاوية المشهورة بزاجلو[3]، حيث ملك قافلة وصل تعدادها تسعمائة جمل كلها تتاجر في بلاد السودان، تدر أرباحا تنفق على طلبة الزاوية و عابري السبيل في توات[4]، و هذا الأمر ينطبق أيضا على الشيخ أبي الأنوار عبد الكريم التنيلاني ت 1068هـ 1755م الذي اشتهر بتجارته للتمور بين توات وحواضر وقرى بلاد الساحل، إلى جانب كونه فقيهاً وعالماً[5]، ومن الواضح أن تأثير التجار الفقهاء كبير ببلاد الساحل الإفريقي، فهم سفراء لتوات بفضل معاملاتهم وعلاقاتهم المشبعة بالروح الإسلامية السمحة و الأخلاق السمحة حيث حازوا إعجاب و ثقة سكان تلك البلاد، فراح هؤلاء يقلدونهم في سلوكاتهم و معاملاتهم المستمدة من تعاليم الدين الحنيف، مما كان له الدور الفعال في انتشار الإسلام في تلك

توفي في أقدز من أرض السودان ليلة الاثنين 27 ذي القعدة سنة 1008 هـ - 1600 م . أنظر موسوعة مشايخ الجزائر علماء توات، ص ص 299-300-301 .و محمد باي بن العالم،الرحلة العلية، ج2، ص 202، عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات، ص ص ص 111-112-113.

[1] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، مرجع سابق، ص 262.

[2] جعفري أحمد أبا الصافي، من تاريخ توات (أبحاث في التراث)، الجزائر، 2008،ص ص 36-37.

[3] زاجلو: هي قرية من قرى بلدية زاوية كنته، تبعد عنها بخمس كيلومترات شمالاً وعن مقر ولاية أدرار بسبعين كلم جنوباً.

[4] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، مرجع سابق، ص 263.

[5] حوتيه محمد الصالح، توات والأزواد، مرجع سابق، ج1، ص 238.

الأصقاع[1]، يقول امادوديا في هذا الصدد "لم يدخل الإسلام غرب إفريقيا عن طريق الغزو الامبريالي، و لا عن طريق شواطئ النيل، و إنما عن طريق الصحراء"[2].

ثانيا: الرحلة

تعتبر الرحلة أهم رافد من روافد التواصل العلمي بين منطقة توات و بلاد الساحل الإفريقي، لما كان يتم فيها من احتكاك و تبادل مباشر للعلوم و المعارف، و سواء كانت تلك الرحلات دينية كركب الحجيج و التي كان يصحبها علماء و فقهاء، يتقدمهم شيخ يسمى شيخ ركب الحجيج، أو رحلات علمية خصيصاً لغرض العلم، سواء لطلبه و الاستزادة منه أو لنشره بغرض الانتفاع به، أو حتى تلك الرحلات التي كانت عبارة عن هجرات بين المنطقتين، سواء كانت فردية أو جماعية، و التي أعطت نسيجاً علمياً غير منقطع بين المنطقتين نتج عنه أسر علمية اشتهرت بفقهائها الذين خلفوا تآليف شكلت زخما وتراكما حضاريا بين المنطقتين. كما أن لحركة العلماء والطلبة كما هائلا من الإجازات والسماعات أعطت القرينة عن المكانة العلمية لتلك الجهات في فترة تاريخية اتسمت فيها العلاقات بالاتصال والاستمرارية.

[1] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، مرجع سابق، ص 238.

[2] عباس عبد الله، الدور الحضاري، مرجع سابق،ص 265.

1- تعريف الرحلة:

الرحلة من الارتحال، وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين سواءً كان ذلك الهدف مادياً أو معنوياً[1]، و قد ورد ذكر الرحلة في القرآن الكريم في أكثر من موطن، منها قوله تعالى " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف"[2]. فلقد كان أهل مكة يألفون الرحلة و الأسفار لغرض التجارة، و قد زادت رغبتهم في التنقل بعد انتشار الإسلام لأغراض شتى، بعضها ديني، و بعضها اجتماعي، و بعضها علمي.

2- أهميتها:

حث الإسلام على القيام بالترحال من مكان إلى آخر طلباً للعلم، و محاولة معرفة أحوال الأمم الماضية و الحاضرة[3]، قال تعالى " قُل سيروا في الأرضِ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين"[4] ومن بين المكاسب الهامة التي يجدها الراحل هي التعرف على الأوطان التي يزورها واحتكاكه برجال العلم و العلماء الذين يمثلون تلك الأوطان[5]، وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الأهمية بقوله "و الرحلة لا بد منها في طلب العلم و لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[6].

3- أنواعها:

تتعدد الرحلة بتعدد أغراضها و مقاصدها فنذكر منها:

- الرحلات الحجازية (الحجية) لأداء فريضة الحج.
- الرحلات العلمية من أجل طلب العلم.

---

[1] عبد اللطيف الصعيدي، تعريف الرحلة، ط 1، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996، ص 15.

[2] سورة قريش، الآية 3.

[3] العربي قلي، الرحلة بين النبل والجشع الإنساني، مجلة الهجرة و الرحلة، العدد 3، مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية، جامعة منتوري، قسنطينة، أفريل 2010، ص 45.

[4] سورة الأنعام، الآية 11.

[5] العربي قلي، الرحلة بين النبل والجشع الإنساني، المرجع السابق، ص46.

[6] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 614.

- رحلات السكان و هجراتهم من منطقة إلى أخرى.

- الرحلات الاستكشافية أو الجغرافية[1]، وهي التي يقوم بها المستكشفون و المغامرون بغرض البحث عن المجهول، وهذا النوع لا يهمنا، فسأقتصر في هذه الدراسة على الثلاثة الأولى نظراً لأهميتها في الموضوع.

أ- الرحلات الحجية:

يعتبر الحج مناسبة لالتقاء العلماء من مختلف الديار والمشارب، فهو بالنسبة لهم و لطلبة العلم رحلة دينية و علمية يلتقون أثناءها كبار الشيوخ و الفقهاء في المراكز التي يمرون بها، و يحضرون مجالسهم التعليمية لمدة قد تقصر أو تطول أخذاً و عطاء، و قد تمنح خلالها إجازات من هؤلاء العلماء للطلبة الذين يلتقون بهم في هذه المراكز العلمية فيضيف الطالب سنداً علمياً جديداً إلى سنده أو إجازة أخرى [2]، حيث يذكر احمد بابا التنبكتي عن تنقل احد شيوخه لطلب العلم والذي رحل إلى تنبكتو للأخذ عن الفقيه احمد بن سعيد، ولم يكتفي بذلك بل في طريقه إلى الحج أخذ بمصر عن الشيخ اللقاني و التاجوري و البرهمتوشي ومحمد البكري وغيرهم[3] ، وبما أن الحج كان يشكل فرصة للالتقاء فقد كانت توات إحدى المحطات الرئيسية لاجتماع حجاج بلاد الساحل الإفريقي بحجاج توات وتشكيل ركب واحد يضم إلى جانب الحكام والتجار علماء وفقهاء وطلبة على غرار ما كانت عليه القافلة الحجية للباشا علي أحد بشوات تنبكتو عندما أراد الحج سنة 1041هـ 1631م، فكان معه فقيهين مشهود لهما بالعلم والصلاح أحدهما الشيخ أحمد بن عبد العزيز القوراري، والشيخ محمد بن الشيخ احمد بابا التنبكتي، إلى جانب ثمانين رجل، فمرَّ في طريقه بتوات حيث لحق به القائد الفلالي بن عيسى الرحماني البربوشي وأصحابه وأرادوا قتله، لكنه استنجد بالفقيهين المذكورين وأخلوا سبيله

[1] للمزيد حول الموضوع الرحلة راجع : شوقي ضيف، الرحلات، ط 4، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص 11.

[2] أحمد رمضان أ حمد، الرحلة و الرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، السعودية، ص 13.

[3] وداعة حبيب الحسناوي، الحج و أثره في دعم الصلات العربية الإفريقية، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، لبيا، 1998، ص 86.

لحرمتهما وعظيم قدرهما ومكانتهما، بعد أن منعوه من السفر إلى الحج وقتلوا عددا كبيرا من أصحابه، أما الفقيهان فقد واصلا طريقهما الى الحج[1] رفقة حجيج توات.

ومن المهم التنويه على أن ركب الحجيج كان يضم علماء أجلاء جلسوا للتدريس خلال فترات الراحة وقد اغتنم طلبة توات تلك الفرصة للأخذ والاستزادة منحت أثناءها بعض الإجازات العلمية[2].

ومن العلماء الذين زاروا توات خلال رحلته الحجية، الشيخ أبو بكر بن الحاج عيسى أبي هريرة الغلاوي ت1146هـ-1733م والذي حج عام1121 هـ -1709م رفقة الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي[3]، كما حج سنة 1151 هـ - 1744 م الشيخ أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي ت1199 هـ -1785م[4] والذي أتى بخزانة نفيسة[5] من الكتب اقتناها من الحج ومن دون شك نسخ البعض منها في توات.

ومن الحجاج الفقهاء أيضا الشيخ الحاج البشير بن أبي بكر بن الطالب محمد البرتلي ت1214هـ - 1799م حج سنة1204هـ -1789م وله رحلة حول ذالك يذكر فيها مراحل الطريق من توات الى بيت الله الحرام[6].

---

[1] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، المرجع السابق، ص 265.

[2] بخدا مريم، أعلام العائلة التنيلانية، مرجع سابق،ص 25.

[3] البرتلي، فتح الشكور، المصدر السابق، ص 76.

[4] البرتلي، فتح الشكور، المصدر السابق، ص 78.

[5] جعفري مبارك، تنقل علماء توات و تأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12 هـ . 18 م، الملتقى الوطني الرابع جامعة أدرار، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية و الثقافية إبان العصر الحديث (1500 م - 2000 م)، أدرار، 19- 20 أفريل 2010، ص 146.

[6] البرتلي، فتح الشكور، المصدر السابق، ص 83.

كما زار توات مرات عديدة الشيخ احمد بن الأمين الغلاوي ت1157هـ - 1744م[1] الذي كان من العلماء العاملين قائما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسن الخلق ذا معرفة بالفقه وفروعه، جماعا للكتب انتفع على يديه كثير من المهاجرين، وهو شيخ ركب الحجيج من بلاد التكرور[2] الى توات، فيكون الأمر لأبي نعامة القبلاوي، الذي لقيه عبد الرحمان الجنتوري[3]، صاحب النوازل في حجته الأولى فصحبه من مصر إلى عين صالح من بلاد تيدكلت، فأجازه وأثنى عليه له شرح مفيد على نظم ابن سعيد السوسي، سماه كشف الغمة في نفع الأمة، وله كذلك إشراق البدر على عدد أهل بدر، توفى بفزان بعد رجوعه من حجته الأخيرة وقبره مشهور بها[4].

كما كان للحجاج الأفارقة أماكن محددة يأتون إليها داخل توات في أوقات معلومة من السنة، وهناك يلتقون بالطلبة و العلماء من المنطقة، فيبقون في انتظارهم وعندها يتم التبادل العلمي والإجازات والمخطوطات واهم مراكز الالتقاء هي زاوية الشيخ علي بن حنيني بزاجلو،

[1] أحمد ابن الحاج الأمين الغلاوي التواتي، شيخ ركب الحجيج من بلاد التكرور حتى يصل إلى توات، توفي بفزان بليبيا عند رجوعه من حجته الأخيرة سنة 1157 هـ، انظر : البرتلي، فتح الشكور، المصدر السابق، ص ص ص 48 . 49. 50.

[2] اسم يطلق على الجهة الغربية من بلاد الساحل، وهو الاسم الشائع في الحرمين ومصر والحبشة، انظر : محمد بللو بن عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي،، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط 1، الرباط، 1996 ص ص 48-49. وانظر: محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص ص 230-231.

[3] هو عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الانصالحي من عائلة مشهورة بالعلم والفقه تنحدر من قصر تيطاف أحد قصور توات الوسطى ولد بقصر جنتور بإقليم قورارة ما بين سنتي 1100هـ – 1689 م، كان عالما من علماء توات اشتهر بتضلعه في الفقه حيث كانت له نوازل تعرف باسمه، انظر : بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم توات ....، المرجع السابق، ص ص 62 69.

انظر أيضا : بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات، المرجع السابق، ص 94.

[4] عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار : 14-15 أفريل 2009، ص 259.

وزاوية كنتة وزاوية الركب النبوي بأقبلي بتيديكلت، وزاوية تسابيت[1] وزاوية عبد الله بن طمطم بأوقروت[2] إقليم قورارة لمن اختار الحج عبر الطريق الشمالي[3].

ب- الرحلات العلمية[4]:

يعتبر طلب أو نشر العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بهذا النوع من الرحلات لأنها خصيصا لغرض العلم، فالإسلام دائما كان مشجعا لشد الرحال في طلب العلم قال تعالى : "فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله..."[5] وهذه الآية فيها دلالة على أن العلم فضل من فضائل الله وجب السعي له، وقوله صلى الله عليه وسلم "اطلبوا العلم ولو في الصين"، فكان الصحابة يسعون ويرحلون من أجل العلم ولنا في الإمام البخاري المثل الأعظم، حيث تنقل في الأمصار لسنوات لطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه حتى أخرجه لنا في سِفر يعتبر أصح كتاب بعد القرآن الكريم لما اعتمد فيه من التدقيق و التمحيص، وكذلك أئمة الفقه الإسلامي الذي انتشر فقههم وعلمهم في سائر أنحاء المعمورة، لهذا كان للعلماء وطلاب العلم إقبال كبير على العلم وطلب الزيادة فيه مما دفعهم لعدم الاكتفاء بالدراسة في بلدانهم حيث قام الكثير منهم برحلات واسعة إلى البلدان المجاورة.

ومعلوم أن الارتحال في طلب العلم عامل من أهم العوامل التي توثق الروابط بين الشعوب وتعد رمزا من رموز الاتصال المحكم بين العقيدة واللغة والثقافة والفكر، وقد ساهمت تلك البعثات والرحلات في المحافظة على استمرار الدعوة ونشاط الدعاة في المجتمع الإفريقي[6].

---

[1] هي إحدى دوائر ولاية أدرار تبعد عنها حوالي 60 كم شمالا.

[2] هي دائرة من دوائر ولاية أدرار، تبعد عنها ب 120 كم شمالا.

[3] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي...، المرجع السابق، ص 146.

[4] المقصود بها تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما، والأخذ عن علمائها للمزيد انظر : سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005 ص ص 382- 383.

[5] سورة الجمعة، الآية 10.

[6] الماحي عبد الرحمن، الدعوة الاسلامية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 107.

حيث اشتهر علماء توات وبلاد الساحل الإفريقي برحلاتهم العلمية إلى الحواضر والمراكز العلمية الكبرى في العالم الإسلامي وذاع صيت الكثير منهم في العواصم الثقافية خاصة في بلاد الساحل الإفريقي، حيث كان لهم حضور قوي في مدينة تنبكتو عاصمة العلم آنذاك والتي استقطبت إليها رجال العلم، والدعاة، والتجار منذ القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[1].

فكان لعلماء توات وتجارها دور مميز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى الشعوب الإفريقية، و في تشيد صروح التمدن و الحضارة، إذ يؤكد أغلب المؤرخين على دورهم الفاعل في نضج وقوة المماليك الإسلامية التي عرفتها بلاد الساحل الإفريقي، بدء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وهو عهد ازدهار الحضارة الإسلامية، حيث انتشرت المدارس و المعاهد الإسلامية بفضل جهود علماء المغرب الإسلامي، و خاصة التواتيين منهم الذين تميزوا عن أقرانهم بحركتهم النشطة و صبرهم الجلد و تأقلمهم وتعايشهم مع السكان[2]، وهذا ما فعله الشيخ احمد الرقادي الكنتي ت 1063هـ 1653م، مؤسس الزاوية الكنتيه بتوات الذي كان له نشاط علمي ببلاد الساحل الإفريقي حيث تذكر المصادر التاريخية انه بعدما شاهد إقبال الطلبة السودانيين عليه أسس زاوية ومدرسة بتنبكتو لنشر العلم وبعد أن توفي جاء وفد من أعيان تنبكتو لزاويته بتوات وطلبوا من ابنه الشيخ علي الرقادي الكنتي ان يرسل معهم من يقوم بأمر التعليم في الزاوية، فارسل معهم ابن اخيه الشيخ احمد بن عمر بن احمد الرقادي الكنتي و بعد مدة ورد على الزاوية الكنتيه وفد من أعيان أروان[3] يطلب هو الآخر شيخا معلماً، فأرسل معهم الشيخ الأمين المعروف بذي النقاب الذي بقي في أروان قائماً بالتعليم و

[1] مقلاتي عبد الله، علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي العلاقات الثقافية و أبعادها الحضارية، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي، أدرار : 14-15 أفريل 2009، ص208.

[2] بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 195.

[3] بئر: معناه ملح البحر بلغة التوارق، كانت في الأصل لقبيلة أمقشران التارقية إلى أن أسس بها الشيخ أحمد بن آد السوقي قرية في بداية القرن 11 هـ سكنها البرابيش إلى جانب عائلة الشيخ أحمد، تبعد عن تنبكتو مسافة 10 أيام، وتقع وسط رمال قاحلة للمزيد انظر : ابن طوير الجنة أحمد، تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1995، ص 43.

الدعوة إلى أن توفي بها[1]، كما استوطن أقدز[2] الشيخ عبد المهيمن ابن محمد بن احمد بن ميمون التمنطيطي الذي كان من العلماء العاملين توفي بأقدز سنة1008هـ 1600م[3].

كما انتقل الى بلاد التكرور محمد ابن إب المزمري ت1160 هـ 1747م و الذي كان يعرف بشيخ اللغوين في توات حيث كان معلماً و مرشداً زار تنبكتو و اروان التي درّس فيها علم العروض و القوافي فكان له تلاميذ منهم ابو العباس أحمد بن صالح السوقي[4].

وكان للشيخ أبي الأنوار التينيلاني ت 1168 هـ 1755م الذي اخذ العلم عن الشيخ محمد بن دين الله التيطافي رحلة إلى ارض التكرور حيث تربع على عرش التدريس و الإفتاء مدة طويلة من الزمن، توافد على مجلسه العلماء و الأعيان من تنبكتو و ما جاورها و إليه يعود الفضل في تأسيس حاضرة المبروك شمالي مالي رفقة شيوخ كنتة بالأزواد كالشيخ الحاج احمد بن ابي بكر و الشيخ المحجوبي سنة 1125 هـ 1713م ليعود بعدها الى منطقة تيدكلت بتوات وبنا زاوية له مشهورة أصبحت فيما بعد تنسب إلى ولد ابنته مولاي هيبة الذي قام بنفس دور جده[5].

أما الرحلات المدونة فكان لها الحظ الأوفر في إعطاء صورة واضحة عن حجم العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الإفريقي، وخير دليل على ذلك ما ذكره الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني ت1189هـ 1775م في رحلته المدونة في فهرسة شيوخه، حيث تحدث عن زيارته لبلاد التكرور رفقة شيخه عمر بن محمد المصطفى بن احمد الرقادي الكنتي[6] ت1157هـ

---

[1] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي المرجع السابق، ص ص 292- 293.

[2] تقع اليوم في الشمال الشرقي من نيامي عاصمة النيجر وتبعد عنها ب 100كم، احتلت موقعا هاما لمكانتها التجارية، أشار إليها الحسن الوزان باسم مملكة أغاديس، و أفاد أن أغلب سكانها من العرب المغاربة الذين اشتغلوا بالتجارة ويعتمد دخلها على الضرائب التي تؤخذ من التجار الوافدين، انظر: الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 311.

[3] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، المرجع السابق، ص 291.

[4] جعفري أبا الصافي أحمد، محمد بن أب المزمري ، حياته و أثره،، دار الكتاب العربي، ط 1، الجزائر، 2004 ،ص 38.

[5] بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم توات، المرجع السابق، ص 130.

[6] باعثمان عبد الرحمن، فهرسة الشيخ عبد الرحمن التنيلاني، المرجع السابق، ص ص 54- 55 و ص 131. انظر: محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومه، ط 1 الجزائر 2004، ص ص 58 -59 .

1747م و التي دامت شهرا زار خلالها عدة أماكن في بلاد الساحل الإفريقي ليكون الرحال الأول في تاودني[1]، ومنها انتقل إلى اروان حيث التقى بالشيخ احمد بن صالح السوقي التكروري، و الذي درس على يديه بعض المؤلفات اللغوية مثل الخزرجية في علم العروض، و قد اختار لذلك وقت القيلولة لانشغال الشيخ بقية الوقت مع الطلبة الذين كانوا يتلقون الدروس عنه بلغات مختلفة لاختلاط أجناسهم من عرب و تكرور و طوارق، ومن اروان توجه الى قرية المبروك لكنه ما لبث فيها الا قليل ليعود الى توات تاركاً شيخه الكنتي في بلاد التكرور لوجود أهله وعشيرته فيها، و لأنه كان كثير التردد على هذه المنطقة حاله حال الكنتيين في منطقة الازواد[2].

أما الرحلة الثانية للشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني الى أروان بعد عدة سنوات من رحلته الأولى حيث عاد الى شيخه احمد بن صالح السوقي التكروري الذي استقبله و أكرم قدومه فأتم عليه الخزرجية، و ابتدأ ألفية العراقي في الحديث، فقرأ عليه نصفها و حضر دروسه وحصل له به انتفاع كثير جعل له هذا الشيخ وقت خاص به للإقراء، وذلك لان وقت التدريس ضيق لكثرة الطلبة ومشاغل الشيخ حيث كان برنامجه غاية في الكثافة، فكان يجلس في حلقة الدرس من صلاة الفجر إلى القيلولة ومن صلاة الظهر إلى العشاء يقدم خلالها دروس تشمل الفقه و النحو و علم الكلام وغيرها من العلوم[3].

وقد استفاد منه عبد الرحمان بن عمر التينيلاني غاية الاستفادة تكللت بتلك الإجازات التي أجازه إياها في صحيح البخاري و كتاب الشفاء للتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض، كما أجازه في العديد من المصنفات في علوم الفقه و الأصول و النحو و البلاغة.[4]

---

[1] قامت قرية تاودني حول سبخة الملح الشهيرة باسم تغازي، تبعد عن تنبكتو بعشرة أيام، مما أعطاها أهمية في التعاملات التجارية حيث شكلت همزة وصل بين بلاد المغرب وتنبكتو انظر الغربي محمد بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، المرجع السابق، ص 87.

[2] باعثمان عبد الرحمن، فهرسة الشيخ عبد الرحمن التنيلاني، المرجع السابق، ص 144. اتظر: محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، مرجع سابق، ص24.

[3] محمد باي بلعالم ،الغصن الداني مرجع سابق ص 25

[4] باعثمان عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ص 144 - 145

أما الشيخ الثاني الذي لقيه عبد الرحمان بن عمر في اروان و اخذ عليه هو الشيخ طالبن بن القاضي الوافي بن طالبن[1] الذي جالسه و استفاد منه و استجازه في جميع مروياته و مسموعاته بشرط الوقوف على ما أشكل و مراجعة ما أعضل كما أجازه في مصنفات بأسانيدها كصحيح البخاري و مسلم، و الشفاء لعياض و موطأ الإمام مالك و الخصائص و المعجزات الكبرى و الصغرى للإمام السيوطي.

كما أجاز عبد الرحمان بن عمر التينيلاني الشيخ أبي العباس احمد بن الأمين الغلاوي ت1157هـ 1744م، الذي وصفه بالعلم وسعة الاطلاع و التواضع و حسن الخلق، و عظم الصيت وكثرة الطلاب، وقد لقيه الشيخ عبد الرحمان في رحلته الأولى إلى أروان و لم يأخذ عنه شيء لأنه وجده عازماً على السفر، ثم لقيه في المرة الثانية في بلدة أقبلي من تيدكلت لما كان في طريقه الى الحج، فجالسه و اخذ عنه الإجازة ونص هذه الإجازات كلها موجودة كاملة في فهرسة شيوخه[2].

ومن العلماء التواتيين الذين رحلوا إلى بلاد الساحل الإفريقي، الشيخ علي بن احمد بن علي بن احمد الرقادي الكنتي ت1194هـ 1780م، كان من الصالحين الأخيار و أهل علم، صاحب نفع و بركة كبيرة كان كثير التنقل بين زوايا أجداده في توات وبلاد الساحل الافريقي، تأثر به عدد كبير من التكروريين لغزارة علمه و تفقهه اخذ عنه الكثير من أهل العلم[3].

[1] طالبن بن السيد الوافي بن طالبن بن السيد الصالح بن أحمد بن آد الأرواني، فقيه نحوي تولى قضاء أروان و كان مرجع القضاة في عصره أخذ العلم عن أحمد بن الشيخ السوقي الذي أجازه في الحديث والفقه، له كتاب سمي فتح الرب اللطيف في ما في المختصر من الضعيف وله منحة الوزان في نوازل أروان توفي رحمه الله آخر ليلة من رمضان 1180 هـ، انظر البرتلي، فتح الشكور، المصدر السابق، ص ص 102- 103.

[2] باعثمان عبد الرحمن، فهرسة الشيخ عبد الرحمن التنيلاني، المرجع السابق، ص ص 158- 159.

[3] البرتلي، فتح الشكور، المصدر السابق، ص ص 200- 201.

ومن العلماء الذين زاروا بلاد التكرور الشيخ محمد بن العالم الزجلاوي، صاحب النوازل ت1212هـ 1798م حيث مارس مهنة التدريس و الإفتاء كما زار مناطق عدة في هذه بلاد فأفاد واستفاد[1].

أما الذين رحلوا من بلاد الساحل الإفريقي إلى الديار التواتية من اجل العلم و التعلم، نجد أبي عبد الله الفلاني ت1194هـ 1780م، وهو صاحب الرحلة التي قام بها من بلاد التكرور إلى تينيلان بتوات لتلقي العلم عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنينلاني، حيث مكث شهرين و ست ليالي أجازه الشيخ عبد الرحمان بن عمر ببعض العلوم وهذه الرحلة[2] قصيرة لا تتجاوز خمس صفحات اعتمد فيها على الاختصار و التبسيط، حيث لم يذكر نص الإجازات و لا حتى بعض مراحل الرحلة[3].

كما جاء من بلاد شنقيط، محمد الإداوعلي ت1198هـ 1784م نسبة إلى قبيلة إداوعلي[4] كبرى قبائل بلاد شنقيط، حيث خرج منها مع وفد الحجيج فلما وصل الى منطقة عين صالح من تديكلت، توقف عن السير وترك القافلة و عاد لزاوية الركب النبوي بأقبلي، حيث استقبله شيخها أبونعامة و طلب منه البقاء معه لكن الاداوعلي فضل الانتقال لتوات و بالضبط لتمنطيط عند الشيخ البكري بن عبد الكريم[5]، الذي استقبله وبقي عنده دارساً

[1] جعفري أبا الصافي أحمد،الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين 12 13 هـ رسالة دكتوراه في الأدب، جامعة تلمسان، 2007، ص 321.

[2] باعثمان عبد الرحمن، فهرسة الشيخ عبد الرحمن التنيلاني، المرجع السابق، ص 26.

[3] توجد نسخة وحيدة من هذه الرحلة في خزانة سليماني علي بآدغا أدرار .

[4] من أول القبائل التي أسست مدينة شنقيط وعمرتها، إلى جانب شريكتها قبيلة الأغلال، التي كانت معها في حروب انتهت بانتقال جمهور منهم إلى هضبة تكالت التي أسسوا فيها قرية تجكجة سنة 1070هـ – 1660 م وبقيت فروع إدوعلي أخرى في شنقيط وقسم كان قد انتقل إلى بلاد الترارزة في الجنوب الغربي، ومن هذه القبيلة انتقل إلى توات الشيخ محمد اداوعلي في القرن 12 هـ انظر : محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، المصدر السابق، ص ص 188- 189.

[5] ولد بتمنطيط في 12 رمضان 1042 هـ، أخذ عن الشيخ محمد بن محمد بن علي النحوي الآوقروتي، كذلك على الشيخ محمد بن عمر البداوي، تولى قضاء توات عام 1092 هـ توفي 1133 هـ انظر البكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات، المرجع السابق، ص 65.

ومدرساً فذاع صيته في توات و طلبه عدد من أعيان القصور، فاختار قصر اعباني بفنوغيل[1]، حيث استقر هناك و بنى زاويته و مدرسته، لكن لشدة الحنين لبلاد الساحل الإفريقي في آخر أيامه هاجر إليها و توفي هناك[2].

[1] هي دائرة من دوائر ولاية أدرار تبعد عنها ب 30 كم جنوبا .

[2] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي...، المرجع السابق، ص 303.

ج – هجرة القبائل العربية[1]

شكلت التجارة إحدى الخيوط الأولى لنشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية في إفريقيا، وذلك ببناء نسيج اجتماعي إفريقي، تسوده الروح الأخوية في ظل التعاليم الإسلامية السمحة، وقد تكوّن هذا المجتمع من لبنات تمثلت في تلك الجاليات والجماعات العربية التي هاجرت إلى بلاد الساحل الافريقي في شكل أفراد وجماعات قليلة منذ السنين الأولى لبداية نشر الدعوة الإسلامية، وتواصلت هذه الهجرات في ظل التزايد التجاري والاحتكاك بين الجنوب والشمال، خاصة في عهد قيام الممالك الإسلامية في بلاد الساحل الافريقي، والتي شهدت أكبر وأوسع الهجرات العربية من الشمال إلى الجنوب بدءا من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي، شكلت هذه الهجرات مجموعات بشرية انصهرت في المجتمع السوداني بفعل التجانس والتزاوج لتثمر هذه المجتمعات علماء و أسر علمية كان لهم الفضل لإثراء الساحة العلمية والثقافية في توات وبلاد الساحل الإفريقي وتكوين مراكز علمية خاصة بهم، مساهمين بذلك في التواصل العلمي بين المنطقتين خاصة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، السابع عشر والثامن عشر ميلادي.

[1] الهجرة : هي الخروج من أرض إلى أخرى، أو انتقال فرد أو جماعة من مكان إلى آخر، سعيا وراء الرزق، أو بحثا عن الأمن، أو ظروف عيش أفضل . انظر: سعاد البصير، هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني 1516 م – 1830 م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007- 2008، ص 198.

قبيلة كنتة :[1] هي إحدى القبائل العربية الأكثر انتشارا في منطقة الصحراء، قدموا من الشمال نحو توات وبلاد الساحل الإفريقي، على فترات متقطعة ينتهي نسبها إلى عقبة بن نافع الفهري مؤسس القيروان [2]. استقرت القبيلة في الصحراء خلال القرنين السابع والثامن الهجري، الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، بعد أن أصبحت الأوضاع غير ملائمة في الشمال، وفي هذه الفترة رحل أحد أحفاد عقبة إلى واحة عزي[3] من قرى توات، واستوطنها وهو عثمان بن يهس [4] الذي قام بها مرشدا ومربيا تؤخذ عنه فنون العلم إلى أن مات وقبره مشهور بها، ثم خلفه ابنه يحي وكان علامة حافظا ورعا زاهدا مربيا، تخرج على يديه جماعة فرقهم في القرى والمدن للإرشاد والتربية عاش في توات وسط جمهرة كبيرة من التلاميذ ومات ودفن فيها [5]، ثم خلفه ابنه علي الذي كان كثير التردد على الصحراء، أين تزوج بنت محمد بن آلم بن كنت بن

[1] يقصد بكنتة: تلك الوحد السلالية القوية التي تتدرج فروعها المختلفة، ابتداءا من توات حتى منطقة زندر (النيجر) بواسطة الطوق الغربي من الصحراء الكبرى المتمثل في توات وأدرار الموريطاني وتاقانت والعصابة والحوض وأزواد وعقفة نهر النيجر وتمترين وأدرار إيفوغاسن حاليا، و منطقة الهوسا الشرقية من نهر النيجر حتى طاوى، ولم تعد كنتة قبيلة إطلاقا، حيث أخذت مخيمات تتناثر على الطريقة المذكورة آنفا و إنما كل فرع محليا تطور ضمن محيطه وتواءم مع بيئته وتكاثر أحيانا بشكل غزير جدا، وانتهى به الأمر إلى تكوين قبيلة حقيقية لوحدها وهي ليست اتحادية إذ مهما تراخى الرابط الاتحادي في القطر العربي فلا نجد هنا أبدا ما يماثله، ولا تتعارف فروع كنتة المبعثرة في لا نهائية الصحراء الكبرى إلا بالاسم الغالب، ولا يتزاورون إلا في حالات نادرة ولا يلتقون ببعضهم إلا في حالة العداوات الشخصية أو العائلية، غير مترابطين بأية رابطة اللهم الاشتراك والانتماء إلى أصول أولى، وربما أيضا الانتساب إلى الطريقة القادرية. عن : بول ماربي، كنتة الشرقيون، تعريب وتعليق : محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص 9. للمزيد من التفصيل انظر كذلك : محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية،ج 3، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 679.

[2] عقبة بن نافع، ق 1 هـ 63 هـ ، 621 م 683 م،بن عبد القيس الأموي الفهري فاتح عظيم مؤسس مدينة القيروان سنة 50 هـ 170 م، ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يتصل نسبه بعمر بن العاص من ناحية أمه أحد قادة الفتح المغرب استشهد في تهودة (الزاب) بعد أن تقدمته العساكر إلى القيروان و بقي في عدد قليل ودفن بالزاب . انظر الزركلي خير الدين، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 15، 2002، ص 241.

[3] تابعة لدائرة فنوغيل جنوب ولاية أدرار،و تبعد عنها بـ 25كم.

[4] وهو عثمان بن يهس بن دومان بن ورد بن العاقب بن عقبة بن نافع فاتح إقليم إفريقية، انظر حناني فردوس، محمد الخليفة الكنتي، المرجع السابق، ص 134.

[5]حناني فردوس، محمد الخليفة الكنتي، مذكرة ماجيستير، قسم الحضارة الإسلامية،جامعة وهران، 2008-2009، ص ص 143 – 144.

زم ابن إبدوكل واسمها " أهو " [1]، التي أنجب منها ولده محمد الكنتي الذي أصبحت القبيلة تعرف به أي نسبة إلى " كُنت " أحد أجداد من أمه حيث تربى في كفالة أخواله من قبيلة إبدوكال الصنهاجية [2]، وهذا بعد ما رجع أبوه إلى توات، أين كان يقوم بمهمة التعليم بقرية عزي، تخرج على يديه أزيد من ألف واصل. [3] تربى محمد الكنتي في الصحراء أين تعلم القرآن وحفظه ومهر في سائر العلوم وتلقى دروسه على يد جماعة من الشيوخ.

تزوج محمد الكنتي بامرأة جكانية[4]، ورزق منها بولد هو أحمد الذي عاش طرفا من القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، كان رجلا صالحا عالما يقصده الناس، استقر به المقام بولاتة من أرض شنقيط أين توفي بها[5]، يرجع له الفضل في جعل كنتة من دعاة الإسلام بين الأفارقة وكان له الفضل أيضا في نشر الطريقة القادرية في ربوع إفريقيا بعد الشيخ المغيلي، تزوج هو كذلك من امرأة جكانية ورزق منها بثلاثة أولاد هم محمد الكنتي الصغير وأبو بكر الحاج وعمر الشيخ، وقد تفرعت قبيلة كنتة من هؤلاء الثلاثة [6]، وفي عهده بدأت هجرة الكنتيين إلى الصحراء الكبرى وكانت أسفارهم في سبيل الدعوة للإسلام والتجارة، يقول بول ماربي عن

---

[1] لعله تحريف صنهاجي لاسم حواء، وفي الأوراق المنسوبة لأحمد البكاي، وفيها نسب أمهاته من أخواله إبدوكل والتي نقلها أحمد بن الحاج عبد الله الرقادي، جاء أن محمد الكنتي " آهو " بنت محمد آلم بن كنت بن زم بن تملك بن تنفتت بن بب بن اشنت لدن رأس إبدوكل . انظر : محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، المصدر السابق، ص 244.

[2] وهي قبيلة صنهاجية تنتمي إلى صنهاجة الصحراء من لمتونة والتي أسست إمارة لها تسمى إمارة إبدوكل لمتونة (دولة المراطين الصغرى(630 هـ، 840 هـ) . انظر حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص 79.

[3] محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، المصدر السابق، ص 244.

[4] نسبة إلى قبيلة تجكانت وهي إحدى القبائل الصنهاجية، تنحدر من شروال بن أوان بن علي بن أمسم بن يهكر بن نيتان بن لمتون، كانت تمثل هذه القبيلة ربع جيش المرابطين، وتذكر المصادر أن القائد المرابطي مدرك التلكاني وهو تحريف التجكاني لطبيعة النطق الصنهاجي المعروف، وكان من قواد الجيش مع يوسف بن تاشفين، وقد خرجوا بعد انهيار دولة المرابطين في المغرب نحو واحات توات، حيث استقروا 70 سنة ، ثم انتقلوا نحو نواحي أدرار(موريطانيا) حيث أسسوا حاضرتهم الشهيرة تينيكي، ينتسبون إلى جدهم جاكن، تفرقوا بعد الحرب التي وقعت بينهم في تينيكي واستقر بعضهم في تندوف والبعض الآخر في بلاد الحوض والقبلة، قبل أن ينتقلوا من الحوض نحو بلاد الرقيبة، انظر : محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية ص ص 223 – 224.

[5] البرتلي، مصدر سابق، ص 30.

[6] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط 1، ج 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،ص 212.

الحس التجاري الذي يتمتع به الكنتيون " هم أذكياء نشطون ومن أرباب القوافل وهم تجار مهرة، تجدهم على كل طرق السودان، كما نجدهم من ناحية أخرى في الشرق حتى الآير – شمال النيجر حاليا– وغربا حتى المحيط الأطلسي."[1]، وبذلك كانوا رواد هذا الارتباط بين الصحراء و بلاد الساحل الإفريقي، كما كان للكنتيين أثر عظيم في نشر الدعوة الإسلامية والتعليم من خلال التجارة ومساعدة القوافل التجارية، والاصلاح بين الناس، وتوفير الأمن للسابل والغرباء، حيث أسسوا حواضر وزوايا على طول خط القوافل التجارية الرابطة بين توات وبلاد الساحل الإفريقي أشهر هذه الحواضر هي[2]:

1– ولاته: في بلاد شنقيط وهي المحطة التي انتقل منها أحمد البكاي وأبناءه الذين اتخذوا من بلاد التكرور منطلقا لدعوتهم، ونشر الإسلام دون أن تنقطع صلاتهم بتوات.

2– زاوية كنتة : وهي المحطة التي استقر بها أحمد بن محمد الرقاد العائد من أرض التكرور، و أسس بها زاويته سنة 999 **هـ**، 1591 م ومن هذه الزاوية خرج أحمد بن علي الرقاد إلى بلاد التكرور و أسهم في نشر الإسلام.

3– أقبلي : أسس زاوتها محمد بن أبي نعامة بن عبد الرحمن توفي 1163**هـ**، 1750 م وكذلك سنة 1130**هـ**–1718 م، عند قدومه من الأزواد ببلاد الساحل وكانت هذه الزاوية منطلقا لركب الحجيج من توات وبلاد الساحل الإفريقي .

4– الجديد : وهي المحطة الرابعة لقبيلة كنتة، أسسها المختار الشيخ بن محمد وقد توزع أبناؤه بين توت وبلاد التكرور .

كما كانت لهم محطات وزايا علمية في بلاد الساحل الافريقي نذكر منها : زاوية أركبات بأقدز بالنيجر، وزاوية أبناء المصطفى وزاوية المخاتير بآزاواد مالي، وزاوية أهل علواته بمدينة تنبكتو، وزاوية آل بابا أحمد بن عابدين بواقادوقو ببوركينافاسو[3] وهذا ما ساعد الكنتين

[1] بول مارتي، المرجع السابق،ص 43.

[2] مقلاتي عبد الله، مرجع سابق، ص 215.

[3] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص ص 272– 273.

على الاحتكاك بالمجتمعات الإفريقية وتسهيل عملية الارتباط بها مما جعل لهم نفوذ ومكانة سياسية واجتماعية ذات خصوصية علمية متميزة : يقول مصطفى أبو ضيف "... على انه كانت هناك قبيلة عربية واحدة لها أثر عظيم في إسلام الزنوج في منطقة العمراء ومنطقة النيجر الوسطى وتلك هي قبيلة كنتة، التي هاجرت في القرن التاسع الهجري من مواطنها في توات اطراف تينبكتو ومع مرور الزمن انصهرت هذه القبيلة العربية الأصل وأصبحت قبيلة مغربية تدين لها الطريقة القادرية بانتشارها في غرب إفريقيا[1] "

وخير ما أنجبته هذه القبيلة من علماء كانت لهم بصمات في إثراء هذا التواصل بين المنطقتين فهم كثيرون، سواء كانوا بطريقة التصوف أو بطريقة العلم، حيث نجد بعض المشايخ الكنتين من كان يجمع بين التصوف والتأليف والتعليم والفتوى، والثاني يندرج تحته صلحاء من الشيوخ الذين اشتهروا بأمر الزهد في الحياة وكثرة الأذكار وخدمة العامة، واشتهروا كذلك بالكرامات و المواقف الخالدات، وضحّوا بأموالهم وأعمارهم في سبيل الإصلاح كإصلاح ذات البين، وإعانة الفقراء والمحتاجين في الزوايا التي أسسوها وساهموا في تسيرها، وبعد وفاتهم خلدت قبورهم بأضرحة ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن محمد الرقادي في زاوية كنتة والشيخ المختار بن محمد بن اعمر بن الوافي بقرية الجديد و في أقبلي ضريح الشيخ أبي نعامة شيخ الركب[2] .

أما النوع الأول الذي يهمنا في هذا البحث، فلا أدل على ذلك من الشيخ المختار الكبير الكنتي 1142هـ 1779م -1226هـ 1811م صاحب المؤلفات الكثيرة والقدم العلمي الراسخ[3]، بالإضافة إلى ابنه محمد الخليفة الكنتي 1179م، 1242 هـ-1765 هـ - 1826م[4] صاحب كتاب الطرائف والتلائد في ذكر كرامات الوالدة والوالد، وكذلك كتابه

[1] مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية (العهد الموحدي)، مطبعة دار النشر المغربية، ط 2، 1982، ص 269.

[2] يحي ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، دار المعرفة،الجزائر،2009، ص 69.

[3] الحمدي أحمد، المختار الكبير، مرجع سابق، ص ص 115- 153 - 233.

[4] القشاط سعيد، أعلام من الصحراء، مرجع سابق، ص 167.

الرسالة الغلاوية [1]، كما كان للشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي ت 1157هـ 1744 م [2]، الذي كان من أعلام اللغة في توات وبلاد الساحل الإفريقي تتلمذ على يديه كل من الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني و الذي ذكره في فهرس شيوخه وعدّه من أهم الرجالات الذين تلقى على يدهم العلم، ومحمد بن أب المزمري شيخ اللغويين في توات[3]، هذا الشيخ كان همزة وصل بين توات وبلاد الساحل الإفريقي وبالضبط بين زاوية كنتة في توات و تاودني والمبروك في بلاد الساحل الإفريقي[4].

قبيلة فلان[5]:تعتبر هذه القبيلة من القبائل التي ذاع صيتها في توات وبلاد الساحل الإفريقي، حيث ساهمت الى جانب قبيلة كنتة في نشر الدعوة الإسلامية والطريقة القادرية في بلاد الساحل الإفريقي، هذا و رغم اختلاف المؤرخين حول أصولها، فمنهم من يرجعهم الى الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري وهو رأي الغالبية من المؤرخين.

حيث يقول عبد الله آدم الآلوري " إن فلان العرب قول منسوب إلى آل فوديو وقد نقله الشيخ عثمان وأخوه عبد الله وإبنه محمد بلو عن أجدادهم وعلمائهم الثقات حيث قالوا أن الجد الأعلى لفلان هو عقبة بن نافع الصحابي وأن الأم العليا لهم رومية تدعى(بج مغ) وهي

---

[1] حناني فردوس، محمد الخليفة، مرجع سابق، ص ص 156 - 158 - 162.

[2] باعثمان عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 52.

[3] جعفري أبا الصافي أحمد، الحركة الأدبية، مرجع سابق، ص 322 انظر : باعثمان عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 18.

[4] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 274.

[5] فلان : الفلاتة، البلار، الهال، البول، التكارير، التكارن، الفلاشة،كل هذه الأسماء تطلق على اسم قبيلة عربية تقطن جنوب الصحراء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر في كل هذه الأقطار المتواجدة في هذه الحزام : موريتانيا، مالي، السيغال، غينيا بيساو، بوركينافاسو، ساحل العاج، بنين، نيجيريا، النيجر، تشاد، الحبشة، ويقدر عددهم بحوالي اثني عشر مليون نسمة، ويشتغلون بالري والزراعة يرجع نسبهم إلى حمير إحدى القبائل العربية ومنهم من يرجع نسبهم إلى عقبة بن عامر الجهني أحد الفاتحين العرب للصحراء، وقد قاموا بدور بارز في نشر الإسلام، والدفاع عنه في إفريقيا انظر : محمد سليمان الطيب، مرجع سابق، ج 3، ص ص 694- 696 .كذلك :كحالة عمر، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1977، ص 927.

بنت ملك بإحدى قبائل الروم، تزوجها عقبة وأنجبت له أربعة أولاد [1]، صاروا فيما بعد آباء القبائل الفلانية بأسرها في بلاد ونغارة و غانا و مالي وتكرور وسنغي وبلاد الهوسة و بلاد برنو[2] وقد قيل أن أصلهم من ولد جعفر بن أبي طالب [3] وقد قيل من أحفاد أبي بكر الصديق.

وعلى العموم مهما تكن من اختلافات في أصلهم، إلا انه يمكن أن تكون هذه القبيلة متكونة من عدة فروع انتشرت في جميع بلاد الساحل الإفريقي وتوات، وقد استوطنت قبيلة فلان بداية الأمر بلاد شنقيط[4]، وانتقلت بعض فروعها جنوبا لتشمل المنطقة الممتدة من السنغال إلى الكامرون الى نيجيريا[5]، التي يوجد بها السواد الأعظم من الفلانيين حيث أسسوا دولة في شمال نيجريا خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر الميلادي[6] بقيادة المصلح عثمان دان فوديو الفلاني[7]، الذي ولد سنة 1168هـ- 1754م

---

[1] يرى الباحث الطيب عبد الرحيم الفلاتي، أن عقبة بن نافع تزوج بنت ملك الروم وهو ملك غانا يدعى" برمندانا " ولدت له خمسة أولاد وبنت وهم عثمان، تورو، محمد فلان، أبو بكر فلات ، عمر دردور ،علي عردو، فاطمة شلفو أشفو. انظر الفلاني الطيب عبد الرحمن، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، ط 1، الكويت، 1994، ص ص 17 - 18.

[2] عبد الله آدم الآلوري، مرجع سابق، ص 92.

[3] وهم أبناء عقبة من زوجته صفية بنت جعفر بن أبي طالب وهم خمسة أولاد : يزيد، فولو، فيلا، غرغار، حيدر، وينتشر هؤلاء ما بين المغرب والبحر الأحمر . انظر: الطيب بن عبد الرحيم الفلاتي، مرجع سابق، ص 19 و محمد بللو، إنفاق الميسور، مصدر سابق، ص 332.

[4] يذكر الشيخ محمد باي بلعالم : أن نسب الفلانيين يرجع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا نسب جدهم عبد الرحم بن أبي بكر الصديق الملقب بفلان، وأن والدته تسمى فلة بضم الفاء وتشديد اللم وسكون الهاء، وكلمة فلة هذه نسبة إلى شجرة الفل ذات الرائحة الزكية، وهي أيضا أم محمد الملقب بفوتا، أي أن عبد الرحمن الملقب بفلان ومحمد الملقب بفوتا أخوان شقيقان ووالدتهما هي فلة، وجاء أيضا أن فلان أي عبد الرحمن كان أميرا على مدينة شنقيط بعد الفتح الإسلامي، وقد جاء أن فوتا الذي هو محمد خرج من شنقيط إلى البلاد الجنوبية المجاورة إما تاجرا أو فاتحا واستقر في المكان المعروف حاليا بالسنغال، وجاء أيضا أن فلة والدتهما من قبيلة لمتونة التي يرجعها البعض إلى أصول عربية وهي قبيلة حمير. انظر : محمد باي بلعالم، قبيلة فلان، مرجع سابق، ص ص 11-12.

[5] آدم الآلوري عبد الله، مرجع سابق، ص 134.

[6] حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، 1981، ص ص 131 - 148.

[7] عثمان دان فوديو: هو عثمان بن محمد فودية بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جيو بن محمد ثنيو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن بابا بن موسى جكولو، الذي هاجر بجماعته من بلاد فوتاتور على قصد الهجرة إلى =الحجاز وتأخر مع طائفة في بلاد الهوسا،أخذ العلم عن والده محمد فودي وعن والدته حواء وعن جدته رقية، ثم عن الشيخ عثمان يندور الكبري وأخذ الإعراب عن الشيخ عبد الرحمن بن حمد وسمع الفقه من محمد تنبو بن عبد الله والتفسير من الشيخ أحمد بن محمد بن هاشم الزنفري، أخذ الصحاح الست عن

والذي كان مشبع بالأفكار الصوفية و الروح الإسلامية، تأثر بأفكار الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث أسسها على المبادئ الإسلامية و تعتمد اللغة العربية لغة رسمية لها[1].

كما جاء بعده ابنه محمد بللو صاحب كتاب انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور الذي أرخ فيه شخصية والده عثمان أبوه، كما أرخ للمنطقة التي سكن فيها الفلانين، اما الفلانيون المتواجدون في بلاد توات فهم في منطقة تيديكلت وبالضبط في حاضرة أقبلي التي توجد بها زاوية الشيخ أبي نعامة صاحب ركب الحجيج إلى بلاد الحرام، كما يوجد في بلدة ساهل[2] التي هي تابعة لحضارة أقبلي فلانين من أولاد إبن مالك وأولاد بلعالم وأولاد المنوفي وأولاد تكوبة وأولاد الفقي، و أولاد حفيدي وأولاد عوماري، و أولاد عرقوب[3] وجد هؤلاء الأعلى هو الشيخ محمد بن مالك بن أبي بكر بن أيوب بن حماد بن جلول بن طلحة بن سليم بن جابر بن يود بن أيوب وهو المؤسس لقرية ساهل بمعية الشيخ محمد الأمين الكنتي المدفون معه في جوار المسجد القديم بقرية اقبلي التي كانت حاضرة للعلم اشتهرت بعلمائها الذين نبغوا في علوم شتى كالفقه و النحو والبلاغة و المنطق[4]، مثل الشيخ حمزة بن الحاج أحمد الفلاني القبلاوي الساهلي التواتي، و الشيخ محمد الحسن بن محمد بن الحاج بن مالك الفلاني القبلاوي[2].

كما كانت فروع للفلانين في كل من عين صالح تيديكلت، وقصر تيمادنين[3]، حيث تنقل من بلاد تكرور إلى توات العديد من الفلانين منهم الشيخ عبد الله بن أحمد الفلاني الذي

الحاج محمد واجي وعن الشيخ جبريل بن عمر ولازمه مدة في بلاد آهير واستفاد منه، اجتمعت في شخصية ابن فودي صفات لم تتوفر في كثير من العلماء وذلك باعتباره أول داعية يقوم بتغير المنكر وإصلاح ذات البين . انظر : محمد باي بلعالم، قبيلة فلان، المرجع السابق ص ص 58- 59. و محمد بللو، إنفاق الميسور، مصدر سابق، ص ص 81 – 82. القشاط سعيد، مرجع سابق ص 115. زبايدية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 78.

[1] بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 141 وما بعدها.

[2] هي قرية تابعة لبلدية أقبلي، دائرة آولف تديكلت تبعد عن مقر ولاية أدرار بحوالي 310 كم تقع في الجنوب الشرقي من الولاية.

[3] محمد باي بلعالم، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في الجنوب الجزائري، دار هومة، الجزائر، ط 2، 2012، ص 22.

[4] محمد باي بلعالم، قبيلة فلان، المرجع السابق ، ص 12.

[2] محمد باي بلعالم، قبيلة فلان مرجع سابق، ص ص 13 – 14.

[3] وهي قرية تابعة لبلدية رقان، تبعد عنها ب 7 كم في الشمال الغربي وعن مقر ولاية أدرار ب 150 كم.

ولد عام 1113هـ-1701م، و الذي نزل بزاجلو ودرس على يد الشيخ عبد الرحمن بن العالم الزجلاوي ثم توجه بعدها الى تنينلان، ودرس على يد الشيخ عبدالرحمن بن عمر، ثم انتقل الى تيديكلت التي توفي بها سنة 1194 هـ -1780م[1] بالإضافة إلى محمد بن مالك القبلاوي الذي رحل هو كذلك تنينلان للتعلم على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن التنيلاني الذي أجازه في بعض العلوم [2].

ثالثاً- التصوف :

يعد التصوف أحد الروافد التي شكلت رباطا روحياً بين شعوب القارة الأفريقية عامة وبين توات وبلاد الساحل الإفريقي على وجه الخصوص، إذ أدى لدعم العلاقات التجارية والثقافية والعلمية بصفة أخص، حيث تعبر توات بمثابة البوابة التي دخل منها التصوف إلى بلاد الساحل الإفريقي لتشكل مصدراً لانتشار أهم الطرق الصوفية، التي كانت مشهورة كالقادرية و الشاذلية و التجانية في وقت متأخر، وهذا ما نتج عنه ظهور طرق فرعية محلية في كل من توات وبلاد الساحل الإفريقي ساهمت في إثراء هذه العلاقة.

إلا أننا سنحاول في هذا البحث، دراسة التصوف من وجهة محددة ونقصد بها، إبراز العلاقة العلمية، التي كانت نتيجة لهذه العلاقات الروحية، ولكن كان لزاما علينا، أن نتعرض لتعريف التصوف، ونشأته، وانتشاره وكيف وصل إلى توات وبلاد الساحل الإفريقي، مركّزين على نموذجين كان لهما الأثر الأكبر في إبراز هذه العلاقة العلمية وهما القادرية، و الشاذلية.

يعتبر التصوف من المواضيع الهامة التي أثارت جدلاً كبيراً بين العلماء والباحثين في علوم الدين والعلوم الروحية، حيث اختلفت آرائهم من حيث حقيقته وتوجهاته وبيان أصوله وفروعه، فمنهم من أرجعه إلى أصل هندي ومنهم من رده إلى الرهبنة المسيحية ومنهم من قال بأنه رد

[1] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 277.

[2] محمد باي بلعالم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص ص 28 - 29.

فعل للعقلية الآرية ضد الدين الإسلامي وحضارته في فارس، ومنهم من أعده امتداد للفلسفة اليونانية وآخرون قالوا أنه نابع من البيئة العربية الإسلامية[1].

أ- **معنى التصوف:**

كلمة مشتقة من الصفاء أي صفاء القلوب [2]، وقيل أنها مشتقة من الصفة (صفة المسجد)، وهو مكان في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجلس إليه متعبدون زهاد من فقراء المسلمين سمُّوا بأهل الصفة.

ويرى آخرون أن التصوف نسبة إلى أوليك الذين يجلسون في الصف الأول في المسجد أثناء الصلاة [3]، وقيل أن التصوف من لبس الصوف حيث يقول ابن تيمية فيهم "هؤلاء – الصوفية – نسبوا إلى ظاهر اللبسة وهي لباس الصوف فقد قيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيد بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذالك ولا علقوا الأمر به ولكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال"[4].

كما عرفه البعض بأنه عبارة عن طريقة انتقالية لإصلاح القلوب وتزكية النفوس حيث يقول معروف [5] الكرخي ت (200هـ - 815 م) " التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق" ويعرفه سهيل بن عبد الله التستري ت 283 هـ - 896 م "الصوفي من صفى من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر و استوى عنده الذهب والمدر"[6].

---

[1] عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث قسنطينة، 2002،ص 109.

[2] بسيوني إبراهيم، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، القاهرة مصر،1969، ص 09.

[3] عبد الله عبد الرزاق، اضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، المطبعة الفنية، الجزائر، 1990م،ص 12.

[4] الإمام بن تيمية، موسوعة فقه السنة (فقه التصوف) ج 3، تهذيب وتعليق الشيخ زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ص 24.

[5] القشيرى، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت،ص 127 .

[6] السهر وردي، عوارف المعارف، ط،2 دار الكتاب العربي، بيروت، 1983،ص27.

أما الجرجاني الشريف بن علي بن محمد (ت 816 هـ 1413 م) فقد عرفه بقوله "التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطن فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للتأدب بالحكمين الكمال " [1] وهناك من الباحثين من حاولوا إعطاء تعريف محدد للتصوف منهم عمر فروخ الذي يقول " الصوفية حركة بدأت زهداً وورعاً ثم تطورت فأصبحت نظاماً شديداً في العبادة ثم استقرت اتجاهاً نفسياً وعقلياً، بعيداً عن مجراها الأول وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة" [2].

ب-نشأة التصوف و انتشاره:

عرفت كلمة صوفي الانتشار في القرن الثاني للهجرة، و أول من أطلقت عليه المقيمين بالعبادة: يقول ابن خلدون " و لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقيمون على العبادة باسم الصوفية المتصوفة " [3].

أما في القرن الثالث الهجري في العهد الأول من الخلافة العباسية (132هـ 232 هـ) نجد كثير من الناس تخلوا عن الحياة العامة هرباً من المشاكل السياسية و الاقتصادية التي صاحبت عملية التحضر ونشوء الأمصار الإسلامية، وهنا بدأت ملامح تشكيل الطرق الصوفية على مناهج مختلفة واتخذت لها مبادئ عامة مثل قولهم " أنه لا يوجد إلا الله ولا يوجد إلا حاكم واحد ولا يوجد إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم ولا يوجد إلا قانون واحد ولا يوجد إلا طريق واحد مستقيم يوصل إلى حضرة الله " [4].

و خلال القرن الرابع والخامس الهجريين ظهر التصوف في صورة تختلف عن صورته الأولى حيث لم يقف عند حدوده الأولى بل تأثر بالمذاهب الفلسفة القديمة من بوذية وفارسية ويونانية

[1] الجرجاني الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص 59 .

[2] فروخ عمر، تاريخ الفكر العربي أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، 1972، ص 470 .

[3] ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 517 .

[4] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص 12 .

نتيجة توسع الدولة الإسلامية التي تولد عنها الاختلاط بين الثقافات [1]، لذا كان انتشار التصوف على امتداد الدولة الإسلامية بالأخص في خراسان والعراق [2].

وابتداء من القرنان السادس والسابع الهجريين اتخذ المتصوفة في جماعات منظمة وظهر بعد ذلك ما يعرف بالطرق الصوفية، فأصبح لكل طريقه شيخ، وهو ما حذا بأحد متصوفة القرن الثامن الهجري إلى التأكد على أهمية الشيخ لسالك هذا الطريق بقوله " الذي أراه أن الشيخ في سلوك طريق التصوف على الجملة أمر لازم، لا يسع أحد إنكاره".[3]

أما وصول التصوف إلى بلاد المغرب فقد كان نتيجة للحركة التي شهدتها بلاد المشرق، والتي كان لها صدى قوي تجاوب معها المغرب الإسلامي مع مطلع القرن السادس الهجري، حيث ظهرت شخصيات كان لها الأثر في التأثير في نفوس الناس مثل عبد القادر الجيلاني، وأبو حامد الغزالي وأبو مدين شعيب الذي أخذ عن عبد القادر الجيلاني ونشر طريقته في بلاد المغرب، وذلك بعد التقاءهما في عرفة [4]، وفي هذه المرحلة بدأ التصوف يدخل كإطار منهجي يدرس بقواعد وفصول منظمة .

ج- التصوف في توات وبلاد الساحل الإفريقي.

عرفت توات ظاهرة التصوف منذ العهود الأولى لدخوله لبلاد المغرب، حيث أصبحت الحياة الروحية فيه تقوم على نشاط الطرق الصوفية، والتي قادها شيوخ وعلماء حملوا على عاتقهم نشر الإسلام وتعاليم مناهجهم الصوفية بتوات وبلاد الساحل الإفريقي وجدت أرضاً خصبة لتنمو وتتفرع في ربوعها [5]، وذلك أن أتباع الطرق يدعون إلى الإسلام عن طريق

---

[1] محمود ادريس، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م، ص 41 .

[2] نفسه، ص 45 .

[3] جدو فاطمة الزهراء، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين 479 هـ - 635 هـ (1086 – 1238م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007,2008، ص 08.

[4] عميراوي أحميدة، مرجع سابق، ص 110.

[5] عباس عبد الله، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان، مرجع سابق، ص 113.

التصوف الذي كان له أثر في انتشار الإسلام في بلاد الساحل، وأن هذه الطرق الصوفية كانت تقوم على الإرشاد الذي هدفه نشر تعاليم الدين الإسلامي وغرس ثقافة حب الجار والتسامح مع الوثنين و المسيحيين هناك .

عرفت هذه الطرق الوصول إلى بلاد الساحل الإفريقي عن طريق مسالك التجارة، والتي كانت توات أحد المراكز التي عملت بشكل فعال في تمرير تلك الحركات إلى بلاد السودان[1].

د- أهم الطرق الصوفية في توات وبلاد الساحل الإفريقي

1- القادرية : تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] والذي يعتبر مؤسسها الأول، وتعد من أكثر الفرق الصوفية انتشاراً في توات وبلاد الساحل الإفريقي. دخلت إلى بلاد الساحل الإفريقي على أيدي مهاجرين من توات في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، واتخذت من ولاته[3] في شنقيط أول مركز لهم ثم مدنية تنبكتو بعد ذالك ولم يمضي زمناً طويلاً حتى عجت بلاد الساحل الإفريقي بالدعاة التواتيين من القادرية منهم الفقهاء والعلماء، بدء بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي يعد مؤسسها الأول في المنطقة وعنه أخذ الشيخ أحمد البكاي الكنتي لتحمل لواءها الأسرة الكنتية بدء بالشيخ أعمر بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي (ت 959 هـ - 1552م) وبلغت هذه الطريقة مجدها بظهور الشيخ المختار الكبير الكنتي (ت1226 هـ - 1821م)[4].

---

[1] بوكرابيلة الزهراء، الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي، مرجع سابق، ص 123.

[2] عبد القادر الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحسني الجيلاني نسبة إلى بلدة جيلان ولد سنة 417 – 561 هـ (1079 – 1166م) نشأ وترعرع في عائلة متواضعة ومنذ صغره أيدى من الاستقامة في أخلاقه وتربيته جاء إلى بغداد عام 488هـ 1095 م ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد الغزالي بعد وفاة أخيه أبو حامد الغزالي، بقي عشرين سنة يتجول في خرائب بغداد اشتهر بورعه وعلمه بنى مدرسة في بغداد عام 528 هـ 1135م والتي بدأ الناس يسيرون على نهجه بعد وفاته . انظر : المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ج 1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د. ط، 1994،ص 676، انظر: عمار هلال،، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الجزائر 1988، 109.

[3] ارنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، القاهرة، 1957، ص 394- 395.

[4] قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، مطبعة الجزائر، د. ت، ص ص 94- 95.

تلقت ولاته المدد الثقافي من توات، وحل بها رجال كثيرين من دعاة ومعلمين ومرشدين ومن هؤلاء العلماء يحى كامل المحجوب (جد قبيلة المحاجيب التواتية) والذي بوصوله انتعشت الحركة العلمية في هاته المدينة كما نشر الكنتيون الطريقة القادرية في كل من السنغال والنيجر وساحل العاج وغنيا .

ومن أهم فروع هذه الطريقة هي البكائيةنسبة إلى أحمد البكاي المتقدم الذكر، حيث تزّعم هذه الطريقة بعد وفاة أحمد البكاي ابنه عمر الشيخ ثم بابا أحمد ابن الشيخ المختار، الذي اعتبر رئيس لهذه الطريقة أي من فرع البكائية[1] المختارية بمنطقة تينكتو والمناطق المجاورة لها ثم استقل شيخ من السنغال سمي الشيخ السنغالي عن القادرية البكائية وأسس القادرية المريدية[2].

وقد كانت المراكز الرئيسية التي أسسها التواتيون تقوم بتنظيم دعاة للفرق القادرية ما أدى إلى ظهور مريدين من الفقهاء و المشايخ، قد انتشروا في كامل أرجاء بلاد الساحل من السنغال إلى نهر النيجر، وكان بعض هؤلاء ممن دخلوا في الإسلام عن طريق دعاة القادرية، و وفدوا لإتمام تعليميهم بمدارس الأقليم التواتي أو مدارس الشمال الإفريقي حتى إذا ما أتموا دراستهم الدينية عادوا إلى أوطانهم، وكان المعلمون الذين تربوا على أيدي علماء توات أسسوا المدارس في بلادهم وقاموا بالإنفاق عليها[3]، وكان عملهم يعتمد على الإرشاد ومدى تأثير المعلم على تلاميذه لاشك أن الهدف هو نشر العلم[4]، ومما زاد في تثبيت هذه الطريقة في نفوس مُريديها انتساب بعض السلاطين والأمراء إليها[5].

[1] قداح نعيم، المرجع نفسه، ص ص 84 – 85 .

[2] سنة عامر، الأدب السنغالي العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1978، ج 1، ص 33.

[3] هلال عمار،مرجع السابق، ص 113.

[4] ارنولد توماس، مرجع سابق، ص ص365 – 366 .

[5] نعيم قداح، مرجع سابق، ص 85 .

وظهور حكام ومصلحين تشبعوا بأفكارها، فقاموا بإصلاح سياسي وديني مثل الشيخ عثمان دان فوديو والشيخ أحمدو والشيخ أحمد .[1]

2- **الشاذلية:** تنسب إلى الشيخ أبو الحسن الشاذلي[2]، و تعتبر من أهم الطرق التي عرفت انتشارا في توات، وانتقلت منها إلى بلاد الساحل الإفريقي، تفرعت منها فروع في توات، أهمها الموساوية[3]، الطيبية[4]، الزيانية[5]، والتي بدورها تفرعت منها الرقانية نسبة إلى الشيخ عبد المالك الرقاني[6]، الذي كان كثير الترحال إلى بلاد الساحل من أجل التجارة، ونشر العلم، حيث يذكر البرتلي[7] صاحب فتح الشكور، أنه تتلمذ عليه، وأخذ عليه الورد الشاذلي، بالاضافة إلى وجود أكثر من أربعين شخصية تواتية في بلاد التكرور، كما كان للشيخ الرقاني رحلات إلى عدة أماكن في بلاد الساحل الافريقي، مثل السنيغال، و بوركينافاسو، التي لا زالت بها زوايا تابعة لطريقته.

---

[1] هلال عمار، مرجع سابق، ص 111 .

[2] أبو الحسن الشاذلي : توفي 593 هـ - 1196 م، هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار ينتهي نسبه إلى عمر بن إدريس المثنى، بن إدريس الأكبر دفين جبل زرهون بالمغرب الأقصى، تعلم بفاس وقرأ على كبار رجالها، ثم انصرف متوجها إلى أرض المشرق، وفي طريقه مر على قرية شاذلة بتونس وأقام بها مدة ومنها عرف بالشاذلي، ثم رحل إلى مصر وناظر علماءها، حتى ذاعت شهرته، قصده الطلاب من أجل الانتفاع، للمزيد انظر : التليدي عبد القادر بن عبد الله، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط 4، دار الأمان، الرباط، دار البشائر، بيروت، 2003، ص ص 122 -124.

[3] الموسوية : تنسب إلى مؤسسها أحمد بن موسى الكرزازي، نسبة إلى منطقة كرزاز،من قصور وادي الساورة، توفي 1013 هـ. 1604 م . للمزيد: انظر : حوتية محمد، توات والازواد، ج 1، مرجع سابق، ص 186.

[4] الطيبية : تنسب إلى الشيخ، الطيب بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني، ولد عام 1005 هـ - 1597 م، بتازرون بالمغرب ثم انتقل إلى وزان التي توفي فيها، أخذ عنه علماء كثيرون في توات منهم : محمد بن عمر المهداوي التمنطيطي. للمزيد انظر : مسعودي زهرة،الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 م إلى القرن 20 م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2009 – 2010، ص ص 41- 42.

[5] الزيانية : تنسب إلى الشيخ محمد بن بوزيان القندوسي، ت 1145 هـ بالقنادسة، تعلم في فاس وتافيلالت ثم اتجه إلى المشرق العربي، ليستقربه المقام في مدينة القنادسة بولاية بشار . انظر : محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 6، مرجع سابق، ص 2262.

[6] هو عبد المالك بن عبد الله بن علي بن الزين، بن حم، بن الحاج، مؤسس الزاوية الرقانية برقان، وبلاد الساحل، توفي 1207 هـ انظر : جعفري ابا الصافي أحمد، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص ص 44 – 45.

[7] البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص ص 200- 201.

كما رحل من توات إلى بلاد الساحل، الشيخ علي بن حنيني، الانصاري الزجلاوي، كان على الطريقة الشاذلية، عالما في الفقه، امتهن التجارة، إلى جانب كونه فقيها متضلعا، عمل على نشر العلم والطريقة الشاذلية[1] .

أما في شنقيط، فقد ظهر علماء، زاوجوا بين العلم، والورد الشاذلي، أهمهم الشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي، الذي من تلامذته، الطالب أحمد بن طوير الجنة، الوداني، والشيخ الفقيه الخطاط الذي أخذ الورد الشاذلي عن الشيخ أحمد التواتي، أحد علماء شنقيط[2]، هذا وقد كانت لهذه الطريقة مدارس وزوايا عملت على نشر العلم مصحوبا بالطريقة الشاذلية، مثل الزاوية الرقانية في توات وبلاد الساحل.

ومهما قيل من اختلاف حول الطرق الصوفية وما شابها من شوائب، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر دورها كحلقة محورية في نشر الإسلام واللغة العربية في، بلاد الساحل الإفريقي.

[1] مسعودي زهرة،الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 42.

[2] خليل النحوي، شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص ص 122- 123

الفصل الرابع

الحواضر والمراكز العلمية في توات وبلاد الساحل الإفريقية

أولا: الحواضر والمراكز العلمية بتوات

ثانيا: الحواضر والمراكز العلمية ببلاد الساحل الإفريقي

عرفت توات وبلاد الساحل الإفريقي، حركة اقتصادية واجتماعية منذ العصور القديمة، نتج عن هذه الحركية علاقات علمية، انبثق عنها ظهور حواضر علمية، إلا أنها ازدادت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر هجري، مما أدى إلى بروز حواضر علمية أخرى، ساهمت في إثراء هذه العلاقة وسنحاول التعرض إلى أهم هذه الحواضر، في كل من بلاد توات وبلاد الساحل الإفريقي.

أولا في توات:

قامت بتوات عدة مراكز وحواضر علمية، مثلت الوعاء المعرفي الذي احتضن العديد من الطلاب والعلماء ساهموا في اثراء العلوم بهذه المنطقة، ومن بين هذه الحوضر ما يلي :

1- حاضرة تمنطيط :[1]

هي من أقدم الحواضر في توات تقع جنوب قصر تيمي و تبعد عنها بحوالي اثنا عشر كيلومتر و تضم خمسة قصور ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة فيما بينها [2]، و قد بنيت تمنطيط على هضبة نهايتها على شكل حاجب للعين مطلة على سبخة تفصلها عن قصور تيمي، و تبعد عن وادي مسعود بخمسة و ثلاثين كيلومتر، على مفترق طريق القصور بين مدن الشمال و الجنوب، الشيء الذي وضعها في موقع الريادة بالنسبة للمراكز الحضرية في الصحراء الكبرى[3]

ورد ذكرها في كثير من كتب المؤرخين، وصفها ابن خلدون بكثرة عمرانها و حيويتها التجارية حيث يقول " ... وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد مستجير في

[1] تمنطيط: كلمة اعجمية مركبة من اسمين و هما "اتما"ومعناها النهاية و "تط" ومعناها العين فتركب الاسمين و حذف الالف في اخر (اتما) و (اتط)، فكان الاسم على ذلك التركيب الخفيف فكانت تمنطيط، و توجد اشارة ثانية لمعنى اسم تمنطيط،وهي تركيب من أمان (الماء)وتيت (العين) بحيث تم احتواء أمان و تيت لتعطي اسم تمنطيط، وأن هذه التسمية الاخيرة تعطي الاهمية سكان القصر للماء انظر ابن بابا حيدة القول البسيط،مصدر سابق، ص ص، 14،P14313 ,OP,GIT (OLEIL)JACCOB

[2] حوتية محمد،توات والازواد،ج1،مرجع سابق،ص 33.

[3] البكري بكري،تمنطيط رمز التاريخ وعنوان حضارة،مجلة الحضارة الإسلامية ع1،عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي،المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية وهران،الجزائر،1993،ص63.

العمران و هو محط ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مالي إليه " [1]، وذكرها ابن بابا حيدة بقوله[2] :"... التمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات، وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم و الإمارة و الديانة و الرياسة ....." أما المؤرخ محمد بن عبد الكريم فقال عنها :" هي بلدة من أقدم بلدان الصحراء، أقسم بعض المؤرخين أنها أدركت الملل الثلاث التوراة و الإنجيل و الفرقان [3]".

وهذا دليل على قدمها و تاريخ تعميرها، حيث يشير برنارد سافرو [4] إلى أن المدينة تأسست سنة 472 م وبنى اليهود اول قصر لهم يدعى أولاد همال مع معبد يهودي سنة 517م.

كما شهدت المدينة المسيحية مع هجرة بعض القبائل البربرية[5] لتعرف الإسلام مع دخول القبائل العربية، وتزداد تطورا في المجالات التجارية والاجتماعية و العلمية، حيث زارها كثير من التجار و العلماء والرحالة، من أبرزهم الرحالة التاجر الجنوي انطونيو مالفانتي ANTONIO MALVANTI سنة 850هـ -1447 م و أقام بها سنتين في ضيافة احد تجارها [6]، كما زارها من العلماء الشيخ ابو يحي المنياري815هـ -1412م[7]والشيخ يحي بن يدير التدلسي عام 845هـ-1441م والشيخ عبد الله العصنوني عام875هـ-1471م و الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي 882 هـ -1477 م الذي كانت له ثورة ضد اليهود واجلاهم منها، إضافة إلى الشيخ ميمون بن عمرو بن محمد الباز عام 890هـ - 1485 م الذي أسس الزاوية البكرية التي اصبحت منارة للعلم في هذه الحاضرة.

---

[1] ابن خلدون،مصدر سابق،ج7،ص ص 76،77.

[2] ابن بابا حيدة،مصدر سابق،ص15.

[3] محمد بن عبدالكريم،التقييد، مصدر سابق،ص1.

[4] Bernard safray ,op ,cit,p4

[5] بن سويسي محمد،العمارة الدينية،مرجع سابق،ص27.

[6] فرج محمود فرج،اقليم توات،مرجع سابق،ص ص33،34.

[7] جعفري مبارك،العلاقات الثقافية،مرجع سابق،ص57.

يقول صاحب كتاب نسيم النفحات " ولما أجلى الله اليهود عن ارض توات، صار مركز الإشعاع للعلم و المعرفة واقتباس الهدى والفصل بين الناس بالحق والعدل، عندما استقر أولاد الولي الصالح و القطب الفاتح سيدي محمد البكري[1] "، حيث تخرج منها علماء كان لهم الفضل الكبير و الباع العلمي الوفير خاصة من العائلة البكرية التي برز منها علماء تفننوا في شتى أنواع المعرفة من فقه وحديث وادب وسير وتاريخ إضافة إلى القضاء الذي اشتهرت به تمنطيط بمركزيتها له في توات، فكان علماء من البكريين تولوا هذا المنصب، أمثال عبد الكريم بن امحمد بن ابي محمد التواتي [2] وابنه عبد الحق بن عبد البكري [3]والشيخ الحسن ابن ابي مدين التمنطيطي[4]أما أشهرهم العالم البكري بن عبد الكريم[5]الذي تميز بعلمه الوافر بعل النوازل وكثرة اطلاعه حيث تولى القضاء سنة 1092هـ1681كان يميل إلى الصلح بين المتخاصمين، والعدل بين الناس حتى لقب بقاضي الصحراء استمر في هذا المنصب إلى غاية وفاته سنة 1133هـ/1721كما اشتهرت تمنطيط بعلماء كتبوا في التاريخ أهمهم محمد الطيب عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة [6]، كتب كتاب في تاريخ تمنطيط سماه" القول البسيط في إخبار تمنطيط "الذي أرخ لتاريخ هذه المدينة عبر فتراتها المختلفة.

[1] احمد الطاهري الادرسي،نسيم النفحات،مرجع سابق،ص103.

[2] انظر الفصل الاول من هذه المذكرة،ص28.

[3] بدأ دراسته على يد والده امحمد،قال عن نفسه في كتابه الرحلة في طلب العلم أن أول إفادة استفدتها من أبي كانت لم،حرف جزم فحفظتها ولم أفهم معناها تولى المحكمة الشرعية بالديارالتواتية سنة 1022هـ وابتدأ شرحا على المختصر ولكن توفي وقت صلاة المغرب ليلة الثنين23شوال 1042هـ1622م.انظر عبدالحميد البكري،النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق،ص116.

[4] مسقط رأسه في تمنطيط سنة 1186هـ1772م أخذ العلم عن الشيخ محمد بن العالم الزجلاوي صاحب النوازل حيث درس المنطق والعلوم الشرعية توفي سنة1245هـ1828م. انظر بن سويسي محمد،مرجع سابق،ص54.

[5] عبد الحميد بكري،النبذة،مرجع سابق،ص ص104،107.

[6] بن سويسي محمد،مرجع سابق،ص54.

2- حاضرة ملوكة:

هي إحدى قصور تيمي، تم تأسيسها [1]على يد جماعة من المرابطين نزحوا من المغرب الأقصى واستقروا بادئ الأمر بقصر أدغا[2]، وظهر من هؤلاء المرابطين بروز خمسة إخوة هم : الحاج امحمد، الحاج بلقاسم، الحاج علي، الحاج عبد الرحمن وعبد الله بحم، اشتروا ملوكة التي كانت ملكا لإمرأة تدعى (حدية) بثمن عشرين فرفور[3]، وذلك على يد القاضي الشيخ محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، وكان تأسيسها سنة 1010 هـ، 1601 هـ.

برزت ملوكة كمركز إشعاع علمي وثقافي بداية من القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي [4]، حيث اشتهرت الأسرة البلبالية التي كانت صاحبة القدم الراسخ في العلم اشتهر منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن البلبالي [5]1115(هـ 1703م/ 1244هـ، 1728) الذي كان عالما وقاضيا لتوات (1210هـ، 1795م) حيث أصبحت ملوكة في زمانه مركز للقضاء والعلم في توات بعد تمنطيط مما أكسبها شهرة قصدها الطلاب من جميع الجهات التواتية للتعلم على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن، من بينهم ابنه عبد العزيز البلبالي (ابوفارس) والمأمون بن مبارك البلبالي، وعمر بن مبروك البداوي وإبراهيم بن عبد المؤمن الكنتي، وأحمد بن عبد الرحمن بن المبروك الونقالي[6]، الذي ألف أسفر يعد أحكام قضائية في نوازل عرفت بنوازل الغنية البلبالية[7] و أصلها " غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل ".

---

[1] تقيد حول تأسيس قصر ملوكة بيد الشاري الطيب خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ورقة 04 و انظر :

MARTAIN (A.G.)P.P 85

[2] أدغا : هي كلمة بربرية تعني الحجرة الصماء وهي متاخمة لمدينة أدرار.

[3] وحدة قياس تستعمل لكيل القمح والشعير.

[4] جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 63 . وانظر عليق ريحة، قصر ملوكة، مرجع سابق، ص ص 50، 51.

[5] محمد باي بلعالم،الرحلة العلية، ج1،مرجع سابق،ص 48.

[6] موسوعة تراجم علماء الجزائر (علماء توات)،مرجع سابق،ص ص472-473.

[7] عبد العزيز سيد اعمر،قطف الزهرات،ط2،مرجع سابق،ص127.

3 – حاضرة بودة:[1]

هي عبارة عن قصور تقع غرب مدينة أدرار التي تبعد عنها بسبعة وعشرون كيلومتر، وتقع في مقاطعتين بودة العليا وبودة السفلى وتضم خمسة قصور[2]، اشتهرت بودة كحاضرة علمية بداية من مطلع القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر ميلادي، خاصة بعد تأسيس الزاوية الجعفرية على يد الشيخ محمد بن المبروك البوداوي الجعفري[3] ت 1196هـ- 1781م، الذي تتلمذ على يد الشيخ امحمد بن عبد الله الونقالي، والشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني، حيث عاد إلى مقر إقامته ليتولى التدريس والإشراف على الزاوية فأبدع وألف الكثير من المؤلفات منها كتب في الفقه وقصائد في الشعر، منها 1010 قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، كما ألف مرثية[4] في رثاء شيخه عبد الرحمان بن عمر التنيلاني الذي توفي بمصر ودفن بمقبرة المنوفية، كان من أشهر تلاميذته ابنته نانا عائشة[5] التي كانت عالمة زاهدة عرفت كذلك بقصائدها وأشعارها في حب الرسول صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى هذا العالم وابنته، اشتهر ببودة كذلك العالمان[6]، محمد بن الحاج أحمد البوداوي، والفقيه أحمد بن محمد بن مسعود الغماري البوداوي.

---

[1] ذكرها ابن بطوطة بقوله: "هي أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثيرة ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، انظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ج2، ص ص 210-211.

[2] حوتية محمد، توات والأزواد، مرجع سابق، ج1، ص 32.

[3] عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، مرجع سابق، ط2، ص ص 100-101.

[4] وكان مطلع القصيدة: ألا يا مصر قد ازددت فخرا بحبر حل مقبرة المنوفي

تضلع بالعلوم وكان دهرا يدرسها القريب مع الضيوف

ويقص بالنوازل كل يوم لكشف ما عليها من نصيف

انظر: موسوعة تراجم علماء الجزائر (توات ج2)، ص 502.

[5] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، مرجع سابق، ص ص 416-417.

[6] بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية في توات من خلال نوازل الجنتوري، مجع سابق، ص 124.

4- حاضرة آولف[1]:

تقع في إقليم تيدكلت في نهاية منخفض تادمايت، وتبعد بحوالي ثمانين كيلومتر شمال شرق مدينة رقان[2]، وعن مقر الولاية أدرار بحوالي مئتين وخمسين كيلومتر، وهي عبارة عن مجموعة من القصور والقصبات تأسست في فترات مختلفة، حيث يذكر كورنو(Cornand) في تقريره عن المنطقة، أن قبيلة أولاد من لا يخاف، أسسوا قصرهم خلال القرن الثالث الميلادي[3]، وبنا أولاد أحمد القادمين من وجلان[4] قصر حينون، وتبعهم الشيخ محمد بن أحمد القادم من الخلفي[5] الذي بنى قصر" تقراف"[6]، ليحل أولاد زنان الهلاليون بالمنطقة سنة 1101هـ- 1690م، وشيدوا مجموعة من القصور "كعمنات"، غير أن البعض يرى أن تاريخ تأسيس القصر تم قبل هذا التاريخ بقرون، وأن بها مسجد تم بناؤه سنة 146هـ/781م، كما تدل البقايا الأثرية على أن عمارة المنطقة ووجود الإنسان بها تعود إلى عصور ما قبل التاريخ[7].

وتعتبر حاضرة آولف من أهم الحواضر العلمية في القطر التواتي، حيث تضم أشهر الخزائن والمدارس التعليمية، كزاوية أبي الأنوار التينلاني[8] الذي بناها وتركها لابن بنته مولاي هيبة بن محمد والذي أصبحت تعرف باسمه، كما أنجبت هذه المدينة العديد من العلماء أشهرهم العالم محمد بن أب المزمري ت 1160هـ/1747م، صاحب القدم الراسخ في علم اللغة

---

[1] تختلف الروايات حول أصل التسمية، حيث يرى البعض أنها مشتقة من (الألفة)، باعتبار أن من يسكنها يألفها سريعا، أما البعض الآخر فيرى أنها مشتقة من الكلمة البربرية (أقلف)، بالقاف المعقوفة وتعني خلية النحل، كما تطلق الكلمة على وسط النخلة، وكلاهما تعبيرا عن المكان الجاذب للسكان، أنظر: عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، بدون ذكر لمؤسسة الطبع، الجزائر، 2006، ص ص 19-20.

[2] حوتية محمد، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 53.

[3] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص 65.

[4] وجلان هي إحدى قرى بلدية تساسيت في توات الوسطى تقع شمال عاصمة الولاية أدرار وتبعد عنها بحوالي 67 كلم.

[5] الخلفي، هي إحدى قرى بلدية انزجمير في توات الوسطى، تقع جنوب عاصمة الولاية أدرار وتبعد عنها بحوالي 100 كلم.

[6] كلمة بربرية وتعني المكان الذي تشرب فيه الغنم وتتردد عليه، أنظر محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص 18.

[7] عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة، مرجع سابق، ص 26 وما بعدها.

[8] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص ص 100،35، ح2، ص 181.

والعروض كان مسقط رأسه بقرية أولاد الحاج بآولف، لينتقل بعدها إلى زاوية كنته وتتلمذ على شيخها محمد بن مصطفى الكنتي الرقادي، ليستقر به المقام آخر المطاف في حاضرة تيممون، أين جلس للتدريس والتعليم، توفي بها وقبره مشهور بها. كما أنجبت أولف الشيخ والفقيه علي بن محمد الصالح بن أحمد أبختي[1] توفي 12هـ/18م الذي كان فقيها مدرسا له مدرسة بزاوية حينون.

5- حاضرة عين صالح[2]:

تقع في منطقة تيدكلت، في منحدرات هضبة تادمايت على بعد خمسين كيلومتر شرق بلدة إينغر وثلاثمئة كيلومتر جنوب غرب المنيعة وستمائة وثلاثين كيلومتر من ورجلان وأربعمائة وستين من أدرار وهي عبارة عن اثنا عشر قصر متقاربة فيما بينها أهمها القصر الكبير الذي تسكنه قبيلة أولاد باحمو[3]، اشتهرت عين صالح كحاضرة علمية نتيجة لوقوعها في مفترق طرق القوافل التجارية، وركب الحجيج، حيث وفد عليها الكثير من العلماء أهمهم عبد الرحمان الجنتوري، الذي كان كثير التردد عليها بعد ما تلقى تعليمه الأول بها على علماء إضافة إلى أبيه وعمه السالفي الذكر[4]، كان من بينهم إبراهيم بن أحمد الإنصالحي، وعبد العالي بن أحمد الانصالحي، كما احتضنت هذه الحاضرة العديد من العلماء ساهموا في رفع لواء العلم على غرار الفقيه إبراهيم، ومحمد بن بلحاج، إضافة إلى أعلام أولاد أبي القاسم وأولاد الحاج، الذين كانت لهم علاقات وطيدة بأعلام الأسرة التنيلانية تجسدت في مواسم عبور ركب الحجيج[5]...

---

[1] جعفري مبارك، مرجع سابق ص 67

[2] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، مرجع سابق، ص 18.

[3] حوتية محمد، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 36.

[4] سنتعرض لها بالتفصيل في حاضرة" أجنتور" من هذا الفصل.

[5] بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص ص 121-122.

6- حاضرة تيممون:

تقع شمال ولاية أدرار وتبعد عنها، بحوالي مائتين وعشرون كيلومتر وتظهر في الضفة الجنوبية لسبخة تيميمون وهي أهم مجموعة قصور تيجورارين التي تتكون من أربعة وعشرين قصر متقاربة فيما بينها، أهمها الحاج قلمان، و أولاد سعيد، قوبة، شكلت في الماضي حاضرة تجارية حيث كانت تنطلق منها المسالك التجارية لكل من المنيعة وتبلكوزة شمالا وتيدكلت وتوات الوسطى جنوبا[1]، عرفت في أقدم المصادر التاريخية والجغرافية باسم تينكورارين أو تينجورارين أو قورارة وهو الاسم الشائع عليها الآن ثم أطلقت على جميع المنطقة الشمالية من توات الكبرى.

تعود عمارة تيممون إلى أزمنة لم تحددها المصادر التاريخية بالضبط لكن بعض الروايات تشير إلى أن اسم تيممون[2]، يعود لأخوين كان يسكنان نواحي وادي الساورة فقدموا إلى توات، كان أحدهما ميمون نزل بقوبة بالقرب من تيممون.

وكانت تسكن المنطقة قبائل من زناتة والعرب وبعض اليهود، فأقام له أهل قورارة رقصة شعبية مشهورة تسمى (أهليل) وبقي ميمون مع تلك القبائل إلى غاية مجيء العالم موسى بن مسعود ت 920هـ-1514م إلى المنطقة فاستقبلته القبائل ومنها (أولاد داوود، وأولاد حمو الزين، وأولاد الذهبي) ودعاهم الشيخ بن مسعود للتوحيد وتكوين حصن منيع في وجه الغزاة، حيث التقى أثناءها بالشيخ ميمون ووعده بأن تكون هذه المدينة تحمل اسمه، ومن ذلك الحين توحدت تلك القبائل وأقيمت في المكان سوق عامرة موازية لسوق اليهود ومزدهرة حملت اسم ميمون، وأصبحت عاصمة لمنطقة تينجورارين[3]، وإذا ما صحت هذه الرواية فإن عمارتها كانت في القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري[4].

---

[1] حوتية محمد، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 30.

[2] جعفري مبارك، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص 52.

[3] الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، من القرن 11هـ إلى القرن 14 هـ، ط1، الجزائر، 2003، ص 60.

[4] جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 52.

ومع ازدهار الحركة التجارية بها ازداد عمرانها وانعكست هذه الحركة على أوجه الحياة الأخرى منها الجانب العلمي والثقافي، الذي شهدت نهضته علمية برزت من خلالها كمركز علمي للمنطقة الشمالية لتوات، حيث زارها العديد من العلماء منهم الشيخ عمر بن الصالح الأوكروتي الجراري ت قبل 998هـ-1589م، والشيخ محمد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي الجراري ت 1017هـ-1608م، الذي عينه المنصور قاضيا على الصحراء[1]، ولم يمنعه ذلك من التدريس والإرشاد، والشيخ أبو محمد دفين تبلكوزة ت1035هـ-1625م والشيخ عبد الله الجوزي بأولاد سعيد ت1035هـ-1625م.

أما خلال القرن الثاني عشر الهجري برز بتنجورارين العالم الجليل محمد بن أب المزمري الذي حل بها مدرسا ومفتيا، يؤلف الكتب إلى أن توفي بها سنة 1160هـ-1447م، بالإضافة إلى العالم الجليل[2] محمد بن عبد الله والعالم أبو فارس محمد عبد العزيز ابن سيد الحاج الذي كانت داره مجمعا للطلبة والسائلين وكل من إلى العلم، والعالم الشهير بلقاسم بن الحسين بن عمر الأوسيفي[3]، الذي كان شاعر له قصيدة في التوحيد، وقصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وله كتاب سماه منهاج السالكين، بالزاوية المشهورة بزاوية الحاج بلقاسم[4].

[1] الفشتالي، مناهل الصفا، مصدر سابق، ص 73.

[2] بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 124.

[3] عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ط2، مرجع سابق، ص ص 145-146-148.

[4] موسوعة تراجم علماء الجزائر، ج2، علماء توات، مرجع سابق، ص 592.

7- حاضرة أجنتور[1]:

وهي إحدى قصور "حيحة" في إقليم تينجورارين التي تقع على الضفة الشمالية لسبخة تيممون، تبعد عن مدينة تيممون بحوالي سبعين كيلومتر، وعن مقر ولاية أدرار بحوالي مئتين وتسعين كيلومتر.

أسست بها المدرسة الشهيرة وذلك ابتداء من القرن 08هـ- 14م[2] على يد الشيخ الحاج لحسن الشريف، الذي عمل على استقطاب العلماء وخلفه أبناؤه وأحفاده الذين عملوا على تدعيمها بخيرة العلماء مثل الشيخ عبد الرحمان الجنتوري[3]1160هـ-1747م الذي فاقت شهرته الآفاق حيث انتهت إليه الرياسة العلمية في الديار التواتية، كان عالما جامعا للعلوم الشرعية والعقلية واللغوية تتلمذ على يد شيوخ منهم والده إبراهيم وعمه الفقيه عبد العلي بن عبد الرحمان الذي لازمه مدة من الزمن في حاضرة عين صالح التي رحلت إليها عائلته[4].

نزل الشيخ الجنتوري مدرسا ومفتيا ما بقي له من العمر بحاضرة أجنتور التي اشتهرت وذاع صيبتها بفضله، حيث قصدها الطلاب من جميع الأنحاء التواتية وحتى من خارجها، فتتلمذ على يديه ثلة من العلماء كان لهم الفضل في حمل مشعل العلم من بعده أهمهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري الذي جمع نوازله، ومحمد عبد الجبار بن أحمد التنكراسي إضافة إلى الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني صاحب الفهرسة.

تصدر الشيخ الجنتوري للإفتاء والتأليف فكانت له عدة مؤلفات أهمها نوازله التي تعد أول نوازل ألفت في القطر التواتي، بالإضافة إلى حاشيته في الفقه على مختصر الزرقاني وتشرح مختصر خليل الذي اقتصر فيه على إسناد المسائل لأصولها، كما له فتاوى جمعت في الفنية

---

[1] حوتية محمد، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 30.

[2] أحمد أبا الصافي جعفري، ابن أب المزمري، مرجع سابق، ص 47.

[3] بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري، مرجع سابق، ص ص 53-54.

[4] الحاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ص 66، وأنظر: محمد باي بلعالم الرحلة العلية، ج1، ص ص 132-158.

البلبالية وله منظومة في اللغة تسمى منظومة الغريم[1] هذا وبفضل هذا العالم ومدرسة اجنتور أسهمت هذه الحاضرة في نشر اللغة العربية وآدابها في منطقة يغلب على ساكنتها الحديث باللهجة الزناتية الأمازيغية، وفي تكوين طبقة جديدة من المتعلمين تجاوزت بما حوت صدورها من معارف حدود الثقافة الزناتية الأمازيغية المحلية.[2]

8- حاضرة أوقروت:

وهي من حواضر إقليم تنجورارين، ذكرها الرحالة العياشي (1090هـ 1676 م) باسم أوكروت، ووصفها بكثرة نخيلها محددا انتمائها " ... وهي قرى كثيرة، ذات نخيل جم، وهي معدودة من بلاد تجورارين.[3]"تبعد عن مدينة تيميمون بسبعين كيلومتر جنوبا وعن عاصمة إقليم توات الوسطى مائة وعشرون كيلومتر، كانت في القرن الحادي عشر هجري مركزا من مراكز العلم . التقى فيها العياشي بالعالم محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر الأوقروتي، وتناقش معه في عدة مسائل تخص أحكام فقهية يقول العياشي عندما يتحدث عن أوقروت "...بها رجل اسمه سيدي محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر وهو غالب الظن من أهل الخير له بعض الخبرة بفروع الفقه[4]".

كما كانت بهذه الحاضرة زاوية علمية لرجل اسمه عبد الله بن طمطم الاوقروتي[5] الذي ذكره العياشي لما زار قرى الدغامشة القريبة من أوقروت فقال" ... ونزلنا بقرى الدغامشة قرب

---

[1] موسوعة تراجم علماء الجزائر، ج2، تراجم علماء توات، مرجع سابق، ص ص 620-621.

[2] رشيد بليل، قصور قورارة، مرجع سابق، ص 29.

[3] أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج 1، مصدر سابق، ص 81.

[4] نفس المصدر ص ص، 80-81

[5] عبد الله بن طمطم الدغامشي :كانت له زاوية مشهورة من أهل اخبر والدين، يطعم الواردين عليه في بلاد، كاد أن يكون الطعام فيها دواء، مما تواترت به الأخبار عنه، أنه كان لا يترك أحدا من الظلمة يأكل من طعامه، اشتهر بقوته وعلمه،كان له حال مع الله عز وجل . انظر : محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 4، مرجع سابق، ص ص 1747 – 1748.

زاوية سيدي عبد الله بن طمطم"[1] كانت هذه الزاوية مركز إشعاع علمي يقصدها الطلاب من جميع النواحي.

وقد عرفت أوقروت في طيلة القرن الحادي عشر الهجري بعدة شخصيات آثروا الحياة العلمية، وكان لهم صيت وباع علمي كبير نذكر منهم عمر بن صالح الوجروتي ت 1008هـ1599م الذي تتلمذ على يديه جملة من كبار العلماء والفقهاء المغاربة بالإضافة إلى العالم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجوراري ت 1064هـ - 1654م الذي خلف كثير من يحمل لواء العلم بالمنطقة .[2]

والعالم علي النحوي[3]، الذي تتلمذ في الزاوية البكرية، في تمنطيط، على يد الشيخ عبد الكريم بن محمد البكري، وأجازه في عدة أسانيد، في الحديث والفقه، كما درس على يد الشيخ أحمد بن عيسى الاوقروتي والشيخ عبد الرحمان التزلاعتي، الاوقروتي، رحل لأداء فريضة الحج، فمر بمصر، حيث أجازه الامام الخرشي، توفي بعد عودته من الحج في منطقة التوارق في الصحراء الشرقية.

[1] أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج 1، مصدر سابق، ص 80.

[2] بهلول هشام، الجنـوب الجزائـري في أدب الـرحلة رحلة أبي سالم العياشي أنموذجا(1072-1074هـ/1661-1663م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 20012- 2013، ص 140.

[3] بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي، مرجع سابق، ص ص 50- 57.

ثانيا: في بلاد الساحل الأفريقي:

قامت ببلاد الساحل الإفريقي مراكز تجارية، ما لبثت أن تحولت إلى حواضر علمية نتيجة للنهضة التي شهدتها المنطقة، و ازدهار القوافل التجارية مما أسهم في ضهور حواضر صحراوية جديدة، وإحياء أخرى قديمة منها ما يلي

1 – حاضرة تنبكتو:

تعتبر هذه المدينة من أهم مدن بلاد الساحل الإفريقي على الإطلاق، تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى عند منحى نهر النيجر الذي يبعد عنها باثني عشرة ميلا[1]، وهي همزة وصل بين بلاد الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى

كان تأسيسها على يد جماعة من الطوارق تدعى مغشرن[2] عام490 هـ1096 م وذلك بعد اضمحلال مملكة غانة حيث كانوا من البدو الرحل ينزلون بها في شهور الصيف ويرتحلون في الخريف بعد أن يستأمنوا متاعهم ومؤنهم عند امرأة عجوز تدعى "بكتو "فأصبح الرجل الطارقي يسال أين خبأ أمتعته فيقول وضعتها عند "تين" ومعناها المكان في لغة مغشرن و بكتو اسم العجوز أي في مكان العجوز" بكتو [3]" و مع مرور الزمن اندمجت الكلمتان معا فأصبحت" تينبكتو"، ثم خفف فاصبح تنبكتوا و تمبكتو و هو الاسم الشائع الذي صار يطلق على هذه البلدة فيما بعد

أخذ الناس يسكنون هذا المكان ويزداد عددهم وعمائرهم حتى صار سوقا للتجارة يلتقي فيه البائع والمشتري من أهل المناطق المجاورة[4] خاصة بعد ضعف مدينة ولاتة" بير "كما يسميها السعدي وذلك بسبب غزو ملوك مالي عليها، حيث كان بها سوقا كبير يقصده التجار من

[1] حسن الوزان،وصف افريقيا،مصدر سابق،ج1،ص165.

[2] السعدي،تاريخ السودان،مصدر سابق،ص ص20-21.

[3] علي محمد عبد اللطيف،تمبكتو أسطورة التاريخ،مرجع سابق،ص ص85-86.وأنظر عبد القادر زبادية،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين،مرجع سابق،ص100.

[4] مهدي رزق الله أحمد،حركة التجارة والإسلام،مرجع سابق،ص302.

جميع الأقطار يقول السعدي[1]:" كان التسوق من قبل في بلد بير واليها يرد الرحالة من الأفاق ...ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا...فكانت عمارة تنبكت خراب بير".

وهكذا قامت مدينة تنبكتو كمدينة إسلامية تعاظمت تجارتها وازدهر عمرانها قبل أن تصبح في وقت لاحق منارة علمية ودينية يقول السعدي[2]:" ... ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، كانت مأوى العلماء والعابدين و مألف الزاهدين و الأولياء، وملتقى الفلك و السيار فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم إلى أن صارت مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم ويأتيها الناس من كل جهة ومكان وقد صار سوقا للتجارة".

وما إن جاء القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي حتى تحولت تجارة المنطقة كلها إليها وقصدها العلماء والتجار، لتشهد ازدهارا كبير في ظل مملكة مالي خاصة في عهد سلطانها منسي موسى[3] وحجته المشهورة التي اصطحب فيها معه العديد من رجال الثقافة والعلم من الحجاز ومصر وبلاد المغرب، وآلاف المخطوطات والكتب الإسلامية التي قدمها كهدايا للعلماء، كما اصطحب معه المهندس الغرناطي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الذي قام ببناء جامع جنغري بير ومعناه الجامع الكبير، كما بنى القصر الضخم الذي سمي بالمادوغو "القصر الكبير"[4] بالإضافة إلى جامع سنكري الذي بنته سيدة فاضلة من قبيلة الأغلال[5]

هذا وقد شهدت تنبكتو في هذه الفترة حركة علمية نشطة ضاهت بها كبرى الحواضر العلمية آنذاك كمصر والقيروان وفاس والأندلس، وما أدل على ذلك ما ذكره السعدي[6] بأن رجل من الحجاز يسمى عبد الرحمان الشيمي، جاء بصحبة السلطان موسى فأقام بتنبكتو زمنا

---

[1] السعدي،مصدر سابق،ص21.

[2] المصدر نفسه،ص21.

[3] بوبكر إسماعيل ميغا،الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي،مرجع سابق،ص54.

[4] علي محمد عبد اللطيف،تمبكتو أسطورة التاريخ،مرجع سابق، ص88.

[5] السعدي،تاريخ السودان،مصدر سابق،ص ص61-62.

[6] المصدر نفسه،ص46.

طويلا، ولما رأى رجالها يتفوقون عليه غادرها إلى فاس، ليستمر هذا الازدهار إلى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

في عهد مملكة سنغاي وملكها محمد اسكيا وابنه داوود اين بلغت تنبكتو ذروة مجدها وعطائها العلمي نظرا لما اشتهر به السلطان محمد اسكيا وابنه داوود من حبهما للعلماء وتقريبهم، وتوسعتهم للمساجد وبناء مساجد أخرى كمسجد يحي التادلسي[1] الذي بني تخليدا لاسم هذا العالم الذي كان احد رموز العلم بها، وجامع سنكري[2] الذي تطورت طبيعة التعليم فيه ووسع الى جامعة أدخلت فيها مناهج جديدة وعلوم أخرى إلى جانب علوم القران والحديث أصبح يدرس فيها السير والتاريخ والمنطق والفلسفة.

بالإضافة إلى ظهور نظام الكتاتيب بعد ما كان التعليم محصور في المساجد ولجميع الفئات صغارا وكبارا، اصبحت هذه الكتاتيب لتعليم الصغار فقط وقد ارتفع عددها إلى مئة وخمسون كتاب لتعليم الصبيان[3] وبالتالي ظهر ما يعرف بنظام التخصص في التعليم والفصل في مراحله.

وقد تنامت غزارة علوم ومعارف علماء تنبكتو الذين نشطوا في تدريس المخطوطات المتضمنة شتى العلوم خاصة العلوم الإسلامية والتاريخية التي دونت لتاريخ المنطقة وما مر عليها من حقب ودول[4].

كما اتخذت خزائن لهذه الكتب رفت في مكتبات انتشرت في تنبكتو بكثرة، سواء تلك المكتبات الخاصة التي تملكها اسر مثل أسرة ال اقيت أو مكتبات عامة كتلك التي انشاها السلطان اسكيا داوود بعد ما أمر نساخ بنسخ كتب ومخطوطات[5].

---

[1] للمزيد انظر الفصل الثاني من هذا البحث.

[2] للمزيد انظر الفصل الثاني من هذا البحث.

[3] علي محمد عبد اللطيف،مرجع سابق،ص114.

[4] مهدي رزق الله أحمد،حركة التجارة،مرجع سابق،ص307.

[5] أبوبكر اسماعيل ميغا، الحركة العلمية،مرجع سابق،ص ص57-58.

ونتيجة لهذه الحركة العلمية فقد اصبحت الكتب والمخطوطات من السلع التي تباع في اسواق تنبكتو وبأثمان باهضة وهذا دليل على عظم الإقبال والتلهف لاقتناء الكتب ودليل على المكانة العلمية التي بلغتها هذه المدينة[1] لتشتهر بعلماء منها كان لهم الاثر في تنشيط هذه الحركة العلمية مثل احمد بابا التنبكتي، وعبد الرحمان السعدي، ومحمود كعت .

2- حاضرة جني[2]:

هي من المراكز العلمية والتجارية في بلاد الساحل الإفريقي الى جانب غاو و تنبكتو التي تبعد عنه بستمائة كيلومتر إلى الجنوب الغربي عند احد روافد نهر النيجر [3]، ويوجد اختلاف في تاريخ تأسيسها، إلا أن السعدي يورد أنها أسست في القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي[4]، حيث تعتبر ثالث مدينة من حيث الأهمية التجارية بعد كل من تنبكتو وغاو، دخلها الإسلام في اواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي زمن دولة المرابطين، لينتشر فيها في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي بعد إسلام ملكها كنبر الذي جمع العلماء واسلم على يديهم، وطلب من رعيته الذين لم يسلموا بعد أن يدخلوا في الإسلام، وهدم قصره وبنى عليه مسجدا جامع [5] .

---

[1] مهدي رزق الله أحمد،حركة التجارة،مرجع سابق،ص309.

[2] جيني : يذكر المؤرخين آراء مختلفة حول الكلمة وأصلها، فهوجين يرى ثلاثة آراء للكلمة، فالأول يقول أن جين هو أصل الكلمة غينيا(GUINEA) والثاني يقول ان غينيا مشتقة من غانا (GANA) وهو ميناء قديم على ضفاف نهر النيجر شمال مدينة فاوكادوس، والرأي الثالث يقول بأن غينيا هي غانا، ويرجح هوجين الرأي الأول بينما يرى المؤرخ الفرنسي موني ريمون، (R.MANUY) يقول أن الأصح أن تقول ديني ويلاحظ أنه يستعملها بهذه الصيغة اللفظية ولا نعلم مصدره في ذكر اللفظ بهذه الصورة لأن أه لمصادر تاريخ هذه المدينة مثل السعدي والفتاش وأحمد بابا في نيل الابتهاج تذكر الاسم بجيني : أنظر مهدي رزق الله أحمد حركة التجارة والإسلام في غرب إفريقيا مرجع سابق ص 361.

[3] الهادي مبروك الدالي،التاريخ السياسي،مرجع سابق،ص 306.

[4] السعدي، تاريخ السودان،مصدر سابق، ص 12

[5] أحمد شلبي، المرجع السابق، ج 6، ص102،وأنظر عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 403-515 هـ-1038-1121م دار الغرب، ط1، 1988، ص200.

ويذكر السعدي[1] إن هذا الملك عندما اسلم طلب من العلماء إن يدعو الله لجني بثلاث دعوات وهي " كل من هرب إليها وطنه ضيقا عسرا، إن يبدلها الله سعة ويسرا حتى ينسى وطنه، وان يعمرها الله بغير أهلها، وان يسلب الصبر من واردها حتى يملوا فيبيعون ما معهم بناقص الثمن فيربحون فيها، فقرؤوا الفاتحة على هذه الدعوات." كما يصف ابن بطوطة [2] الذي زار المنطقة حماسة أهل جني في أداء العبادات ودراسة القران.

ووصفه ليوم الجمعة ومكانته عند أهلها بأنه يوم عظيم في العبادة، إذ لم يسرع الإنسان إلى المسجد فإنه لن يجد مكان يصلي فيه من كثرة الزحام، وهذا إن دل على شيء إنما على روح الدين الإسلامي عند أهل جني التي تكاثرت وعظم عمرانها وأصبحت من المدن المكتظة بالسكان نظرا لمكانتها التجارية والصبغة الإسلامية التي اصطبغت بها.

كما عرفت جني حكم دولة مالي أيام ملكهم ماي جاطا ت 653هـ 1255م، الذي سيطر على المدينة وأصبحت تحت حكمه رغم مقاومة أهلها له، فحولها الى سوق كبير لقبائل الولوف والفلان تباع فيه القماش [3]، وانتدب حكمها لحكام محليين تابعين لإدارته، إلى أن سيطر عليها سني علي[4] 885هـ 1480م احد ملوك دولة سنغاي بعدما حاصرها واجبر أهلها على الدخول في طاعته ومن ثم الولاء لمملكة سنغاي الى أن أسقطها الغزو المغربي سنة 1005هـ 1596م وأصبحت تابعة لحكمه شانها شان بقية أجزاء مملكة سنغاي .

ازدهرت الحياة العلمية والثقافية في مدينة جني في عهد مملكة سنغاي خاصة في أيام حكم الاساكي محمد وبنيه من بعده حيث أصبحت مركزا إسلاميا وثقافيا مباركا [5]، أقبل عليها العلماء من قبائل وبلاد شتى ذكر السعدي [6] عدد كبير منهم العالم" مورمغ كنكن"

---

[1] السعدي،مصدر سابق،ص 13.

[2] ابن بطوطة، مصدر سابق،ص ص 421 – 422 .

[3] –عبد الرحمن زكي الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا،مرجع سابق، ص154

[4] عبد الرحمن زكي، المرجع نفسه،ص155.

[5] – أبو بكر إسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي،مرجع سابق،ص 223

[6] السعدي، مرجع سابق ص 16.

الذي جاءها من بلاد كابر، الذي اشتهر بعلمه وغزارته توافد عليه عدد كبير من طلبة العلم للإفادة منه، كان نشيطا في أداء رسالته يخرج من داره في منتصف الليل إلى مقر إلقاء دروسه في المسجد الجامع بجني ويجلس الطلبة حوله يتلقون الدروس حتى إقامة الفجر ثم يعودون إليه بعد الصلاة ليستمر معهم إلى الزوال ،ثم يعود إلى داره لأخذ قسطا من الراحة ليعود إلى حلقة الدرس بعد صلاة الظهر ويجلس إلى العصر .

كما جاء إلى جني العالم محمد سانو الونكري [1] قي أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي كان فقيها عابدا صالحا قدمه الاسكيا محمد في منصب قاضي جني الذي يعتبر أول من اشتغل هذا المنصب بها إذ كان يقضى من قبل بين المتخاصمين إلا بالصلح عند الخطيب .

كما اشتغل عدد من العلماء هذا المنصب منهم الفقيه العباس بن كب الو نكري [2] 959هـ 1551م ،بالإضافة إلى القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ والد العالمين محمد بغيغ واحمد بغيغ واصله ونكري كان له وأولاده دورا كبيرا في تاريخ القضاء والعلم في مدينة جني [3]. ويلاحظ إن الوجود الونكري كان كبير في جني إذ ساهم مساهمة فعالة في الحياة العلمية والثقافية كما كان لهم دور بارز في نشر الاسلام في بلاد الهوسا .

أما من ناحية المدارس التعليمية فقد عرفت جني مثلها مثل تنبكتو وجود مدارس ومعاهد لتدريس القرآن ومبادئ الدين منفصلة عن المساجد وصل عددها الى خمسة عشر مدرسة، إلى جانب المسجد الذي بناه الملك كنبر [4].

---

[1] الو نكري نسبة إلى ونكر :أنظر المصدر السابق، ص 16

[2] تولى القضاء بعد محمد سانو والسالف الذكر،أنظر مهدي رزق الله أحمد، مرجع سابق، ص 375

[3] السعدي مصدر سابق ، ص 35، وانظر عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، مرجع سابق، ص 102.

[4] أبو بكر إسماعيل ميقا، مرجع سابق، ص 223، وانظر عبد الله سالم يازينة، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء،مرجع سابق،ص 146.

3- حاضرة غاو:

تقع غاو إلى الشمال الشرقي من باماكو عاصمة مالي الحالية، عند منحى نهر النيجر [1]، تبعد عن مدينة تنبكتو بحوالي أربعة مئة ميل إلى الجهة الجنوبية الشرقية [2]، عرفت في المصادر العربية بأسماء عديدة منها كوكو[3]، كاغ [4]، كاغو [5]، تأسست المدينة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي على يد جماعة من بربر شمال إفريقيا استوطنتها [6].

دخل الإسلام المدينة مبكرا عن طريق القوافل التجارية الرابطة بينها وبين شمال إفريقيا، ومصر[7]، لتعرف تطورا وازدهارا مع مرور الوقت خاصة في عهد سلطان مالي منسي موسى الذي بنى فيها مسجدا جامعا سنة 725هـ 1325م، بعد عودته من رحلته الحجية المشهورة ليستمر هذا المسجد في العطاء والازدهار إلى أن صار جامعة إسلامية يؤمها العلماء والطلاب من كل مكان، مما أدى إلى اتساع عمرانها، حيث وصفها ابن بطوطة [8] الذي زارها سنة 754هـ 1353م بأنها من المدن الكبرى في بلاد الساحل الإفريقي وإنها ذات مكانة علمية وثقافية كبيرة .

كما بلغت أوج مجدها وعطائها العلمي على عهد حكم دولة سنغاي التي اتخذتها مقرا لحكمها وسلطانها خاصة في أيام حكم أسرة الاساكي [9]، التي عملت على ازدهارها واستقطاب العلماء مثل الشيخ بن عبد الكريم المغيلي الذي جاءها من توات سنة 903هـ

---

[1] الهادي الدالي،مرجع سابق، ص 309.

[2] الحسن الوازن، مصدر سابق، ج2، ص 169.

[3] ذكرها كل من ابن بطوطة و الإداريين، والمقريزي .

[4] ذكرها كل من السعدي، وكعت صاحب الفتاش.

[5] الحسن الوازن،وصف إفريقيا مصدر سابق، ص 169.

[6] يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا،مرجع سابق،ص 109.

[7] أبوبكر إسماعيل ميقا، مرجع سابق،ص 48.

[8] ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ص 405.404.

[9] يحي بو عزيز، مرجع سابق، ص190

1498م، وبقي بها لمدة سنة عمل على نشر الفكر والتربية الإسلامية بين شعبها [1]، كما أفاد سلطانها محمد اسكيا بإجابة كان قد وجهها له على شكل أسئلة في جوانب عدة في السياسة والمجالات الاجتماعية والدينية عرفت بأسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي [2] .

كما زار غاو علماء من تنبكتو أمثال أبو المحاسن محمود بن عمر وكان عالما متفننا في علوم شتى بالإضافة الى علماء من مصر، وفاس، وتلمسان، لتستمر غاو كإحدى كبريات المراكز العلمية في بلاد الساحل الإفريقي إلى جانب تنبكتو وجني طيلة القرنين التاسع والعاشر الهجري الخامس عشر والسادس عشر ميلادي [3] إلى أن سقطت دولة سنغاي على اثر الغزو المغربي واستبدالها بحكم الباشوات المغاربة في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي.

4- حاضرة كانو [4]:

تعتبر من أهم مدن الهوسا تقع على بعد خمسمائة ميل شرق النيجر [5]، يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، عرفت الإسلام ابتداء من القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي عندما هاجر إليها وفد من قبائل الونغاراة [6] القادمة منه دولة مالي بزعامة فقيه يدعى عبد الرحمان زيتى زمن ملكهم الحادي عشر ياحي 750هـ 787هـ 1349م 1385م [7]، حيث تشير المصادر أن الوفد الونغاري كان يضم حوالي ثلاثة الآلاف وستمئة وستة وثلاثين شخصا ما بين عالم وقارئ، ومن هنا يمكننا تقدير مدى الأثر الذي تركه

---

[1] ابوبكر إسماعيل ميقا، مرجع سابق ، ص50.

[2] للإطلاع على محتوى هذه الأسئلة أجوبتها أنظر، زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في افريقيا جنوب الصحراء دراسات ونصوص، مرجع سابق، ص ص 160الى191.

[3] نعيم قداح، حضارة الاسلام وحضارة أوربا في افريقيا الغربي، مرجع سابق ،ص 157.

[4] أشار إليها محمد بللو باسم كنو عندما تكلم على بلاد الهوسا وبعض أجزاءها. أنظر إنفاق الميسور،ص ص ص،169،87،67،47.

[5] حسن الوزان ج2، ص،173.

[6] نسبة إلى ونغارة : وهو المكان الذي أشتهر بكثرة الذهب وجودته منذ الأزمان القديمة،وهو مكان قرب نهر السينغال كان تحت مملكة مالي الإسلامية عندما حل الوفد الونغاري إلى كانو أنظر أ.ي. بوفيل، المملك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب ترجمة زاهر رياض، القاهرة 1968،ص67،أنظر مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق، ص391.

[7] عثمان برايماباري، جذور الحضارة الإسلامية،مرجع سابق ص90.

هذا الوفد من إنشاء للخلاوي القرانية والحوزات العلمية التي كانت اللبنات الأساسية للتبادل العلمي بين بلاد الهوسة وتنبكتو وجني وحتى بعض المراكز الأخرى [1] .

وفي عهد السلطان يعقوب بن عبد الله يورجا 856هـ 867هـ 1452م 1463م، شهدت هجرات الجماعات من قبائل الفلان، التي دخلت المدينة وباقي مدن الهوسا ومعها كتب التوحيد واللغة العربية، بعدما كان في السابق الاقتصار على كتب الفقه والحديث، كما ظهرت كتب في باقي فروع الدراسات الإسلامية الأخرى خاصة بعدما مكث بعض علماء الفلاني في البلاد كمرشدين ومعلمين [2].

وبعد وفاة السلطان يعقوب ومجيء ابنه محمد رامفا [3] 867هـ 904هـ 1463م 1499م، الذي اعتبر الإسلام دينا رسميا للدولة خاصة بعد زيارة الشيخ المغيلي للمنطقة، وقيامه بعدة نشاطات في الوعظ ونشر المعرفة والمشاركة فقي الشؤون الإدارية للدولة، مما أدى بالملك محمد رمفا بتعينه مستشارا سياسيا له [4].

كما كان للشيخ عبد الرحمان السيوطي 849هـ 911هـ 1445م 1505م زيارة الى هذه المنطقة قام بمعية الشيخ المغيلي ببناء مسجد جامع لأداء صلاة الجماعة ويكون مركزا ومعهدا للدراسات الإسلامية درس فيه علماء أمثال مخلوف بن علي بن صالح البلبالي [5] الذي عرف بحفظه لصحيح البخاري على ظهر قلب وبغزارة علمه .

وفي عهد السلطان محمد كسيوكي 914هـ972هـ 1509م 1565م جاء إلى كانو وفد من العلماء منهم شيخ تونس عبد السلام الذي جاء بكتاب الشفاء للقاضي

---

[1] أحمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق ص33.

[2] مهدي رزق الله أحمد،حركة التجارة و الاسلام مرجع سابق،ص395.

[5] أحمد بابا التنبكتي،نيل الابتهاج ج2،مصدر سابق ص265

[4] خالدي مسعود،الجاليات العربية و البربرية في إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي)بين القرنين الخامس والعاشر الهجري الحادي عشر والسادس عشر ميلادي،أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة 2008-2009ص 368.

[5] السعدي، تاريخ السودان،مصدر سابق ص 39

عياض ومدونة سحنون، كما جاء من برنو بعض المعلمين أمثال الشيخ كرسكي والشيخ مغموي والشيخ كابي وهم إخوة اشتغلوا في التدريس والقضاء في مدينة "كانو" التي أصبحت مركزا من مراكز التعليم[1]، يقصدها الطلاب والعلماء للاستزادة فقد جاء من العلماء الوافدين إليها عالم من برنو يدعى توبي جاء لتلقي العلم على يد الشيخ تونس عبد السلام وأصبح من تلامذته الكبار في كانو.

وقد أدت هذه الحركة العلمية إلى ازدياد المساجد والمراكز التعليمية في البلاد خاصة بعدما طلب الشيخ عبد السلام من السلطان كيسوكي أن يبني مسجدا جامعا فوافق على ذالك وهذا دليل على احترام السلاطين للعلماء الذين كان لهم اثر في نفوس هؤلاء السلاطين ،كما كان هناك من الأمراء من أثر حياة العلم والدراسة على تولي السلطة .

وهذا ما حصل مع السلطان ياكوفو بن كيسوكي 972هـ 973هـ 1565م الذي تخلى عن السلطة وعاش بين العلماء [2]، الذين ازداد عددهم، خاصة من مناطق أخرى كبلاد المغرب، التي جاء منها الشيخ ابو بكر المغربي، كان صاحب قدم راسخ في العلم قربه السلطان أبو بكر كادي ابن رمفا 973هـ 980هـ 1565م 1573م حيث كان يقرا عليه الشفاء للقاضي عياض وجعل أبناؤه يتعلمون عليه القران ويحرص على مداومتهم على القراءة والصلوات الخمس.

كما بنى مدرسة شهيرة لتعليم القرآن تسمى غورون بوغاشي [3]، والتي استمرت في العطاء والتحصيل العلمي حتى بعد وفاة السلطان أبو بكر ليأتي السلطان باو بن محمد كوكونا 1070هـ 1081هـ 1660م 1670م، بنى مدرسة أخرى عرفت بمدرسة بوغاشي كسكي[4].

[1] مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق ص 397

[2] المرجع نفسه، ص398.

[3] المرجع نفسه، ص 399.

[4] المرجع نفسه، ص 400

وعُرف كذلك بحبه للعلم وتكريمه للعلماء، حيث كرَّم احد العلماء الوافدين الى كانو مثل الشيخ عبد الله الذي بنى له دار بالقرب منه، استمر هذا العطاء ورعاية العلماء الى عهد السلطان ياجي بن دادي 1166هـ 1182هـ 1752م 1768م الذي اهتم هو كذلك بالعلم والعلماء، وكان يحضر حلقات العلم بنفسه حتى صار فقيها عالما [1]محبا للعلماء، لقبته زوجته بالمعلم لافيا [2] مما رأته من حبه للعلم واحترامه للعلماء، لتستمر هذه النهضة العلمية في "كانو" إلى أن دخلت في صراع مع جارتها مملكة كاتسينا.

5- حاضرة كاتسينا : [3]

وتعد المدينة الثانية بعد كانو في بلاد الهوسا، و تقع الى الجهة الشرقية منها [4]، يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، دخلها الإسلام ابتداء من القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، عندما أسلم سلطانها محمد كوارو [5] 720هـ 753هـ 1320م 1352م على يد قبائل الونغارة المهاجرة من دولة مالي، شأنها في ذالك شأن جارتها إمارة كانو .

لتنطلق بها الدعوة الإسلامية وتأخذ مكانتها بين المراكز الإسلامية الهامة في بلاد الساحل الإفريقي، على العموم وبلاد الهوسا خصوصا، وذلك ابتداء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي[6]، أين قدم إليها عدد من العلماء هاجرو من تنبكتو وبلاد المغرب وتوات ومصر منهم الشيخ المغيلي الذي ظل بها مدرسا وموجها الى طريق الحق، وعبد الرحمان السيوطي الذي اقام بها زمنا يعلم الناس العلوم الإسلامية وجه خلالها رسالة الى السلطان

---

[1] أحمد كاني الجهاد، الإسلامي، مرجع سابق ص24،. وانظر يحي بوعزيز تاريخ إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 137

[2] مهدي ر، رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص401

[3] جاءت بعدة ألفاظ منها كاتسينا عند الحسن الوزان وصف إفريقيا ج2 ص 173، وكاشنة عند محمد بللو، إنفاق الميسور، ص ص 67-73، وكشن، عند السعدي في تاريخ السودان، ص 39، وكشنة عند الآلوري صاحب موجز تاريخ نيجيريا، ص 79 .

[4] الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، مرجع سابق ص 121

[5] عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية، مرجع سابق ص 91

[6] عبد الرحمان زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا مرجع سابق،ص ص 155 156

إبراهيم ياجي ينصحه فيها ليحذو حذو الشيخ المغيلي الذي كان له دور في توجيه السياسة العامة لهذه الإمارة وباقي إمارات الهوسا وذالك من خلال كتابه نصيحة الملوك .

كما زار كاتسينا العالم عمر بن محمد بن عتيق جد احمد بابا التينبكتي[1] الذي سكنها مدة قصيرة بعد عودته من الحج ظل يعلم الناس ويرشدهم، بالإضافة إلى الشيخ احمد التاذختي 936هـ 1529م[2] الذي درس بها على يد الشيخ المغيلي وأصبح متضلع في العلوم الدينية ليتولى فيما بعد منصب القضاء للمدينة، كما كانت له مؤلفات في تفسير نصوص بعض المختصرات الفقهية مثل مختصر خليل ومدونة سحنون في الفقه المالكي[3].

هذا وشهدت المدينة خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجري والسادس عشر والسابع عشر ميلادي بروز علماء، كان لهم الأثر الكبير في الحياة العلمية والاجتماعية وحتى السياسية في بلاد الهوسا، حيث تخرجوا من مدارس وخلاوي قرآنية ذات مستوى رفيع أمثال محمد الصباغ الذي وصفه صاحب إنفاق الميسور بدهليز العلم[4]، نظرا لتضلعه في فنون شتى كانت له مؤلفات في السياسة والتربية والتاريخ منها كتابه مزجرة الفتيان الذي ألفه في التربية بالإضافة إلى قصيدة سياسية يمدح فيها سلطان بورنو اثر انتصاره على قبائل الجكن [5] الوثنية .

وكذلك من العلماء الذين كان لهم الفضل في نشر العلوم في بلاد كاتسينا والهوسا محمد الكشناوي الفلاني [6]صاحب الرحلات العلمية إلى بلدان شتى للاستزادة من العلوم ليرجع إلى بلاده كاتسينا ويتبوأ مكانته العلمية كأحد العلماء المشهورين .

أما المعاهد والمدارس التعليمية التي اشتهرت بها هذه المدينة كثيرة نذكر منها مسجد هيب[1] الذي بناه السلطان محمد كوارو وهو على الطراز الغاوي نسبة الى مدينة غاو .

---

[1] أحمد كاني، الجهادي الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق،ص 41

[2] محمد بللو، إنفاق الميسور مصدر سابق ص57.

[3] أحمد كاني الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا مرجع سابق ص 42.

[4] محمد بللو، إنفاق الميسور، مصدر سابق، ص 75.

[5] أحمد كاني الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا مرجع سابق ص 42

[6] نفسه، ص 43.

معهد الحنبليين [2] الذي أنشأه شيخ يسمى محمد غيغما، وأصله من مالي كان هذا المعهد عبارة عن مدرسة لتخريج القضاة والعلوم الشرعية .

معهد "درما "[3] وقد أنشأ هذا المعهد شيخ من كاتسينا يسمى ابو بكر كان متخصص في نشر اللغة العربية وعلوم الدين، كما ظهرت عدة معاهد أخرى أواخر القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي، لتستمر في العطاء الى القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي منها معهد السوق القديم الذي درس فيه الشيخ بلادن محمد بن عثمان بن محمد البكري حوالي 1243هـ 1827م.

6- حاضرة أقدز[4]:

تقع في الشمال الشرقي من النيجر، التي تبعد عنه حوالي ألف كيلومتر [5]، في موقع استراتيجي هام بين الصحراء الكبرى وبلاد الساحل الإفريقي حيث أسست في البداية كمركز تجاري، من طرف محمد بن احمد بن عمر من الطوارق سنة 564هـ 1168م [6] باعتبارها ملتقى للقوافل التجارية من الشمال والجنوب، جعل أغلب سكانها من العرب والمغاربة الذين يشتغلون بالتجارة، كما كانت معبر لقوافل الحج المتوجهة من بلاد مالي و سنغاي وبلاد الهوسا، مما يدل على أن الإسلام استقر بها مبكرا [7].

---

[1] مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق، ص 410

[2] المرجع نفسه،ص 412

[3] المرجع نفسه، ص 413

[4] وردت بعدة ألفاظ منها أغدس، عند الحسن الوزان،في وصف إفريقيا،ج2،ص171.وجاءت بلفظ أقدز عند محمد بللو، إنفاق الميسور، مصدر سابق،ص73.

[5] الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي،مرجع سابق،ص311.

[6] بازينة عبد الله سالم،انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء،مرجع سابق،ص148.

[7] كاني أحمد، الجهاد الإسلامي،مرجع سابق،ص27.

هاجر إليها الكثير من العلماء منهم العالمان الشهيران محمد بن عبد الكريم المغيلي ومحمد الفزاني اللذان بنا بها مسجدان أصبحا فيما بعد من منارتها العلمية التي أكسبتها شهرة علمية [1] جعلت الكثير من العلماء يرحلون إليها للاستزادة في طلب العلم، منهم العاقب بن عبد الله الانصمني المسوفي الذي درس بها على يد الشيخ المغيلي [2]، وكذلك النجيب بن محمد شمس الدين التكداوي الانصمني الذي درس بها وأصبح احد علمائها المتضلعين كانت له مؤلفات منها شرح مختصر خليل في الفقه المالكي، والإمام محمود البغدادي [3] الذي كان عالما متبحرا في شتى أصناف المعرفة العلمية وصفه صاحب إنفاق الميسور بأنه صاحب المناقب الكثيرة والكرامات العديدة كان داعي إلى الحق لا يتكلم إلا به مما شكل له صراعات مع العديد من العلماء قتل بسببها، بالإضافة إلى الشيخ عبد الله سك [4] الذي درس على يد الشيخ البكري في برنو واستقر في اقذز متفرغا للتدريس و الإفتاء .

كما عرفت اقذز في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي بروز احد العلماء الذين كان لهم الفضل في إعطاء حركة قوية للنهضة العلمية بهذه الحاضرة استمرت إلى ما بعدهم منهم الشيخ جبريل بن عمر الاغدامسي [5] الذي اخذ عنه الشيخ عثمان دان فودي وأخوه الشيخ عبد الله العلم، قام هذا الشيخ بإسهام كبير في الأدب والدعوة الجهادية التي تأثر بها الشيخ عثمان وكان كثير الاستشهاد بمقولاته ومؤلفاته خاصة في كتابيه المتن والقصائد ونصائح الأمة المحمدية . [6]

---

[1] الهادي مبروك الدالي،مرجع سابق، ص119.

[2] عبد الرحمان عمر الماحي، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق،ص95.

[3] محمد بللو،إنفاق الميسور،مصدر سابق،ص65.

[4] جاءت في حقه أبيات تشيد بمكانته العلمية منها قول الشاعر :

مدينة العلم عبد الله ذاك سك في ذي التعدد خذ من بعده عمر

أنظر محمد بللو، مصدر سابق،ص74.

[5] كاني أحمد، الجهاد الإسلامي،مرجع سابق،ص28.

[6] عثمان برايما باري،جذور الحضارة الإسلامية، مرجع سابق،ص93.

7-حاضرة ولاتة [1]:

تقع إلى الشمال الغربي من تنبكتو ومعناها الأرض المرتفعة، تعتبر أخر مدن شنقيط من جهة الجنوب[2]، كان أهل سنغاي يسمونها ببيرو .

تأسست في القرن الأول الهجري السابع الميلادي[3]، واحتلت مكانتها كبوابة غربية لعبور التجار من بلاد المغرب إلى بلاد الساحل الإفريقي، حيث ذكرها ابن بطوطة[4] بأنها أول "عمالة السودان "تحولت إلى سوق كبير في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي عندما هاجرت إليها العناصر المغربية من غانا هربا من بطش قبائل الصوصو التي أسقطت عاصمة غانة كومبي صالح وكان معظم هؤلاء المهاجرين من التجار والفقهاء، عملوا على ازدهار الحياة الاقتصادية والعلمية بها لتتحول إلى مركز تجاري وعلمي في نفس الوقت[5]، خاصة في عهد دولة مالي في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي .

و في القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي ونتيجة للسيطرة السنغائية في زمن سلطانها سني علي فقد تغيرت أحوالها وهاجرها السكان من العلماء والتجار إلى مدينة تنبكتو لذلك يقول السعدي " فكانت عمارة تنبكتو من خراب بير[6]" .

لتشهد نهضة علمية وفكرية ابتداءا من النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، حيث أصبحت مركز إشعاع علمي وثقافي في قلب الصحراء[7]، هاجر إليها كثير من العلماء من فاس ومراكش وتلمسان و تنبكتو وتوات هذه الأخيرة نسجت لها علاقة

1 جاءت بألفاظ مختلفة فقد كتبت بإيوالاتن عند ابن بطوطة مصدر سابق ص 247، و جاءت والاتا عند السعدي، مصدر سابق ص 7، و جاءت بولاته عند الحسن الوزان، مصدر سابق، ص 161.

2 أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ط2 1958، ص 459.

3 السعدي، مصدر سابق، ص 21.

4 ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 392.

5 قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان، مرجع سابق، ص 120.

6 السعدي، مصدر سابق، ص،ص 65-66.

7 أحمد الحمدي، الوظائف الدينية بإيولاتن في عهد الإمارات القيسية، مجلة عصور تصدر عن مخبر البحث التاريخي جامعة وهران العدد 12-13.-14-15، سنة 2008-2009، ص 11.

علمية وتجارية بفضل قبيلة كنتة وشيخها احمد البكاي[1] توفي909 هـ1504 م الذي أعطى بعدا آخر لهذه العلاقة حيث رحبت به قبيلة المحاجيب[2] التي كانت تسكن بها ليبقى عندهم معلما ومرشدا إلى أن توفي بها، لتستمر هذه العلاقة في الازدياد بعدما هاجر إليها الكثير من علماء توات ذكر منهم صاحب كتاب فتح الشكور الشيخ زيدان[3] بن الشيخ محمد بن احمد ت1202 هـ 1788 م وقد قدم إليها أربعة مرات حاملا ورد الشيخ عبد الملك الرقاني وكان رسوله إليها.

أما أشهر العلماء[4] التي أنجبتهم ولاتة وكان لهم الفضل في تنشيط الحركة العلمية بها، نجد الشيخ احمد الوالي توفي1014 هـ1605 م الذي كان يلقب بأسد دليل كنية بالمكان الذي كان يلقي فيه دروسه، ثم خلفه من بعده ابنه عبد الرحمان ت1130 هـ1717 م، الذي كان قاضيا موصوفا بالعلم والفضائل والنزاهة، بالإضافة إلى الشيخ[5] أند عبد الله بن احمد بن اند ت1172هـ1759 م وكان بدوره قاضيا لولاته ومفتيا.

وكان من قبيلة المحاجيب، العالم عمر ماما ت1201 هـ 1786 م الذي حبس أكثر من أربعين سنه في مهنة الإمامة والتدريس، خلفه من بعده ابنه محمد عبد الله ت1214 هـ 1799م والذي1219هـ1805 م مكث بدوره مدة اثنا عشرة سنة إماما ومدرسا[6] كما

1 جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 253.

2 يطلق هذا الاسم على ثلاث قبائل تظاهروا و تعاقدوا في ولاتة و هم أولاد الفقيه عثمان بن يحي بن نيومن ثانياً آل آندا عليه ونسبهم إلى محمد بن الحنيفة، الامامات و نسبهم إلى الصحابي سعيد بن العاص، وذكرت بعض المصادر أن المحاجيب خاصة بأولاد الفقيه عثمان لأن نسائهم لا يتزوجن بالأجانب و لا يخرجن من البيوت، و حسب الراوية الكنتيه فإن الشيخ أحمد البكاي عندما قدم ولاته في القرن التاسع الهجري، هو الذي فرض الحجاب على نساء ولاته، و هناك رواية تقول أن المحاجيب من أصل المحتد الفهري الذي ينتسب إلى عقبة بن نافع الفهري جد الكنتيين، لكن الواضح أن المحاجيب من أصول مختلفة بعضها سوقي و البعض الأخر عربي، انظر: محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص ص 235-236.

3 البرتلي، فتح الشكور مصدر سابق، ص 100.

4 أحمد الحمدي، الوظائف الدينية بإيولاتن، مرجع سابق ص 17.

5 البرتلي، فتح الشكور مصدر سابق، ص 27 و ما بعدها.

6 أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 17.

اشتهر من علماء المنطقة الشيخ أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي ت1219هـ 1805 و هو صاحب كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور والذي صنفه لتراجم علماء المنطقة والذين جاءوا من خارجها كاهل توات وبلاد المغرب .

أما أماكن الدراسة وحلقات التعليم فكان في ولاته المسجد شأنها شأن المدن الأخرى، حيث كان المسجد أهم مؤسسة تعليمية مفتوحة لكل المتعلمين، يتولى الإمام مهمة التدريس بها حسب جدول زمني محدد يبتدئ بقراءة الحزب الراتب وكتاب صحيحي البخاري والشفا، ثم يتولى الإمام شرحه أو احد كبار العلماء، لينتقل التعليم في هذه المدينة إلى أكثر تخصص، و أفردت له منازل خاصة مثل منازل العلماء التي اعتبرت بمثابة معاهد ومدارس عليا، للطلبة الملازمين للشيوخ لاسيما من أكملواْ تعليمهم و أصبحواْ مكلفين بإلقاء الدروس نيابة عن الشيخ[1].

8-حاضرة شنقيط:[2]

وهي حاضرة من حواضر موريتانيا الحالية تقع في منطقة أدرار" افوغاسن" إلى الشمال من غرب موريتانيا، تأسست سنة 660 هـ1261 م[3] على يد قبيلتي إيدوعلي[4] و الأغلال[5]

1 أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 18.

[2] تكتب بالقاف والجيم ومعناها عيون الخيل،أنظر أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط،مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،ط1958،2،ص422.

[3] محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية،مصدر سابق،ص276.

[4] قبيلة عريقة في العلم والمكانة ينتهي نسبهم إلى يحي بن علي الذي تفرع من ولديه،إبيجه بن يحي وأحمد بن يحي،كانت لهم محاضر علمية تعدت شهرتها حدود موريتانيا أنظر أحمد الطالب إبن طوير الجنة، تاريخ إبن طوير الجنة،مصدر سابق،ص44.وانظر الرسالة الغلاوية،ص188.

[5] الأغلال أو الاقلال من قبائل الزوايا المشهورة بموريتانيا يجتمع أغلب بطونها عند محمد قلي وهو رجل عاش في القرن السابع الهجري وينسب الى أبي بكر الصديق (ض)،تعتبر شنقيط موطنهم الأصلي منذ بداية تشكلهم القبلي،وكانوا أهل محاضر ومكتبات عامرة، وأئمة وقضاة،أنظر،إبن طوير الجنة،مصدر سابق،ص73.

وذلك على أنقاض مدينة اندثرت كانت تعرف بأبير، كما عرفت المدينة وفود قبائل عربية مثل قبيلة المغافرة[1] ابتداء من سنة 1040 هـ 1630م.

برزت شنقيط كمركز علمي في الصحراء الكبرى ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، حيث اشتهرت بمحاضرها التي بوأتها مكانة علمية[2]، تخرج منها علماء كان لهم باع علمي كبير، أمثال أحمد أكد الحاج ت 1086هـ 1675م والقاضي أبو عبد الله ت1103هـ1691 م والشيخ محمد بن المختار بن الأعمش ت1107هـ1695 م[3].

و في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي فقد برز من العلماء الخليفة بن احمد أكد الحاج 1188هـ1775م، و أحمد بن الحاج حمى الله[4] ت1193هـ1779 م وابنه عبد الله ت1209هـ1794 م كما عرفت شنقيط بمدينة الشعراء، نظراً لكثرتهم فيها، فقلما تجد بيت من بيوت شنقيط إلا ونجد فيه شاعراً، ومن أبرز هؤلاء الشعراء الشيخ محمد بن أحمد

---

[1] المغافرة هي مجموعة هامة من بني حسان تتفرع عنها عدة قبائل،وتنسب إلى مغفر بن أحمد بن حسان ولمغفر أربعة أولاد هم عثمان ومنه أولاد مبارك بن أحمد بن عثمان وأولاد داوود بن أحمد وأولاد يحي بن عثمان،ومن عمران بن عثمان تفرعت داودات والبراكنة والترارزة، وثاني أولاد مغفر ناصر جد أولاد الناصر،وثالثهم أرميث جد الرميثات والرحاحلة والبيدات، والرابع هو خليفة ليس له عقب، والمغافرة هي إحدى القبائل العربية أنطلقت من صعيد مصر و طوقت بلاد المغرب حيث خرجت قبائل بني حسان من المغرب الأقصى في عهد دولة بني مرين ووقعت بينها وبين سكان البلاد صراعات ألت الى تغلب بني حسان وتقسيمهم البلاد إلى إمارات ورئاسات منها إمارة أولاد أمبارك في الحوض، إمارة أحياء بني عثمان في أدرار، إمارة البراكنة في وسط البلاد، إمارة الطرارزة في القبلة(الجنوب الغربي)،إمارة أولاد الناصر في الحوض ووسط البلاد، أنظر ابن طوير الجنة، مصدر سابق، ص49. وأنظر خليل النحوي، شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص22.

[2] أحمد بن الأمين الشنقيطي،الوسيط في تراجم أدباء شنقيط،مصدر سابق،ص ص 517-520.وأنظر خليل النحوي، شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق،ص ص48-60.

[3] وهو محمد بن المختار بن الأعمش كان مفتي مدينة شنقيط المشهور،له إجازات في فنون شتى متعددة أخذها عن الحاج عبد الله بن بون المختار الحسني الذي مر به وهو راجع من الحج أعطاه نسخة من إضاءة الدجنة، له نوازل تعرف بنوازل ابن الأعمش كان أول شارح لإضاءة الدجنة من الموريتانيين،أنظر ابن طوير الجنة، مصدر سابق،ص48.

[4] أحمد بن حمى الله بن بوز بن بوا طبول الحاجي، من إداولحاج أولاد أمحمد بن الحاج، وجده بوز بوا طبول التيشتي وطنا كان عالما جليلا له مؤلفات منها تلخيص التفتيش في أنساب قريش،والعريش في كلام ابن مشيش، والمشاع في كلام ابن رفاع، انظر ابن طوير الجنة،مصدر سابق، ص75.

الإداوعلي الشنقيطي[1] ت قيل 1198 هـ1784 م الذي ولد بشنقيط وتعلم بها ثم رحل إلى توات واستقر بها، كانت له رحالات منها رحلته إلى تنبكتو التي توفي بها .

أما الخزائن والمكتبات فقد كانت بكثرة أشهرها[2] مكتبة أهل حبت، ومكتبة أهل أحمد الشريف، و أهل السبتي، و أهل الخرشي.

[1] الشيخ محمد الاداوعلي: هو محمد بك العلوي بن محمد بن كل بن نال بن يحي ويصل نسبه إلى الحسن المثنى بن علي (ض) بن أبي طالب،ولد بشنقيط ثم انتقل منها إلى توات وكان أول العلويين الشناقطة دخولا لأرض توات على ما يروى كان شاعرا فحلا له ديوان شعري ضخم ضمنه قصائد مختلفة في مدح رسول الله (ص) حتى عرف بشاعر المديح النبوي،عاش متنقلا بين أرض شنقيط وتوات وعاصر في منطقة توات الشيخ أبونعامة بتدكلت كانت له قصة مشهورة معه أثناء صفره إلى الحج أرخ لها في قصيدة شعرية،استقر في توات واتصل بعالمها آنذاك الشيخ البكري ثم رحل إلى تافيلالت بالمغرب واتصل بعالمها الشيخ الغازي، وبعد عودته من تافيلالت استقر بتمنطيط ثم انتقل بعدها إلى قصر أعباني وهناك أسس مسجده ومدرسته القرآنية وأنجب ابنه إبراهيم المدفون في قصر أعباني المدفون بقصر أعباني حاليا. وفي نهاة حايته إلى تنبكتو وبها توفي وصلى عليه جمع غفير وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن المبروك البوداوي،أنظر جعفري أحمد أبالصافي، الحرك الأدبية في منطقة توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، أطروحة دكتوراه في الأدب، قسم الأدب، جامعة تلمسان،2006-2007،ص321.

[2] جعفري مبارك،العلاقات الثقافية،مرجع سابق،ص258.

إن موضوع العلاقات يعتبر من المواضيع ذات الأهمية الحضارية لما تشتمل عليه من تبادل وتعارف بين الشعوب ،اذ شكلت توات وبلاد الساحل الأفريقي بموقعهما امتدادا جغرافيا واسعا مثل ذألك الفضاء الذي تعززت فيه هذه العلاقات ، حيث ضم كلا منهما عدة أقاليم متباينة فيما بينها ،جعلت منها مراكز لاستقرار كثير من الشعوب والقبائل التي عملت على التعامل والتفاعل فيما بينها.

وتعتبر الصحراء الكبرى همزة وصل بين توات وبلاد الساحل الأفريقي ،ساهمت في تفعيل هذه العلاقات بدءا بحركة التجارة التي أستمرت طيلة قرون من الزمن والتي أعطت مزيد من الدع و التشجيع لعملية استقرار القبائل واندماجها أولا وانفتاحها على بعضها ثانيا.

ويرجع عامل استقرار الأنسان في توات الى دور التجارة الصحراوية ووجود عنصر الماء، مما أدى الى تجمع العديد من القبائل التي ساهمت في انشاء الواحات التي تقوم على زراعة النخيل وتجارة المقايضة ،بينما بلاد الساحل الأفريقي عرفت تجمعات بشرية منذ فترات زمنية قديمة ،حيث تكونت قبائل محلية تقوم على المغالبة كونت كيانات سياسية ،أضافة الى عشرات قبائل بربرية وعربية من الشمال شكلت مجتمع في أطرف البلاد له خصوصياته البدوية القائمة على الجانب القبلي ، وحياة الظغن والترحال .

استفاد أهل توات من موقع أقليمهم الذي يتوسط الصحراء حيث أصبحت بفضل هذا الموقع نقطة ألتقاء وتجمع للقوافل التجارية العابرة للصحراء مما رغبهم في امتطاء فلك هذه التجارة والتي فتحت لهم أبواب التعامل والتعرف على المناطق المجاورة ومن بينها بلاد الساحل الأفريقي

تميزت توات بنظام القصور المنتشرة على طول الخط التجاري الصحراوي ،مما ساهم في تكوين تركيبة مجتمعاتية قصورية لها مميزاتها الخاصة، عكس بلاد الساحل الافريقي الذي عرف نظام المدن التي تأسست منذ فترات زمنية بعيدة نتيجة لتلك المعاملات التجارية توسعت فيما بعد لتشمل مجالات اخرى.

عرف هذا المجال وضعا سياسيا خاصا لدخوله في مجال السيبة،حيث اعطيت لشيوخ القبائل والفقهاء والقضاة سلطات واسعة .

لا شك ان انفتاح الصحراء وبلاد الساحل الافريقي شكل عبئا على الساكنة التي اضطرت للاهتمام بموضوع الحماية والولاء.

امتهنت بعض القبائل عملية حماية القوافل التجارية على طول الطريق الرابط بين توات وبلاد الساحل الافريقي، مما سهل من عملية اندماجها واستقرارها في كلا المنطقتين مكونة بدلك مجتمع له خصوصياته الساحلية والتواتية مثل مجتمعات شنقيط ،الازواد، اقدز

اما جانب العلاقات العلمية من خلال الموضوع توصلنا فيه إلى عدة نتائج كانت كثمرة لهذه العلاقات بدا بالتعليم الذي كان متشابها الي حد كبير في أطواره ومناهجه ، في كل من توات وبلاد الساحل الإفريقي، لكن هناك اختلاف في أماكن التدريس وأسمائها، حيث عرفت بلاد الساحل الإفريقي التعليم في الكُتاب والمسجد، بينما كانت الزاوية كمركز إشعاع علمي في توات مورست فيها الحركة العلمية إلى جانب الوظيفة الروحية (التصوف) والاجتماعية (الإطعام).

كانت هناك مؤسسة تعليمية في بوادي وبعض أجزاء بلاد الساحل الإفريقي خاصة في منطقة الأزواد وشنقيط جمعت بين وظائف الكتاب والمسجد والزاوية، وهي المحضرة، كما أن المناهج والكتب الدراسية التي كانت تدرس، و الألقاب التي كانت تطلق على طلاب العلم مثل لقب "التلميذ"، وألقاب المعلمين مثل " الشيخ، الطالب، سيدي "، في توات هي نفسها في بلاد الساحل الإفر يقي.

انتشار خزائن المخطوطات والتأليف العلمية التي ألفها علماء توات وبلاد الساحل الافريقي كنتيجة تعكس الواقع العلمي لهذه المنطقة خلال تلك الفترة المدروسة ، ولا أدل على ذلك من وجود هذه المخطوطات في مركز أحمد بابا التينبكتي بتنبكتو ،ومركز المختار الكنتي بمدينة غاوا شمال مالي ،بينما في توات في الخزائن الشعبية المنتشرة في نواحي الاقليم مثل خزائن أقبلي ،وكوسام ،وتينلان وتمنطيط وأجنتور ، والمطارفة ،وزاوية كنتة.

كان لحركة التجارة الفضل الأول في فتح أبواب التعامل بين شعوب الشمال والجنوب الإفريقي، حيث كانت محكا جديدا للتعامل بين هذه الشعوب انبثق عنها ذلك التواصل العلمي خاصة في هذه الفترة المدروسة (11-12هـ-17-18م)، مما زاد في قدوم أعداد كثيرة من التجار الفقهاء من توات إلى بلاد الساحل الإفريقي، كان لهم نشاطا ملحوظا في هذه البلاد، حيث أدى هؤلاء الفقهاء واجبهم في نشر التعليم والتأثير في الشعوب الإفريقية، نتج عن هذه الحركة التجارية، تجارة الكتب التي كانت رائجة بين حواضر المنطقتين، وأعطت مزيد من الدعم لهذه العلاقة العلمية.

لم تختلف سبل كسب عيش العلماء في توات عما كانت عليه في بلاد الساحل الإفريقي فقد امتهن بعضهم التجارة لكسب الرزق أو لتزويد بعض الزوايا العلمية في منطقة توات، وقد ساهمت رحلاتهم بدور فعال في تدعيم هذه العلاقات العلمية، حيث أعطت نفسا جديدا لهذه العلاقة ، نتج عنه تلك الإجازات التي منحت لهم في بلاد الساحل الإفريقي، ويعتبر ركب الحجيج نقطة فعالة في إعطاء مزيد من التواصل والاحتكاك بين العلماء والطلبة من كلا المنطقتين، مثلت محطات التوقف في توات فضاء واسع لهذا الاحتكاك.

أدت بعض القبائل العربية دور محوري في ارساء وتفعيل هذه العلاقة العلمية بين توات وبلاد الساحل الإفريقي، حيث لم تعرف هذه الاخيرة التصوف إلا عن طريق توات، مما أدى إلى ظهور زوايا علمية عملت على نشر العلم في هذه المنطقة، ومعظم العلماء والفقهاء من توات كانوا متصوفة أدوا دورا اجتماعيا وتوجيهيا نتج عنه تأثير علماء من بلاد الساحل الإفريقي ساهموا في الحركة الإصلاحية التي شهدتها المنطقة.

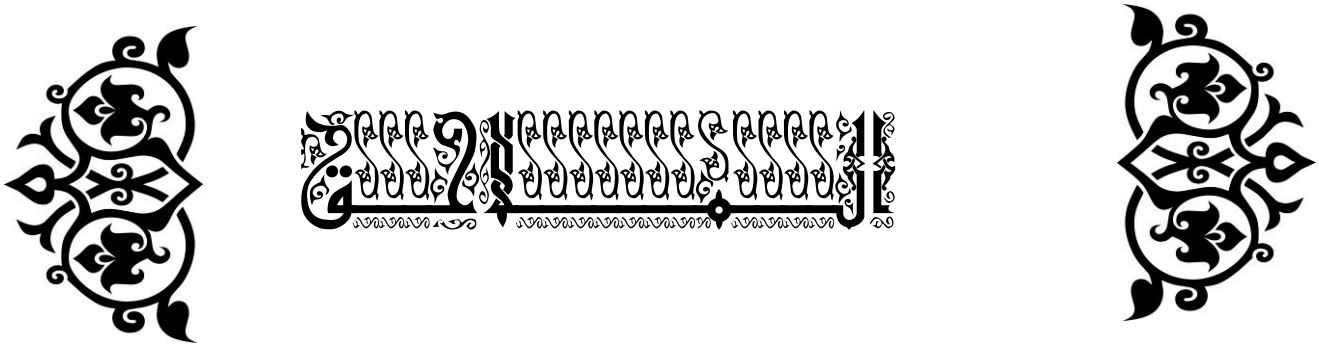
لم تظهر بعض الحواضر العلمية في توات إلا مع بداية القرن الحادي عشر هجري، السابع عشر ميلادي مثل "أجنتور، بودة، أوقروت . عكس الحواضر التي كانت في بلاد الساحل الإفريقي والتي ظهرت منذ فترة زمنية سابقة نتيجة للحركة التجارية، كما ظهرت حواضر علمية صحراوية نتيجة

للعلاقة العلمية بين المنطقتين ستؤدي دورها العلمي، خلال القرون اللاحقة للقرن الثاني عشر هجري، مثل أروان، وتاودني، المبروك، وساهل .

إعادة الاهمية والفعالية لبعض الحواضر الصحراوية التي كانت في حركة تجارية نشطة وتحولت عنها بسبب عوامل وأخرى، مثل حاضرة ولاته التي كانت حاضرة تجارية، لكن العلاقات العلمية أعادت لها مكانتها بين الحواضر بطبيعة علمية.

كما كان لهذه العلاقات العلمية أدوار حضارية أخرى تتمثل في نشر الاسلام بين الشعوب الافريقية خاصة قبائل الجكن، والبو لالا التي لم تعرف الاسلام الا مع ازدهار حركة التجارة الصحراوية، ومساهمة فقهاء متصوفة من توات، اضافة الى تعريب جزء كبير من بلاد الساحل الافريقي خاصة في الدوائر الرسمية، حيث اصبحت العربية لغة تخاطب كثير من الملوك والامراء، بل أصبحت لغة رسمية .

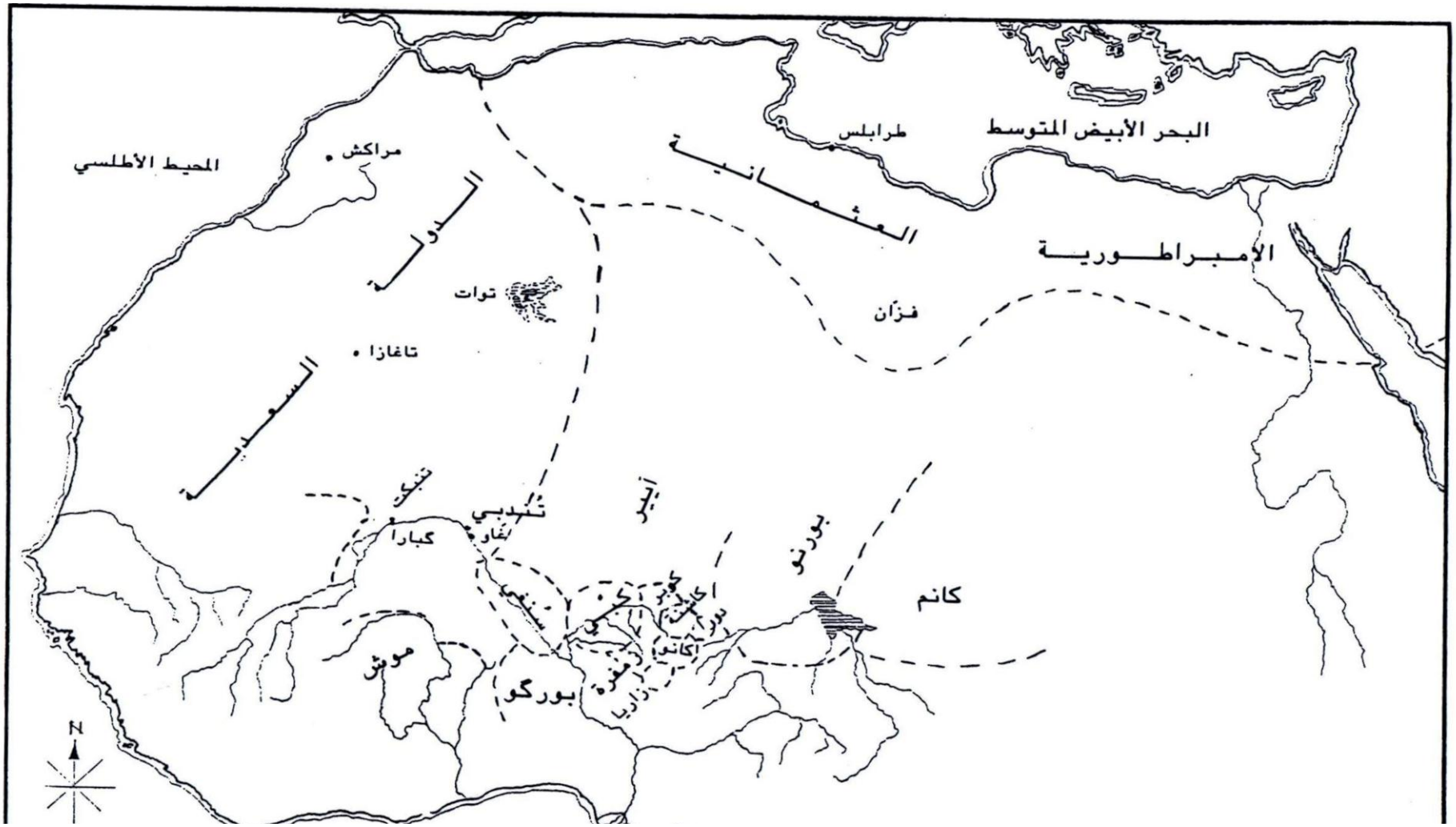
التأكيد على أن توات وبلاد الساحل الافريقي شكلا وحدة متكاملة في الجانب المعرفي تميز بالخصوصية التي وصلت حد الابداع ،بالإضافة الى التمسك بالثوابت العلمية التي جعلت هذا المجال يعد امتدادا طبيعيا للمسلمات المعروفة ببلاد الغرب الاسلامي ،مع التأكيد إلى أن الصحراء لم تشكل عائقا امام حركة العلوم والكتب والطلاب والحجاج.





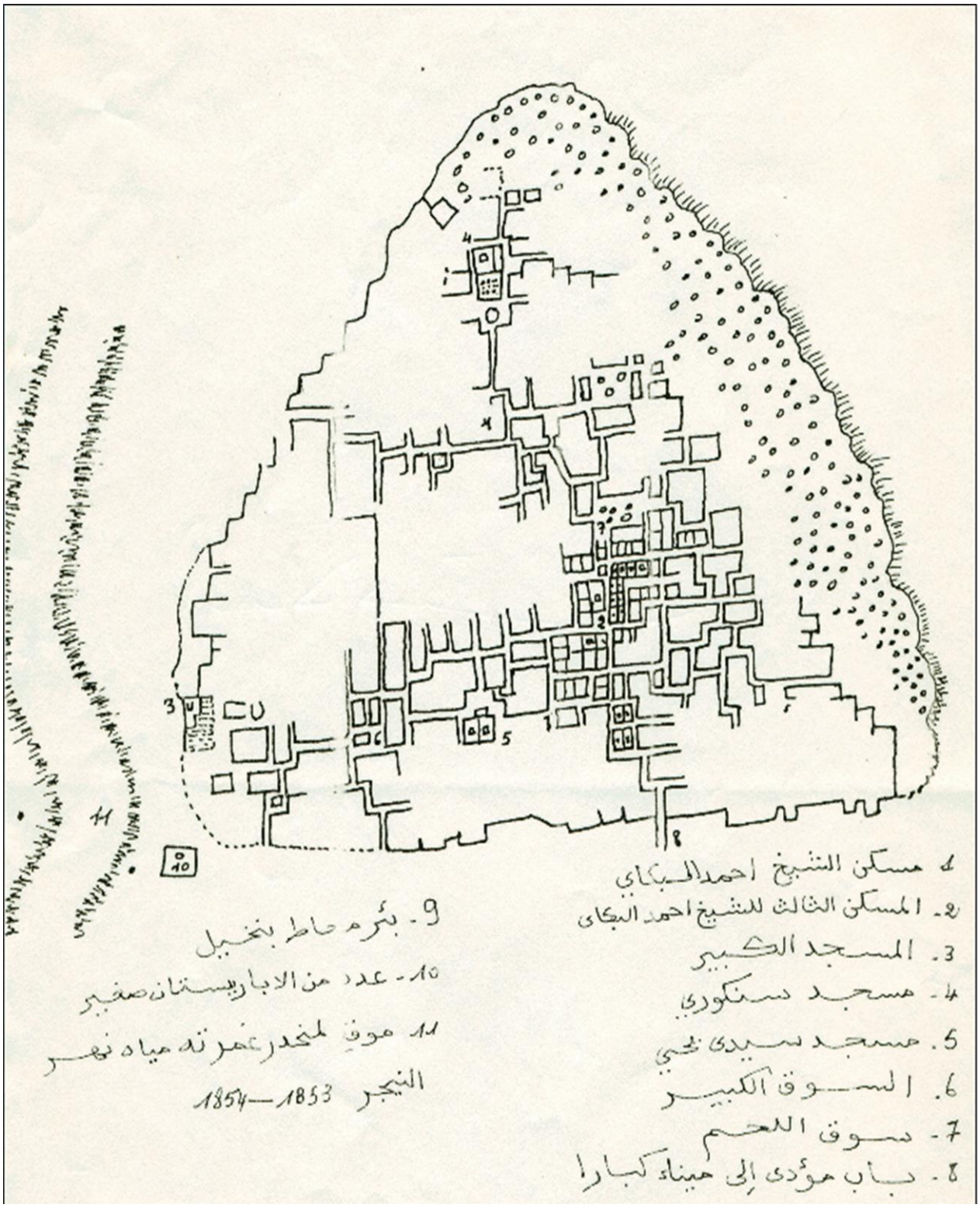
الملحق رقم 01: خريطة تبين موقع توات وأقاليمها

المصدر: حوتية محمد، قبيلة كونتة بين إقليم توات والأزواد، ماجستير تاريخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 221.



الملحق رقم 02: خريطة توات وبلاد الساحل الإفريقي في القرن 17م

المصدر: معراج الصعود لأحمد بابا التنبوكتي، تح: فاطمة الحراق، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ط1، 2003، ص 39.

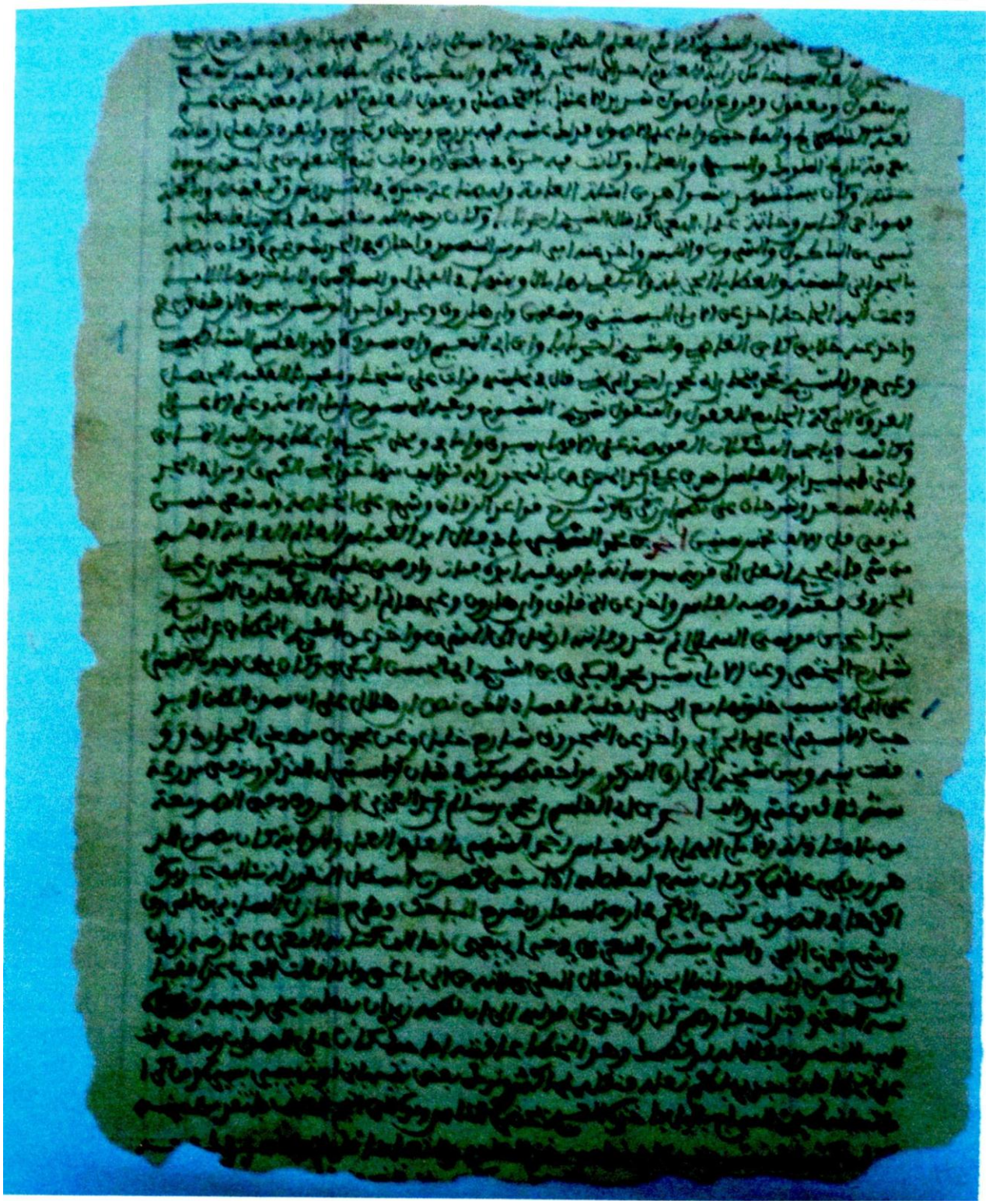


الملحق رقم 03: مخطط مدينة تنبكتو

المصدر: محمد حوتية، توات والأزواد، ج2، ص 620.



الملحق رقم 04: صورة توضح مسجد سنكري الذي بناه المهندس أبو إسحاق الساحلي في مدينة تنبكت.



الملحق رقم 05: الورقة الأولى من مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام للشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري.

مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين.



الملحق رقم 06: الورقة الأولى من مخطوط المختصر في علم الفرائض للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله تيمي، أدرار، دون تصنيف.

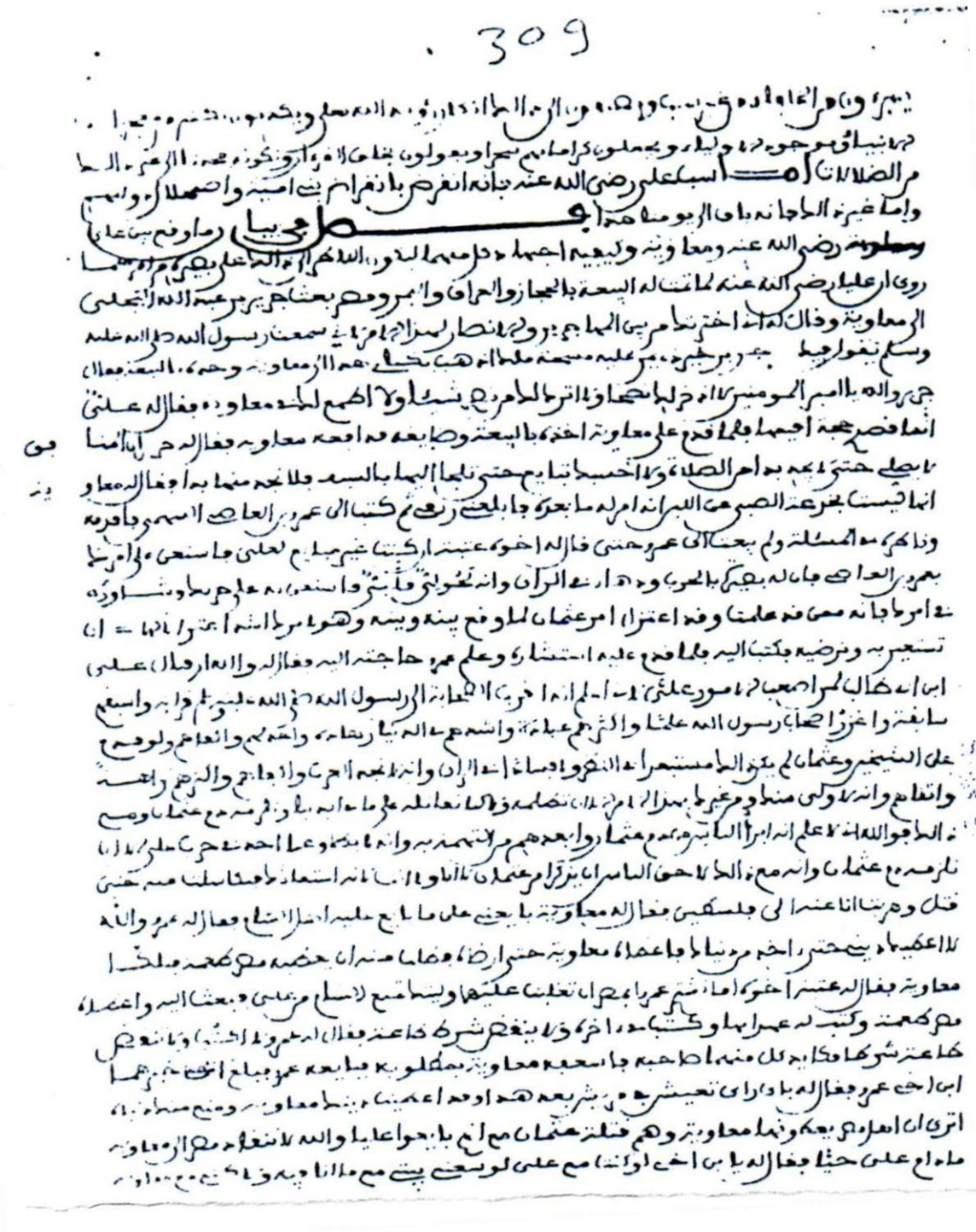
وهو من التآليف العلمية التي كانت تدرس في توات وبلاد الساحل الإفريقي.



الملحق رقم 07: الورقة الثانية من نسخة لمخطوط معراج الصعود لأحمد بابا التنبكتي.

خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله تيمي، أدرار، دون تصنيف.

وهو عبارة عن أجوبة فقهية من أحمد بابا التنبكتي تحرم الاسترقاق.



الملحق رقم 08: الورقة الأولى من مخطوط البرد الموشى في قطع المطامع والرشى للمختار الكبير الكنتي.

مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم 33-10 E.

وهو من التآليف العلمية التي كانت تدرس في توات وبلاد الساحل الإفريقي









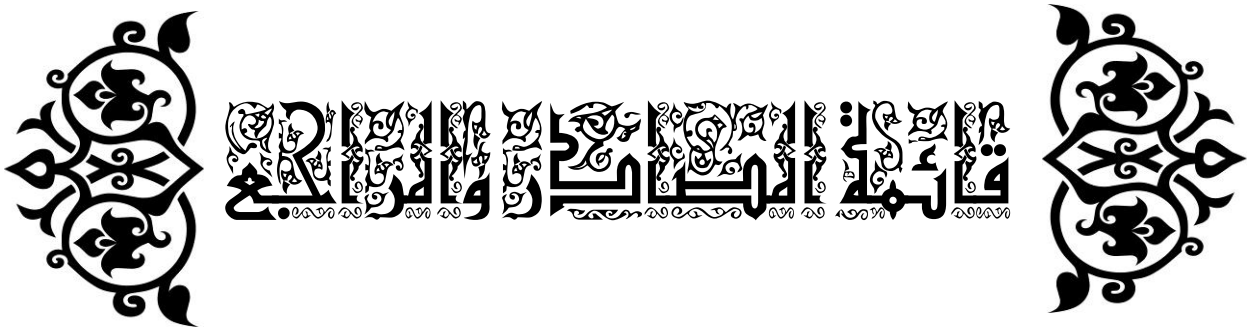
الملحق رقم09 : صور لأشكال الألواح الخشبية التي كانت تستعمل في العملية التعليمية

في كل من توات وبلاد الساحل الإفريقي



الملحق رقم 10: صورة للأقلام الخشبية والدواة التي كانت تستعمل للكتابة على الألواح الخشبية

في كل من توات وبلاد الساحل الإفريقي


قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المخطوطات:

1- تقييد حول تأسيس قصر ملوكة بيد الشاري الطيب خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

2- الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة كوسام (أدرار).

3- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة أحمد ديدي، تمنطيط، أدرار.

4- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، تقييد حول تاريخ توات و تمنطيط، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين، تمنطيط.

5- محمد بن مبارك، تاريخ توات، مخطوط بخزانة المنصور اقبلي أولف أدرار.

6- المهداوي عبد القادر بن عمر، الدرة الفاخرة في ذكر مشايخ التواتية، مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، ادرار.

ب- المصادر باللغة العربية:

7- ابن القاضي المكناسي في درة الحجال في أسماء الرجال، ج1، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، د.ط، د.ت.

8- ابن بابا حيدة القول البسيط، تحقيق: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

9- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، ج4، تحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ط 1997.

10- إبن بطوطة ابو عبد الله الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1966.

11- ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1979 م.

12- ابن خلدون عبد الرحمن (المقدمة) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001.

13- ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6 و7، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001.

14- ابن طوير الجنة أحمد، تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1995.

15- أبو العباس محمد التجاني، الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية، الدار النموذجية، بيروت، لبنان، 2002م.

16- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج 1، تحقيق : سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات، ط 1، 2006.

17- أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود في حكم مجلوب السود، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق: فاطمة الحراق، وجون هانويك، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2000.

18- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، (ج1و2)، كلية الدعوة، ليبيا، ط1، 1989.

19- أحمد بن طوير الجنة، تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم:مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1995.

20- محمد بللو، إنفاق الميسور في أخيار بلاد التكرور، تحك بهجية الشاذلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1996.

21- البرتلي محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1981.

22- البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، د.ت.ن.

23- البكري أبو عبد الله، المسالك والممالك، ج 2، تحقيق، ادريان فان نيؤمن، واندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ، 1992 م.

24- التونسي محمد بن عمر، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1965.

25- الجرجاني الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

26- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1 و2، ط2، 1983.

27- الرصاع محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تونس، طبعة حجرية، 1967.

28- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 15، 2002.

29- السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، باريس، 1981.

30- السلاوي الناصري أبو العباس، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج5، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955.

31- السهر وردي، عوارف المعارف، ط، 2 دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.

32- الطاهري (احمد الإدريسي)، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، تح: عبد الله الطاهري، 2010 .

33- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994.

34- الفشتالي (ابو فارس عبد العزيز)، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تح : عبد الكريم كريم الرباط، مطبوعات وزارة الاوقاف، 1972 .

35- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج1، تح: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د. ت.

36- القزويني زكرياء بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، 1960.

37- القشيرى، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

38- القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 5، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سوريا، 1983.

39- الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحاداثة الأكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، طبعة حجرية، المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 95 .

40- محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007 .

41- محمد الصغير اليفريني، نزهة الحادي بأخبار الملوك القرن الحادي، تحقيق، هوداس، مطبعة ليدن، باريس، 1888 م .

42- المسعودي علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 2، تحقيق، محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1988 م.

43- المقديسي محمد بن أبي بئر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، 1959م.

44- المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ج 1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د. ط، 1994.

45- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3 بيروت، دار صادر، 1977.

ت- المراجع باللغة العربية:

46- آدم عبد الله الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت، لبنان، دار مكتبة، 1965 م.

47- أ.ج هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بليغ منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 1998.

48- ابراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالية للكتاب، بيروت ، ط1 ، 1989.

49- إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973 .

50- إبراهيم علي طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1969.

51- احمد أبا الصافي جعفري، رجال في الذاكرة، محمد بن المبروك البدوي الجعفري حياته وشعره، منشورات الحضارة، الجزائر، ط 1، 2005 .

52- أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي، دار السبيل، الجزائر، ط1، 2009.

53- أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ط2، 1958.

54- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ج1، ط4، المطبعة الأميرية، القاهرة 1921.

55- احمد جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، مكتبة النهضة، القاهرة، ط1، 2009.

56- أحمد رمضان أ حمد، الرحلة و الرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، السعودية. د.ت.

57- أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى مدن وقصور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.

58- أحمد نجم الدين فليجة، افريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د.ت .

59- آدم عبد الله الآلوري، الإمام المغيلي و آثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، دار الحلبي، القاهرة، مصر، 1974.

60- ارنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، القاهرة، 1957.

61- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1983 .

62- بازينة سالم عبد الله، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2010.

63- بسيوني إبراهيم، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، القاهرة مصر، 1969.

64- بوساحة أحمد، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دارهومة الجزائر، 2002م.

65- بليل رشيد قصور قورارة واولياؤها الصالحون في الماثور الشفهي والمناقبي والاخبار المحلية . منشورات المركز الوطني في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ . وهران الجزائر العدد الثالث 2008.

66- بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، 2001.

67- بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة احتلال فرنسا للمنطقة، تعريب محمد محمود و دادي، دار السراج بيروت، ط 2005 .

68- بول مارتي، كنتة الشرقيون، تعريب وتعليق : محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.

69- جعفري أبا الصافي أحمد، محمد بن أب المزمري ، حياته و أثره، ، دار الكتاب العربي، ط 1، الجزائر، 2004.

70- جعفري أحمد ابا الصافي، ابن اب المزمري حياته وأثاره، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2004.

71- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي، خلال القرن 12 هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 .

72- جلال يحى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر، 1999.

73- جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة . د ط، د.ت.

74- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978

75- حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981.

76- حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007.

77- الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، بلعباس، الجزائر، 2012 .

78- حوتية محمد، توات و الأزواد خلال القرنين (12 و13هـ، -18-19م) ج1 دار الكتاب العربي الجزائر ط1 2007 .

79- خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصطلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج1 ، دار ابن طفيل، الجزائر، 2012.

80- زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، القاهرة، المكتبة الانجلو مصرية، 1968.

81- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

82- زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الاسقين 1493-1591م، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

83- زبايدية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

84- زكي عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، 1981.

85- سرير ميلود، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، ج2، جامعة أدرار، الجزائر، ط1، 2000.

86- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005 .

87- سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، دار الملتقى للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1997

88- سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء، مركز دراسات أبحاث شؤون الصحراء، ليبيا، 1989.

89- سنة عامر، الأدب السنغالي العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ، ج1، الجزائر، 1978.

90- شوقي ضيف، الرحلات، ط 4، دار المعارف، القاهرة، 1956.

91- الشيخ باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمآثر، دار هومة، الجزائر، 2004م.

92- الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، من القرن 11هـ إلى القرن 14 هـ، ط1، الجزائر، 2003.

93- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

94- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الصحراء، ج 1، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، 1976.

95- عبد العزيز سيد عمر . قطف الزهرات من إخبار علماء توات، دار هومة، الجزائر، ط2، 2002.

96- عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 – 1592، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د. ت.

97- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

98- عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال كتاب الأمة، قطر، ط 1، 1995.

99- عبد القادر مصطفى المحبشي، عبد العباس فضيح الغريري، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، دار الجماهير للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 2000.

100-عبد اللطيف الصعيدي، تعريف الرحلة، ط 1، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996.

101- عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999.

102- عبد الله عبد الرزاق، اضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، المطبعة الفنية، الجزائر، 1990م.

103-عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، بدون ذكر لمؤسسة الطبع، الجزائر، 2006.

104- عثمان برابما بارد، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر، ط 1، 2000.

105- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 403-515 هـ-1038-1121م دار الغرب، ط1، 1988.

106-عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الجزائر 1988.

107-العماري أحمد، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب 1850 . 1902 م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، ط1، د.ت.

108- عميراوي أحميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث قسنطينة، 2002.

109-فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين (18 و19)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1977.

110-فروخ عمر، تاريخ الفكر العربي أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، 1972.

111-الفلاني الطيب عبد الرحمن، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، ط 1، الكويت، 1994.

112-فيج جي دي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف مصر، ط1، 1982.

113-قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، مطبعة الجزائر، د. ت.

114- مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السبيل للنشر، الجزائر، ط1، 2009.

115-محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة و النشر، الكويت، د.ت.

116- محمد باي بلعالم، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في الجنوب الجزائري، دار هومة، الجزائر، ط 2، 2012.

117-محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، الجزائر، 2005 .

118-محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومه، ط 1، الجزائر 2004 .

119-محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، ط1، 1964.1384.

120-محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة العربية الجزائرية، ط1، 1971.

121-محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 2007.

122- محمود إدريس، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م.

123-مريوش أحمد، حوتية محمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد الغثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

124-مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية (العهد الموحدي)، مطبعة دار النشر المغربية، ط 2، 1982.

125-مقدم مبروك، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، دار هومة، الجزائر، ج1، 2005.

126-مهدي رزق الله احمد، التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض . ط 1 1998.

127-موسى لقبال، المعسكر الإسلامي منذ بناء معسكر القرن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

128-نبيلة حسن محمد، في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.

129- النحوي خليل، بلاد شنقيط المنارة و الرباط، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، ط 1، 1997.

130-نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1975.

131-نقولا زيادة، الحكم المغربي في السودان، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة و النشر، الكويت، ط1، 1982.

132- الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط، 1، 2002.

133-الهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850 – 1914، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ط 1، 1988.

134-يحي ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

ث- المراجع باللغة الأجنبية:

135– Bernard saffroy Chrohique du Touat Saharienne C.D.S Ghardaia Algerie:1994.

136– EliSéeReclus, Novelle Géographie universelle ,T.XI (L' Afrique septentrionale) Paris , 1886.

137– Gehard Rollfs , Voyages et exploration au sahara , Tome 01.

138– Jacob Oliel: Lesjuifsau Sahara، le Touatau moyen Age.chrsèditiam ، paris 1994.

139– MandeuvilleG , L'Algérie méridionale et Touat , Paris , 1898.

140– MARTIN, A.G.P .quatres siècles d'histoire marocaine sahara de 1504 à 1904 auA LC am, Maroc, 1923 .

141– MARTIN, A.G.P.Les oasis sahariennes ,Alges ,1908.

ج– الموسوعات والمعاجم:

142- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط 1، ج 3 و6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

143- الإمام بن تيمية، موسوعة فقه السنة (فقه التصوف) ج 3، تهذيب وتعليق الشيخ زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

144- التليدي عبد القادر بن عبد الله، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط 4، دار الأمان، الرباط، دار البشائر، بيروت، 2003.

145- دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الخامس، مادة تكرور.

146- عبد الحق حميش و محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر (تلمسان و توات)، دار زمورة للنشر، الجزائر، ط1، 2011.

147- عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج 03، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1977.

148- كحالة عمر، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1977.

149- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 3، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.

150- محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، ج 3، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.

ح- المقالات باللغة العربية:

151- أحمد الحمدي، الوظائف الدينية بإيولاتن في عهد الإمارات القيسية، مجلة عصور تصدر عن مخبر البحث التاريخي جامعة وهران العدد 12-13.-14-15، سنة 2008-2009.

152- باعثمان عبد الرحمن، الدور العلمي للزوايا التنيلانية، الملتقى الوطني الرابع حول إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث(1500م، 2000م)، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية، جامعة أدرار، أيام 05.04 جمادى الأولى 1431هـ الموافق لـ: 19 . 20 افريل 2010م.

153- البكري بكري، تمنطيط رمز التاريخ وعنوان حضارة، مجلة الحضارة الإسلامية ع1، عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية وهران، الجزائر، 1993.

154- جعفري احمد، أحفاد سيدي عقبة بن نافع آل كنته وآثارهم بإقليم توات، الملتقى الدولي حول عقبة بن نافع الفهري، الجمعية الخلدونية للدراسات والأبحاث التاريخية، بسكرة، أيام 11 و13.12 ديسمبر 2006م.

155- جعفري مبارك، تنقل علماء توات و تأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12 هـ . 18 م، الملتقى الوطني الرابع جامعة أدرار، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500 م - 2000 م)، أدرار، 19-20 أفريل 2010.

156- عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار : 14-15 أفريل 2009 .

157- العربي قلي، الرحلة بين النبل والجشع الإنساني، مجلة الهجرة و الرحلة، العدد 3، مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية، جامعة منتوري، قسنطينة، أفريل 2010.

158- مقلاتي عبد الله، علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي العلاقات الثقافية و أبعادها الحضارية، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار : 14-15 أفريل 2009.

159- وداعة حبيب الحسناوي، الحج و أثره في دعم الصلات العربية الإفريقية، مقال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، لبيا، 1998.

خ- الرسائل الجامعية:

160- بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112- 1421هـ، - 2000.1700 م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012-2013م.

161- باعثمان عبد الرحمن، تحقيق فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنلاني، ماجستير التاريخ العام، قسم التاريخ، جامعة بشار 2008- 2009 .

162- بحيدي حسان ومحمد عبد القادر، الزوايا ودورها في حفظ المخطوط، مذكرة ليسانس، علم المكتبات، قسم علم المكتبات جامعة وهران، 20012000.

163- بخدا مريم، أعلام الزاوية التيلانيه ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11 و 12 هـ- 17 – 18 م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012- 2013.

164- بن سوسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات – تمنطيط نموذجا- من القرن 6 هـ إلى القرن 13 هـ مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008.

165- بهلول هشام، الجنـوب الجزائـري في أدب الـرحلة رحلة أبي سالم العياشي أنموذجا(1072-1074هـ/1661-1663م)، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 20012- 2013.

166- بوسعيد احمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري، ماجستير تاريخ عام، قسم التاريخ، جامعة ادرار، 2012 2013.

167- بوغرارة منيرة، محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب افريقيا، مذكرة ماجستر، في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004/2003.

168- بوكرابيلة الزهراء، الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية ما بين القرنين 7هـ . 10هـ /13م 16م، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 20112010.

169- جدو فاطمة الزهراء، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين 479 هـ - 635 هـ (1086 – 1238م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007,2008.

170- جرادي محمد، نوازل الزجلاوي دراسة و تحقيق، أطروحة دكتوراه أصول الفقه، قسم أصول الفقه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2010-2011م.

171- جرادي محمد، نوازل الزجلاوي دراسة و تحقيق، أطروحة دكتوراه أصول الفقه، قسم أصول الفقه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2010-2011م.

172- جعفري أبا الصافي أحمد، الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين 12 13هـ رسالة دكتوراه في الأدب، قسم الأدب، جامعة تلمسان، 2007.

173- حناني فردوس، محمد الخليفة الكنتي، مذكرة ماجيستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008-2009

174- خالدي مسعود، الجاليات العربية و البربرية في إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي)بين القرنين الخامس والعاشر الهجري الحادي عشر والسادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة 2008-2009.

175- سعاد البصير، هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني 1516م– 1830 م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007- 2008.

176- شبايبي ياسين، الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي 870 هـ 909 هـ، 1465م 1503م، مذكرة ماجستير، في الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران 2006. 2007.

177- طموز عبد الكريم، تحقيق فهرس شيخ شيوخ عمر بن الحاج عبد القادر التنيلاني التواتي (1152هـ/1739م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011م.

178- عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 09 و10هـ 15و16، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 200.2001.

179- عليق ريحة، قصر ملوكة دراسة أثرية، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2002-2003.

180- قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 هـ و 10هـ - 15-16 م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة ماجستر تاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010 – 2011.

181- مسعودي زهرة، الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20 م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2009 – 2010.



فهرس الموضوعات

مقدمة: ..... Erreur ! Signet non défini.

الفصل الأول: التعريف بتوات وبلاد الساحل الإفريقي

أولا: التعـريف بتوات: 11

أ–أصل التسمية والموقع: 11

ب– السكـان: 16

ج– الخلفية التاريخية : 27

ثانيا– بلاد الساحل الإفريقي : 34

أ–أصل التسمية والموقع : 34

ب–السكان : 37

الفصل الثاني: الواقع العلمي في توات وبلاد الساحل الإفريقي خلال القرنين 11–12هـ/17–18م

أولاً ـ التعليم: 51

أ – مراحله: 51

ب– المقررات التعليمية: 56

ثانيا/ المؤسسات التعليمية: 66

أ– الكتاتيب: 66

ب– المساجد: 68

ج– الــزوايــا: 71

ثالثا/ أعلام منطقة توات بلاد الساحل الافريقي و تراثهم العلمي: 79

الفصل الثالث: دور التجارة والرحلة والتصوف في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي

أولاً . دور التجارة: 88

ثانيا الرحلة: 93

–1تعريف الرحلة: 94

–2 أهميتها:..... 94

3– أنواعها 94

ثالثاً– التصوف : 113

أ–معنى التصوف:. 114

ب–نشأة التصوف وانتشاره : 115

ج– التصوف في توات وبلاد الساحل الإفريقي 116

د– أهم الطرق الصوفية في توات وبلاد الساحل الإفريقي..... 117

الفصل الرابع: الحواضر والمراكز العلمية في توات وبلاد الساحل الإفريقي

أولا في توات:..... 122

–1حاضرة تمنطيط : 122

–2حاضرة ملوكة:. 125

3 – حاضرة بودة: 126

4– حاضرة آولف: **127**

5– حاضرة عين صالح: **128**

6– حاضرة تيممون: **129**

7– حاضرة أجنتور: **131**

8– حاضرة أوقروت: **132**

ثانيا: في بلاد الساحل الأفريقي : **134**

1 – حاضرة تنبكتو: **134**

2– حاضرة جني : **137**

3– حاضرة غاو: **140**

4– حاضرة كانو : **141**

5– حاضرة كاتسينا : **144**

6– *حاضرةأقدز*: **146**

7–حاضرة ولاتة : **148**

8–حاضرة شنقيط: **150**

خاتمة: ..... Erreur ! Signet non défini.

الملاحق..... **1 58**

قائمة المصادر والمراجع..... **169**

فهرس الموضوعات..... **187**

الملخص

إن موضوع العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الإفريقي من المواضيع ذات الأهمية الحضارية لما يشتمل عليه من أوجه التبادل المعرفي بين المنطقتين، ترتب عن تلك العلاقات التجارية في قلب الصحراء، ليزاد أكثر بالاندماج الاجتماعي ممثلا في هجرة القبائل العربية، و تلك الرحلات العلمية والدينية، وحركة التصوف التي عملت على إثراء هذه العلاقات، مما أسهم في ازدياد مكانة بعض الحواضر و ظهور أخرى ساهمت في الحقل المعرفي لمنطقة الصحراء، فاتحة بذلك المجال أكثر لمزيد من العلاقات خاصة في بداية القرن 13 هـ /19 م. و في الأخير يمكن القول أن توات و بلاد الساحل الإفريقي شكلا وحدة متكاملة في الجانب المعرفي تميز بالخصوصية التي وصلت حد الإبداع، بالإضافة إلى التمسك بالثوابت العلمية التي جعلت هذا المجال يعد امتدادا طبيعيا للمسلمات المعروفة ببلاد الغرب الإسلامي مع التأكيد على أن الصحراء لم تشكل عائقا أمام حركة العلوم و الكتب و الطلاب والحجاج.

الكلمات المفتاحية :

توات؛ بلاد الساحل الإفريقي؛ تنبكتو؛ أقدز؛ كاتسينا؛ كانو؛ ولاتة؛ شنقيط؛ تيديكلت؛ كانم؛ الرحلات العلمية؛ الكتاتيب؛ أحمد بابا التنكبكتي؛ المختار الكبير الكنتي.

نوقشت يوم 15 جوان 2014